

استنخار امر المصناد وطرق النجاش

في التاريخ الإسلامي العام
وفي التاريخ المصري الوسيط

تأليف

الدكتور علي إبراهيم حسن

المفتش الأول للدوايد الاجتماعية
بوزارة التربية والتعليم

الطبعة الثالثة ١٩٨٠



مقدم المنشور والطبع
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
ومشايخ عبد الله وأشقاءهم

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الامرام للنشر والتوزيع

القاهرة

استنجد امر المصناد وطرق البحث

في التاريخ الإسلامى العام
وفى التاريخ المصرى الوسيط

تأليف

الدكتور على إبراهيم حسن

المفتش الأول للمواد الاجتماعية
بوزارة التربية والتعليم

الطبعة الثالثة ١٩٨٠



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع سيدى بانى بالقاهرة

مطابع الإسلام

١٨ شارع عبدالعزيز جادين - عابدين

تليفون ٢٤٩٣٢ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بعد أن فرغت من تأليف كتاب « مصر في العصور الوسطى » وكتاب « التاريخ الإسلامى العام » ، وطبعاً عدة مرات فى فترة وجيزة ، تبين لى مدى إقبال القارىء على دراسة تاريخ الإسلام ومصر الإسلامية . واتضح لى خلال دراستى لذلك العصر الطويل ، أن الباحث فيه يواجه طريقاً متشعب الدروب والمسالك ، تكثف فيه الظلمة والغموض فى كثير من أنحائه ، مما يجعل سبل التنقيب عما فيه من كنوز منزوية مطمورة أو آثار قيمة مخفية ، عسيرة شاقة .

ولذا كان الواجب ، وضع كتاب يهذى الباحث إلى اجتياز ما يقابله من المفاز ، ويجد فيه قبساً يضىء له ما يواجهه من المشاكل ، كالسارى فى الليل يأخذ بنور القمر وهدى عقله ، كى يقطع الطريق الذى يريد فى طمأنينة وسلام ، وبذلك يدخل الباحث ساحة التاريخ المصرى والإسلامى ، مزوداً بأمثل الأدوات التى تعينه على الوصول إلى غايته فى سهولة ومن أقرب سبيل .

وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم ، هو دليل الباحث فى تلك الفترة الزاهية الزاهرة المليئة بالأحداث الحافلة بجلائل الأعمال . فهو يبحث فى : الأسس التى يقوم عليها البحث التاريخى الصحيح ، وفى المصادر التى وضعها أعلام مؤرخى الإسلام ومصر فى العصور الوسطى ، وطرق مؤلفيها فى البحث ، وأسلوب كل منهم فى الكتابة ، وقيمة ما حوته مصادرهم من مادة ، مستشهداً بأقبياسات عديدة مما ورد فى تلك المصادر عن حوادث ومسائل معينة كصداق لما ذهبت إليه . ولم أعن كثيراً بالإسهاب فى تاريخ حياة هؤلاء المؤرخين ، إلا بالقدر الذى يعرف بديتهم وما كان لها من أثر فى نشأتهم وتدرجهم العلمى .

وهذه المصادر التي تناولتها بالدراسة ، سبق لي أن تناولتها خلال دراساتي العلمية وأثناء وضع مؤلفاتي التي بحثت فيها تاريخ مصر ، مثل : دجوه العهقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، ودراسات في تاريخ المماليك ، ودمصر في العصور الوسطى ، و النظام الإسلامية ، و التاريخ الإسلامى العام ، و نسباء لمن في التاريخ لإسلامى نصيب ، فقد استخدمت تلك المصادر في سبيل وضع هذه الكتب .

كذلك دمنى قياسي بتدريس مواد : التاريخ الإسلامى العام ، وتاريخ مصر العام ، والتاريخ المصرى فى عصر الفاطميين ، والتاريخ المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك - كأستاذ للتاريخ الإسلامى فى كلية دار العلوم وكلية الآداب بجامعة القاهرة وبجامعة بغداد - إلى متابعة دراسة تلك المصادر ، وتدوين الآراء والملاحظات عن كل منها .

هذا الكتاب هو د المفتاح ، لدراسة التاريخ الإسلامى ، ودراسة التاريخ المصرى الوسيط بوجه خاص ، ولمن يريد التعمق فيها من طلاب البحوث ومحبي الدراسات التاريخية المستفيضة . فقد تناول : مصادر الآثار ، ودواوين الشعراء ، ومصادر الرحالة والجغرافيين ، والمخطوطات ، ومصادر الأقدمين المنشورة ، مرتبة كما على حسب سنة وفاة مؤلفيها التي أثبتتها بجانب اسم كل مؤرخ .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل ، ويوفقنا إلى ما فيه خير الوطن وبنيه ، فهو لنا نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة

معالم التاريخ الإسلامى العام ١٥

الباب الأول

معالم التاريخ المصرى الوسيط

مصر منذ الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ١٧
مصر فى عهد الطولونيين والإخشيديين ٢٠
مصر الفاطمية ٢٥
مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك ٢٨
فترات حكم هذه الدول ٣٤

الباب الثانى

طرق البحث التاريخى

أنواع مصادر البحث ٣٧
التفكير فى موضوع البحث والاستقرار عليه ٣٩
جمع المادة ٤٠
ترتيب المادة المجموعة ٤٢
كتابة البحث ٤٣

٤٤	• • • • •	الأمور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة
٤٧	• • • • •	الحواشي
٥٠	• • • • •	الملاحق والوثائق
١٥	• • • • •	البحث في صيغته النهائية

الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

٥٣	• • • • •	١ — أوراق البردى
		أدلف جرومان : أوراق البردى العربية في دار الكتب المصرية .
		Adolf Grohmann
		Arabic Papyri in the Egyptian Library (Vol. I.).
		ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن .
٥٦	• • • • •	٢ — الكتابات الأثرية
٦٨	• • • • •	النقوش والمسكوكات والتحف والرنوك

الباب الرابع

الأدب والتاريخ

٦٩	• • • • •	١ — أبو الفرج الأصبهاني
		كتاب الأغاني
٧٢	• • • • •	٢ — ابن هانيء الأندلسي
		ديوان ابن هانيء
٧٥	• • • • •	٣ — الشريف الرضى
		ديوان الشريف الرضى

- ٤ — عمارة اليمن ٧٦
النسك المصرية في أخبار الوزراء المصرية
٥ — القاضي الفاضل ٨٠
ديوان القاضي الفاضل
٦ — عماد الدين الأصفهاني ٨١
خريدة القصر وخريدة أهل العصر

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

- ١ — اليعقوبي ٨٣
كتاب البلدان
تاريخ اليعقوبي
٢ — الاصطخرى ٨٤
مسالك الممالك
٣ — المسعودى ٨٤
التنبيه والإشراف
مروج الذهب ، ومعادن الجوهر
أخبار الزمان ، ومن أبادنه الحدثنان ، وعجائب البلدان
٤ — المقدسى ٨٦
أحسن التقاسيم ، في معرفة الأقاليم
٥ — ابن حوقل ٨٧
المسالك والممالك

٨٩

- ٦ — البيروني
الآثار الباقية ، في القرون الحالية
- ٧ — ناصر خسرو
سفرنامه
- ٨ — البكري
المغرب ، في ذكر بلاد إفريقية والمغرب
معجم ما استعجم
- ٩ — الإدريسي
نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق
- ١٠ — السمعاني
كتاب الأنساب
- ١١ — أسامة بن منقذ
كتاب الاعتبار أو حياة أسامة
- ١٢ — ابن جبير
رحلة ابن جبير
- ١٣ — ياقوت
معجم البلدان ، في معرفة المدن والقرى والخراب والعيار والسهل
والوعر من كل مكان .
إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب
- ١٤ — عبد اللطيف البغدادي
الإفادة والاعتبار ، في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر
- ١٥ — ابن بطوطة
تحفة النظار ، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

الباب الثاني

المخطوطات إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

- ١ — المسبحى ١٠٧
- ٢ — القضاعى ١٠٨
- كتاب الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين
- ٣ — ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد . . . ١١٠
- سيرة عمر بن الخطاب
- الحقى والمغفلين
- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم
- ٤ — ابن الجوزى : يوسف بن فرغل ١١٠
- مرآة الزمان
- ٥ — ابن واصل ١١١
- مفرج الكروب ، فى تواريخ بنى أبوب
- ٦ — ييرس الدوادار ١١٤
- زبدة الفسكرة ، فى تاريخ الهجرة
- ٧ — النويرى ١١٧
- نهاية الأرب ، فى فنون الأدب
- ٨ — ابن شاهنشاه ١١٧
- التبر المسبوك ، فى تواريخ الملوك
- ٩ — الجزرى ١١٩
- تاريخ الجزرى
- ١٠ — الذهبى ١٢٠
- تاريخ الإسلام

صفحة

- ١١ — العمرى ١٢٠
مسالك الأبصار ، فى ممالك الأمصار
- ١٢ — المقرئ ١٢٣
الجمان ، من مختصر أخبار الزمان
نثر الجمان ، فى تراجم الأعيان
- ١٣ — النورى الإسكندرى ١٢٤
الإمام ، بما جرت به الأحكام
- ١٤ — مخطوطات التاريخ الحربى ١٢٤
بكتوت الرماح : نهاية السؤل والأمنية ، فى تعليم الفروسية
ابن ارنبغا الزردكاش : الأنيق فى المجانيق
الأشرفى : غنية الطلاب ، فى معرفة الرعى بالنشاب
القز محمد بن منكلى : الأحكام المملوكية ، والضوابط الناموسية
المؤلف مجهول الاسم : كتاب الفروسية

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

- ١ — ابن عبد الحكم ١٢٩
كتاب فتوح مصر والمغرب
- ٢ — الطبرى ، وعريب بن سعد ، ومسكويه ، وأبو شعاع ، وابن الأثير ١٣١
الطبرى : تاريخ الأمم والملوك
عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى
مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم

صفحة

أبو شعاع : ذيل تجارب الأمم أو تاريخ أبي شعاع
ابن الأثير : الكامل في التاريخ .

٧ — سعيد بن بطريق ١٣٤

نظم الجوهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق

٨ — ابن الداية ١٣٥

سيرة ابن طولون
للكافة

٩ — البسوى ١٣٦

كتاب سيرة ابن طولون

١٠ — الكندي ١٣٩

كتاب ولاية مصر ، ومن ولي الصلاة ، ومن ولي الحرب والشرطة
منذ فتحت إلى زماننا ، المنشور باسم « كتاب الولاية والقضاء »

١١ — ابن زولاق ١٤٠

كتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها
العيون الدعج ، في حل دولة بني طنج
أخبار سيديويه المصري

١٢ — ١٦ البغدادى ، وللاوردى ، وابن حزم ، والطوسى ، والشهرستانى ١٤٣

البغدادى : الفرق بين الفرق

الماوردى : الأحكام السلطانية

ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل

الطوسى : فهرست كتب الشيعة .

الشهرستانى : الملل والنحل

وهى كتب الملل والنحل والنظم

١٧ — أبو هلال الصابى ١٤٥

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

الصفحة

- ١٨ — ابن منجب ١٤٦
الإشارة ، إلى من نال الوزارة
- ١٩ — ابن القلانسي ١٤٦
تاريخ ابن القلانسي
- ٢٠ — أبو صالح الأرمي ١٤٧
تاريخ كنائس وأديرة مصر
- ٢١ — ابن مماتي ١٤٨
كتاب قوانين الدواوين
- ٢٢ — ابن شداد ١٥٢
النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية
- ٢٣ — أبو شامة ١٥٢
كتاب الروضتين ، في أخبار الدولتين
- ٢٤ — ابن ميسر ١٥٤
أخبار مصر
- ٢٥ — ابن أبي أصيبعة ١٥٥
كتاب عيون الأنباء في أخبار الأطباء
- ٢٦ — المراكشي ١٥٥
كتاب المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب
- ٢٧ — مفضل بن أبي الفضائل ١٥٥
النهج السديد ، والدر القريد ، فيما بعد تاريخ ابن العميد
- ٢٨ — ابن خلكان ١٥٦
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان
- ٢٩ — ابن طباطبا ١٥٧
الفخرى في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية

الصفحة

- ٣٠ - أبو الفداء ١٥٨
المختصر ، في أخبار البشر
- ٣١ - العمري ١٦٠
التعريف ، بالمصطلح الشريف
- ٣٢ - السكتي ١٦١
فوات الوفيات
عيون التواريخ

الباب الثامن

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة في القرن التاسع الهجري مرتبة حسب سنة وفاه مؤلفيها

- ١ - ابن خلدون ١٦٤
المقدمة
العبر ، وديوان المبتدأ والخبر
- ٢ - ابن دقاق ١٦٦
الانتصار ، لواسطة عقد الأمصار
الدر الثمين ، في سير الملوك والسلاطين
نزهة الأنام ، في تاريخ الإسلام
- ٣ - القلقشندي ١٦٧
صبح الأعشى ، في صناعة الإنشا
ضوء الصبح المسفر ، وجنى الدوح الثمر

٤ — المقرئى ١٧٢

المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار
جواهر الأسفاط ، فى أخبار مدينة القسطنطينية
أعماظ الخلفاء ، بأخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء
السلوك ، لمعرفة دول الملوك
التاريخ الكبير المسمى
إغاثة الأمة ، بكشف الغمة

٥ — ابن حجر العسقلانى ١٨٠

رفع الإصر ، عن قضاة مصر
الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة
أنباء الغمر ، بأنباء العمر

٦ — العيني ١٨٢

عقد الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان

٧ — ابن الجيعان ١٨٣

التحفة السنية ، بأسماء البلاد المصرية

٨ — خليل بن شاهين الظاهرى ١٨٦

زبدة كشف المالك ، وبيان الطرق والمسالك

٩ — أبو المحاسن ١٨٨

النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة
المنهل الصافى ، والمستوفى بعد الوافى
حوادث الدهور ، فى مدى الأيام والشهور

١٠ — البسماوى ١٩١

التبر المسبوك ، فى ذيل السلوك
الإعلان بالتويخ ، لمن ذم التاريخ
تناسق الدرر ، فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر
تحفة الأحباب ، وبغية الطلاب ، فى الخطط والمزارات ، والبقاع
الباركات .
الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع

صفحة

- ١١ — السيوطي ١٩٤
حسن المحاضرة ، في أخبار مصر والقاهرة
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القائمين بأمر الأمة
الكاوي ، في الرد على تاريخ السخاوي
- ١٢ — ابن إياس ١٩٧
تاريخ مصر ، المعروف باسم بدائع الزهور في وقائع الدهور
نشق الأزهار ، في عجائب الأقطار
- ١٣ — الخالدي ١٩٩
المقصد الرفيع المنشأ ، الهادي لديوان الإنشا
- ١٤ — القرمانى ٢٠١
أخبار الدول ، وآثار الأول

لوحات

- ١ — ورقة بردى كاملة ٥٥
- ٢ — ورقة بردى غير كاملة ٥٧
- ٣ — دينار من عهد السلطنة شجرة الدر (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) ٩٥
- ٤ — شاهد عليه نقوش تاريخية ٥٩
- تقلا عن كتاب الفن الإسلامى فى مصر ، للأستاذ الدكتور زكى محمد حسن
- ٥ — كرسى من النحاس ، عليه كتابات فيها ألقاب السلطان الناصر محمد ،
وهو على شكل منشور ، ذى ستة أضلاع ، مطعم بالذهب والفضة ،
ومخرم ، وسطحه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية
- ٦ — قطع من الفخار المطلق بالبناء الصغراء ، عليها رنوك من عصر المماليك ٦٣
- ٧ — صفحة من كتاب « قوانين الدواوين لابن مماتي » (بعد نشره) ١٠٦
- ٨ — صفحة من مخطوط « قوانين الدواوين » لابن مماتي (قبل نشره) ١٠٩

بمعنى مراجع^(١) موضوع « استخراص المصادر وطرق البحث التاريخي »:

Langlois, Ch. & Seignobos, ch. — ١

Introduction aux Etudes Historiques (Paris, 1898).

English Translation by G. B. Berry (London, 1912).

Crump, C. G. — ٢

History and Historical Research (London, 1928).

Fling, F. M. — ٣

The Writing of History (Yale, 1926).

Oman, Sir Ch. — ٤

On the Writing of History (London, 1939).

٥ — على إبراهيم حسن

« دراسات في مصادر التاريخ الإسلامي وحياة مؤلفيها »

(مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد — فبراير ١٩٥٩)

« مصطلح التاريخ » (بيروت ١٩٣٩)

٦ — أسد رستم

« مصطلح التاريخ »

٧ — سير ولسلي هايج ، وتعريب عبد العزيز المراغي

« جدول لمقارنة السنوات الهجرية بالسنين الميلادية »

٨ — هرنشو F. J. C. Hearnshaw

« علم التاريخ » (القاهرة ١٩٣٧ و ١٩٤٩)

ترجمه عن الإنجليزية الأستاذ عبد الحميد العبادي

٩ — حسن عثمان

« منهج البحث التاريخي » (القاهرة ١٩٤٣)

١٠ — عبد العزيز ماجد « مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي » .

(١) أثبت المؤلف هذه المراجع في هذا الموضوع ، تنمة لمراجع الكتاب ، التي أوضحها المؤلف في « محتويات الكتاب » إذ أنها تشمل أسماء المؤرخين ومصادرهم ، التي فصل الكلام على كل منها .

معالم التاريخ الإسلامى العام

إن ظهور الإسلام - وهو حدث من أخطر أحداث الإنسانية - لا يمكن أن يفهم مستقلاً عن ماضى العرب فى جاهليتهم ، لا القرية فقط بل البعيدة أيضاً ، لأن روح الأمة يمتد عبر الزمان حتى لو تقلبت عليها الأديان وتطورت فى لهجاتها ولغاتها وعاداتها .

وكان لابد إذن من الكشف عن مقومات هذه الروح الإسلامية ، التى انبعشت من جزيرة العرب ، ثم اتسعت فشملت كثيراً من الشعوب غير العربية التى اتخذت الإسلام ديناً والعربية لساناً ، وانضوت جميعاً تحت لواء الحضارة الإسلامية ، وكانت تلك الحضارة قوية حيناً ضعيفة حيناً آخر .

وكان لظهور الإسلام أثره الدينى فقد أصبح القرآن والأحاديث دستور المسلمين . كما كان له أثره السياسى كذلك ، فقد نجح فى تكوين أمة واحدة تخضع لحكومة واحدة بعد أن كانت القبيلة هى الوحدة السياسية التى قام عليها المجتمع العربى قبل الإسلام .

كان لشخصية الرسول أثر كبير فى نفوس العرب حتى أنهم لم يصدقوا موته عندما علموا به ، فلما تحققوا من ذلك ، شك فريق منهم فى أمر هذا الدين الذى أتى به ، وارتد كثير منهم عن الإسلام لأنه لم يكن قد تمكن من قلوبهم بعد ، فأخذ كبار الصحابة يذكرون فى أمر المسلمين ليواجهوا الموقف الجديد ورأوا أنه لابد للمسلمين من رئيس يتولى شئونهم ويتدبر أمورهم .

وقد اختلفت آراء المسلمين فيما بينهم وظهرت بينهم روح التعصب القبلى ، وأخيراً استقر رأى على أن يكون للرسول خليفة ، يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ويؤم الناس فى الصلاة . وبذلك قامت خلافة الخلفاء الراشدين .

وتعد خلافة الخلفاء الراشدين : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، شورية انتخابية . واتسمت الدولة العربية في عهد عمر بن الخطاب ، فقد ضم إلى تلك الدولة : فارس والشام وفلسطين ومصر . وكان كل خليفة منهم يتوخى أن يحكم وفق الحدود الشرعية ، إذا استثنينا عهد عثمان الذي رماه أعداؤه بأنه يقرب الأصهار ويبعث الأمور ولا يحكم بالعدل .

وصحب تحول الخلافة من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين ، عدة مظاهر ليست من مقتضيات الخلافة ، كمظاهر الأبهة والجبروت . وأخذت الحضارة الإسلامية تترعرع ويشهد ساعدها . ويعد معاوية مؤسس دولة الأمويين ، واعتبر عهد عبد الملك بن مروان عهد إصلاح إداري شامل في دولة الأمويين . وأعاد عهد الوليد بن عبد الملك عهد التوسع والغزو الذي ساد الدولة العربية طوال عهد عمر بن الخطاب . فتد فتح الوليد إقليم ما وراء النهر وحوض نهر السند وشمال إفريقيا والاندلس .

وما لبثت الدولة الأموية أن سقت ، لما كان من تعصب الأمويين للعرب مما أدى إلى خروج الموالى على الدولة الأموية ، وهم غير العرب الذين دخلوا في الإسلام عقب الفتح العربي في فارس ومصر والمغرب ، وصار هؤلاء الموالى أعداء العرب لتفضيل العرب أنفسهم عليهم وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالى ، لذلك كان الموالى يتهزون كل فرصة ليكيدوا للدولة الأموية وظهروا مع كل خارج على الأمويين . ولا يقل عن ذلك أهمية ، ما كان من انصراف بعض خلفاء بني أمية كيزيد ابن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد ابن يزيد بن عبد الملك إلى اللهو والمجون ومما قرض أركان الدولة وهمل بزوالها ، ما كان من تولية العهد لأكثر من واحد ، مما أدى إلى جلب العداوة والخصام وإحداث القطيعة والانقسام بين أفراد البيت المالكي الأموي . ومن استقرار الدولة وهذ كيائها ، ظهور روح العصبية بين القبائل .

وند أعطت تلك القلاقل والاضطرابات ، الدعوة العباسية ، فرصة للظهور

وتقوية دعائمها وتثبيت أركانها ، إذ شغل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بإخماد الفتن حتى باغته العباسيون وقتلوه ، وبمقتله انتهى على الدولة الأموية . وهكذا زالت الدولة الأموية بعد أن حكمت نحو تسعين عاما ، كان العنصر العربي خلالها هو عمادها ونصيرها وصاحب السلطان المطلق في تصريف شئونها . وفيها ظهر ولادة على جانب عظيم من السكينة وقوة الشخصية كعمرو ابن العاص وزباد بن أبيه والحجاج بن يوسف وغيرهم . كما حكمها خلفاء أقوياء كعامة الأول وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وهم الذين أقاموا الدولة على دعائم متينة وأظهروا أبهة الملك وابتدعوا أنظمه للحكم يكن للعرب عهد بها من قبل ، وأعادوا عهد الفتح والغزو على نحو أعاد إلى الأذهان عهد عمر بن الخطاب ، لولا ظهور خلفاء ضعاف اتسموا بذيوع الصفات وظهرت خلال عمرهم الفتن وشبت الثورات ، مما أدى في النهاية إلى اضمحلال تلك الدولة ثم انهيارها وقيام الدولة العباسية على أنقاضها .

ولم يأت مصدر الدولة العباسية حتى كانت قد بلغت أوجها . وقد فاقَت الحضارة الإسلامية في ذلك العصر سائر الحضارات المعاصرة لها في الشرق والغرب . وحكمت الدولة العباسية العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون ، وكان خلفاؤهم من السفاح إلى الواثق رجال عظام ، ماعدا الأمين فإنه لسوء حظه لم يساير هؤلاء في عظمتهم ومقدرتهم السياسية ، واعتبر العصر العباسي الأول وحدة منسجمة متناسقة ، إذ لم يكن ليكل خليفة سياسة شخصية بل سار الجميع على سياسة واحدة . وكانت الحوادث الكبرى التي وقعت في ذلك العهد تسير كلها في تيارات عامة ، كإسقاط العرب وإثارة الفرس عليهم ، ثم تشجيع الترك على الفرس والعرب معاً ، ونهضة العلم والأدب ، وظهور حرية الفكر في البحث والجدل والمناظرة ، وتقريب العلماء والأدباء والمغنيين ، وترقيه الفنون الجميلة : العمارة والشعر والموسيقى ، وهو على الجملة العصر الذهبي للإسلام .

وبقيام العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ ، زال العصر الزاهر في الدولة

العباسية ، وشمل الضعف معظم مظاهر الحياة في بغداد ، ويمتد هذا العصر أكثر من أربعة قرون ، كان فيها الخلفاء العباسيون تحت سيطرة الأتراك أولاً وبنو بويه ثانياً ، ثم السلاجقة أخيراً . وكان الخلفاء كالريشة في مهب الريح ، يتوقف بقاء كل منهم على العرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهيين والسلاجقة .

وفي سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) سقطت بغداد في أيدي التتار ، بعد أن ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الإسلامي ومهبطاً للعلماء . وبمقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ ، انتهت الخلافة العباسية في بغداد ، ولم تبق لها قائمة حتى أحياءها يبرس سلطان المماليك في مصر في عام ٦٥٦ هـ (١٢٦٠ م) ، واستمرت الخلافة العباسية في مصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م ، وأصبحت ولاية عثمانية .

الباب الأول

معالم مصر الإسلامية في العصور الوسطى

مصر منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية — مصر في عهد الطولونيين
والأخشيديين — مصر الفاطمية — مصر في عصر الأيوبيين والمماليك —
فترات حكم هذه الدول

مصر منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية :

كانت مصر قبيل الفتح العربي ولاية رومانية على جانب كبير من الضعف والانحلال ، إذ حرم المصريون في تلك الفترة من عضوية المجالس النيابية كي لا يشتركوا في حكم بلادهم ، ومنعوا من الاشتراك في الجيش حتى لا تكون لهم قوة حزبية تستطيع مقاومة المحتلين من الروم . كذلك كانت أحوال مصر الاقتصادية تسير من سوء إلى أسوأ ، وازدادت حالتها المالية تعقداً على مر الأيام بسبب شطط الروم في جمع الضرائب ، حتى ضاقت على المصريين سبل العيش . وبما زاد في كراهية المصريين للروم ، تلك الاضطهادات الدينية الشديدة التي كان يرذح تحتها القبط سكان البلاد على يد حكامهم الرومان . وكانت كراهية المصريين للرومان وسوء حالتهم السياسية والاقتصادية والدينية ، مما شجع الدولة العربية الناشئة على فتح مصر على يد عمرو بن العاص .

تم لعمرو فتح مصر سنة ٦٢٠ هـ . ومنذ ذلك الوقت تحولات هذه البلاد إلى ولاية عربية نابعة للخلافة الإسلامية ، وظلت على هذه التبعية أكثر من قرنين وربع قرن . وكان عمرو بن العاص فاتح مصر أول وال عليها من قبل الخليفة

عمر بن الخطاب ، وتعد فترة ولايته على تلك البلاد فترة تطور في أحوال مصر الاقتصادية والسياسية والدينية : فقد خفف عمرو عبء الضرائب عن كاهل المصريين ، وأوجد نظماً للحكم تختلف عما كانت عليه في عهد الرومان مراعيًا اقتباس ما يصلح من النظم الرومانية لحكم تلك البلاد ، ومن الناحية الدينية اتبع سياسة التسامح الديني وأزال الأحقاد التي كانت متأصلة في نفوس المحكومين من المصريين أيام حكمهم الرومان . وأسس عمرو مدينة القسطنطينية التي كانت أول حاضرة لمصر الإسلامية ، وبنى بها جامعاً عرف باسمه كما أطلق عليه كذلك المسجد العتيق وتاج الجوامع وجامع الفتوح والمسجد الجامع باعتباره أول مسجد بني في مصر لإقامة صلاة الجمعة ، وأدخل عمرو بن العاص ضروباً شتى من الإصلاحات لم يتمكن غيره من حكام مصر وولاتها أن يأتوا بمثلها حتى قامت الدولة الطولونية . وبذلك تعتبر فترة حكم عمرو بن العاص لمصر فترة انعاش وتقدم .

كان عهد الأمويين والعباسيين في مصر قبل قيام الدولة الطولونية ، عهد فتن واضطرابات وعدم استقرار في أحوال البلاد العامة إذا ما قورن بعهد الخلفاء الراشدين في مصر ، وخاصة فترة ولاية عمرو بن العاص . فقد ولي مصر منذ وفاته سنة ٤٣ هـ إلى قيام الدولة الطولونية في سنة ٢٥٤ هـ ، تسعة وتسعون والياً . ولي بعضهم الحكم مرتين ، والبعض الآخر ثلاث مرات ، وكان متوسط حكم الوالي منهم لا يزيد على سنتين بكثير ، بل لم يبلغ هذا القدر في كثير من الأحيان ، اللهم إلا ولاية عبد العزيز بن مروان التي ظلت إحدى وعشرين سنة . فلا عجب إذا لم تستفد البلاد في ذلك العهد : لأن قصر عهد الولاة وعملهم على سد جشعهم ونزع مراكمهم ، قد حال دون ما كانت ترجوه البلاد من تقدم ورقي . وبذلك يمكن القول إن كل الإصلاحات في الفترة السابقة إنما تمت في عهد ولاية عمرو ، وأن حكم الأمويين والعباسيين بعد ولايته قد اكتشفه شيء كثير من الغموض والإبهام .

على أنه كان من المنتظر أن تتمتع مصر بشيء كثير من الراحة والطمانينة في ظل الحكم الإسلامي ، بعد أن تخلص المصريون من تلك الاضطهادات التي تعرضوا لها في عهد الرومان . ولكن السياسة التي سار عليها الخلفاء وعمالهم في مصر وسائر الولايات الإسلامية بعد وفاة عمرو بن العاص والتي كانت تقوم على الشدة في جمع الضرائب والقسوة في معاملة الأهالي ، هي التي أدت إلى ذلك الجحود وما صاحبه من الفتن والثورات . وكان بقاء الوالي في حكم مصر متوقفاً على تنفيذ أوامر الخلفاء والسير وفق سياستهم ، التي كانت ترمى إلى جمع أكثر ما يمكن من الخراج ، مهما حاق البؤس بالناس وحل بهم الشقاء . ولذا نقرأ كثيراً في مصادر الأقدمين عن نشوب الثورات والفتن الداخلية التي كان يذكي نيرانها القبط والعرب جميعاً . وبرغم ذلك كله عرف بعض الولاة بحسن السيرة كمسيلة بن مخلد وعبد العزيز بن مروان ، على حين أخذ على أكثرهم ما أتوه من ضروب العسف وصنوف القسوة والجبروت إلى جانب افتقارهم إلى الأمانة والفضيلة .

وفي عهد العباسيين ، تأسست الحاضرة الثانية لمصر الإسلامية سنة ١٣٣ هـ وتقع في ذلك الفضاء الواسع إلى الشمال الشرقي من القسطنطينية وقد أطلق عليها اسم العسكر ، ثم بنى مسجد العسكر الذي أصبح ثاني المساجد الجامعة في مصر بعد جامع عمرو . وكان عنبة آخر من ولي مصر من العرب ، فإن الخليفة المعتصم العباسي (٢١٨ - ٢٢٢ هـ) بدأ عهده بأن أسقط العرب من ديوان الجيش وأحل الأتراك محلهم . واتخذ تلك الخطوة الجرئة بعد أن رأى أن دولته الواسعة لا بد أن تقوم بحراستها جيش قوى ، فاستكثر من الأتراك وأسند إليهم المناصب العالية وقلدهم الولايات الكبيرة .

وقد ظلت مصر تحت حكم ولاية من الأتراك كانوا يقطعون هذه الولاية على أساس النظام الإقطاعي ، بمعنى أنهم كانوا يلون حكمها بشرط أن يؤدوا جزية معلومة لدار الخلافة العباسية . واستمرت البلاد على ذلك إلى شهر

رمضان سنة ٢٥٤ هـ حيث ولى أمور مصر ، من قبل هؤلاء الولاة الأتراك ،
أحمد بن طولون الذى أسس فى مصر دولة جديدة عرفت باسم الدولة
الطولونية .

مصر فى عهد الطولونيين والأفنديين :

حكمت الدولة الطولونية مصر زهاء ثمانية وثلاثين عاماً ، انتعشت فيها
البلاد ، واستردت قوتها وعظمتها ، فراجت تجارتها ، ونشطت صناعاتها ،
وزراعتها ، وقوى الجيش ، وأنشئ أسطول بحرى ، وأصبحت مصر
إمبراطورية شاسعة تمتد من العراق إلى برقة بما فى ذلك الشام وفلسطين . وكان
عهدا عهد سلام ورخاء ، ونهوض بفن العمارة والنقش والزخرفة ، وتشجيع
للعلم والعلماء .

وكان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية أول حاكم مستقل لمصر
الإسلامية فى العصور الوسطى ، فقد كان إشراف الخلافة العباسية على
الطولونيين إشرافاً صورياً لا قيمة له ، حتى عد المؤرخون بدء قيام الدولة
الطولونية فى مصر بدء عهد الاستقلال فى تاريخ مصر الوسيط . ورغم ذلك
قامت بين ولاة مصر والخلفاء العباسيين علاقات من شأنها أن أصبح هؤلاء
يؤدون للخليفة الجزية السنوية ، وينقشون اسمه على السكة ، ويدعون له
على المنابر .

غير أن ابن طولون قد صادف كثيراً من الصعاب بعد أن آل إليه
أمر مصر ، ولكنه استطاع بفضل ما أوتيته من الحزم والشجاعة أن يتغلب
عليها ، ومن هذه الصعاب : منافسة أحمد بن المدير وإلى الخراج على مصر ،
وهذه الثورات التى أشعل ناراها ذوو المآرب ، وخاصة تملك الثورة التى قام بها
ابنه العباس . ولكن ابن طولون ما كاد يتخلص من الفتن الداخلية حتى واجهته
مشكلة خارجية أجل شأنها وأعظم خطراً ، هى تفاقم العداء بينه وبين الموفق

بالله أبى أحمد طلحة أخى الخليفة المعتمد العباسى ، وصاحب الأمر والنهى
فى بغداد .

وكان لهذه الثورات والمشاكل أسوأ الأثر فى مصر ، فقد نغصت على
ابن طولون حياته وأقلقت بآله ، وعاقته عن إتمام كثير من أعمال الإصلاح
التي قام بها منذ ولى أمور مصر . على أنه برغم ذلك كله ، قد خلف لنا عدة آثار
قد زالت كلها إلا جامعته المعروف باسمه . على أن هذه الآثار لا تزال عالقة
فى أذهان المؤرخين : فمن ذلك تأسيس القطائع حاضرة الطولونيين ، وجامع
ابن طولون وبناء القصر أو الميدان ، ودار الإمارة ، والمارستان ، والقناطر
أو السقاية ، والحصن الذى أقامه فى الروضة ، وإصلاح مقياس الروضة ،
وتحصين الثغور .

توفى ابن طولون فى العاشر من شهر ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ وهو فى الخامسة
والخمسين من عمره ، وكان قد ولى هذه البلاد ست عشرة سنة ، ثم خلفه ابنه
خماروية . ومن أبرز الحوادث التي وقعت فى عهده ، تطور ذلك العداء الذى
كان قائماً بين ابن طولون وأبى أحمد الموفق طلحة إلى تبادل أواصر الصداقة بين
خماروية والموفق . فإن تلك الصداقة قد جعلت حكم مصر وراثياً لخماروية
وأولاده من بعده ثلاثين سنة تبتدىء من سنة ٢٧٩ هـ . ولم تقتصر أهمية ذلك
الحلف على تقرير مبدأ الوراثة فى تولى الولاية فى مصر من أسرة معينة ، بل إنه
كان أول حادث خطير فى نظام الحكم فى مصر منسباً عهد تبعيتها للخلفاء
الراشدين إثر الفتح العربى على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ . كذلك كان
لهذا الحلف خطره من الناحية السياسية ، لأنه قضى على نظام تولية مصر
ولاية من الأتراك من قبل دار الخلافة . ويمكن القول إن قيام دولة ابن طولون
كان الحد الفاصل بين نظام الولاية القائم على الفوضى والاضطراب والذى
ظل فى مصر أكثر من قرنين ونصف ، ونظام الولاية الذى يقوم على الوراثة
فى الأسرة طولونية ، تلك الأسرة التى يجب أن نشيد بذكرها ونرفع من قدرها ،

لأن عهدهما كان من أزهى عهود الاستقلال في تاريخ مصر السياسي في العصور الوسطى .

كانت مصر في عهد خمارويه تستند إلى بيت مال عامر ، فقد وسع ذلك الأمير مدينة القطائع وجعلها ، واستطاع أن يبذل الأموال الضخمة في تجهيز ابنته إلى الخليفة العباسي المعتضد ، وغلا في ذلك الجهاز مما أدى به وبيت مال مصر إلى الإفلاس . وإن زواج الخليفة العباسي من ابنة خماريه ليدل دلالة واضحة على مبلغ حرص الدولة العباسية على المحافظة على ود مصر ، مع أن مصر لم تعد في ذلك الحين أن تكون إحدى الولايات التابعة لها . ولا شك أن ذلك كان راجعاً إلى قوة مصر وثروتها واتساع رقعة البلاد التي كانت تحت سلطانها حتى أصبحت بحيث يرغب الخليفة نفسه في مصاهرة أميرها ، على أن الإسراف في إعداد ذلك الجهاز قد أدى إلى إفقار خمارويه وحكومة مصر .

توفي خمارويه سنة ٢٨٢ هـ ، ومن ثم أخذت الدولة الطولونية في الضعف والانحلال ، وتولى زمامها طائفة من أفراد البيت الطولوني تنقصهم الحسنة السياسية . ويستندون إلى خزانة تركها خمارويه غالية من الأصفر والأبيض .

زالت الدولة الطولونية في سنة ٢٩٢ هـ ، وكان الخليفة العباسي المستنق قد أرسل قائده المشهور محمد بن سليمان الكاتب لاسترداد مصر بعد ماتين له ضعفها وعزم على إعادتها إلى سلطانه . فنزل ابن سليمان القسطنطينية ، ثم سار منها إلى القطائع حاضرة الطولونيين إذ ذاك ، وأشعل فيها النار . وهكذا قضى على الدولة الطولونية وخربت القطائع وأضحت أطلالاً دارسة . وأصبحت تلك المدينة الزاهرة أثراً بعد عين . ولم يبق منها غير المسجد الجامع .

وبعد سقوط الدولة الطولونية ، عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة

للعباسيين . إلا أن الاضطرابات استمرت في هذه البلاد : لضعف الخلفاء العباسيين في بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطانهم فيها ، وأصبح الوالى من الضعف بحيث استبد به الجند . ولم تستفد مصر في هذه الفترة التى تلت سقوط الطولونيين في سنة ٢٩٢ هـ حتى وليها الإخشيديون في سنة ٣٢٣ هـ غير اضطراب أحوالها وطمع الغزاة في الاستيلاء عليها .

وبقيام الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣ هـ ، دخلت مصر في دور جديد من أدوار التقدم والعمران . كان محمد بن طنج الإخشيد مؤسس هذه الدولة ، أحد ولاة مصر في تلك الفترة التى تلت سقوط الطولونيين (٢٩٢ - ٣٢٣ هـ) وقد استطاع في عهد ولايته الثانية (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) على تلك البلاد أن يؤسس هذه الدولة ، وأن يثبت سلطانه بعد ذلك في مصر والشام ، ويصد عن مصر خطر الفاطميين الذين طالما حاولوا الإغارة عليها وغزوها وأرسلوا إليها الحملة تلو الحملة ، كما استطاع أن يكسب ثقة الخلافة العباسية وتقديرها . وقام بكثير من ضروب الإصلاح ، فحسنت أحوال البلاد الاقتصادية ، وانتشلت من تلك المهوة التى انحدرت إليها منذ سقوط الدولة الطولونية .

كان الإخشيد حاكما عظيما ، تدين له كل من مصر والشام والحجاز ، ولاغرو فقد عرف كيف يسوس المصريين ، ويعيد النظام والسكينة محل الفوضى والاضطراب ، حتى تمتعت البلاد في عهده بالاستقلال الذاتى ، ونعمت بشيء غير قليل من الراحة والطمانينة .

وقد عاش الإخشيد طوال حياته عزيزا كريما ، ولما شعر بدنو أجله عهد بالسلطة إلى ولده أبى القاسم أنوجور ، على أن يكون كافور وصيا عليه . مات الإخشيد في دمشق في ١٢ من ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ وقد أقام فيها بعد انتهاء حروبه مع سيف الدولة الحمدانى ، وكان في السادسة والستين من عمره ، ونقل إلى بيت المقدس ، ودفن بها ، بعد أن ولي مصر وما يليها من البلاد إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

كان أنوجور عندما تولى حكم مصر سنة ٣٣٤ هـ لا يزال طفلاً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فقام بتدبير أمره كافور الذى أصبح صاحب السلطان المطلق فى إدارة شئون الدولة الإخشيدية، وظل معه أنوجور مسلوب السلطة حتى مات فى ٨ من ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ. ثم خلفه فى حكم مصر أخوه أبو الحسن على بن الأخشيد، ولكن كافوراً ظل يباشر الأمر بنفسه، وأصبح أبو الحسن أسيراً فى قصره إلى أن مات فى سنة ٣٥٥ هـ.

وقد بقيت مصر بغير أمير نحواً من شهر، وفى المحرم من سنة ٣٥٥ هـ أخرج كافور كتاب الخليفة العباسى بتقليده ولاية مصر، إلى دامت زهاء سنتين وأربعة أشهر، وكان عهده عهداً أسود توالى فيه المصائب على هذه البلاد، وقاسى الأمرين من القحط وتفشى الوباء واشتد الغلاء وكثر الموت حتى توفى فى شهر جمادى الأول سنة ٣٥٧ هـ.

ولما مات كافور، اختار الجند ورجال البلاط فى مصر، أبا الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد والياً على هذه البلاد، وكان طفلاً ضعيفاً لم يبلغ الحادية عشرة من العمر. فاضطربت أحوال البلاد، وظلت على هذه الحال عدة أشهر خضعت فيها لسلطان الإخشيد الإسمى، ووصلت فيها إلى حالة برثنى لها من الفوضى والاضطراب. ولم يستطع العباسيون أن يقبضوا على زمام الأمور لأن الخليفة العباسى كان إذ ذاك ضعيف الجانب مسلوب السلطة. لهذا لا تعجب إذا عجزت الدولتان الإخشيدية والعباسية عن صد هجمات المغيرين، وانتهم الخليفة الفاطمى المأمون الدين الله تلك الفرصة، وأرسل حملته المشهورة، لفتح مصر بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ هـ.

مصر الفاطمية :

وبزوال سلطان الإخشيديين والعباسيين عن مصر ، أصبحت هذه البلاد مقر الحكم الفاطميين ، وناfst القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية الشيعية الفنية بغداد حاضرة الدولة العباسية السفية المتداعية .

حكم جوهر الصقلي مصر نيابة عن الخليفة المعز بين سنتي ٣٥٨ - ٣٦٢ هـ ، حيث حضر هذا الخليفة إلى مصر لتسلم مقاليد الأمور ونقل مقر الخلافة الفاطمية من المنصورية إلى القاهرة ، وهذه الفترة التي بلغت أربع سنوات ، تعتبر أدق فترات الحكم الفاطمي ، لأنها كانت فترة انتقال توقف عليها مصير الدولة الفاتحة ، دولة الفاطميين ، كما توقف عليها مصير أنصار الدولة البائدة ، دولة الإخشيديين^(١) .

وكان جوهر أول من قام على تنفيذ السياسة الفاطمية التي كانت ترمي إلى اتخاذ مصر جسراً يعب عليه الفاطميون إلى المشرق لتأسيس خلافة فاطمية شاسعة الأرجاء . ولم يقتصر فضل جوهر على تلك الفتوح الواسعة في المغرب ومصر والشام ، بل إنه أسس مدينة القاهرة رابعة حواضر مصر الإسلامية وأقام بها قصرأ لمولاه المعز ، كما أسس الجامع الأزهر ليتلقى فيه الناس عقائد المذهب الشيعي .

ولما رأى جوهر أن دعائم ملك الفاطميين قد توطدت في مصر والشرق ، كتب إلى المعز يستدعيه للحضور إلى مصر لتولى شئونها ، فوصل إلى القاهرة في سنة ٣٦٢ هـ ، وأصبحت القاهرة دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وغدت مركزاً للإمبراطورية الفاطمية . ثم أخذ نشاط جوهر السياسي يقل شيئاً فشيئاً ، حتى توارى بعد قليل عن مسرح السياسة المصرية .

(١) على إبراهيم حسن : جوهر الصقلي ، حيث تجد تفصيلاً عن تاريخ حياة هذا القائد .

قام المعز منذ اعتلى عرش الخلافة الفاطمية في مصر ، بأعمال مجيدة تتجلى في توسيع رقعة الدولة الفاطمية في الشرق ، وفي نظم الحكم الفاطمية ، وفي تلك الفخامة التي كانت تصحبها . وقد سن لأول مرة في تاريخ الفاطميين سنة إقامة الولائم في قاعة الذهب بقصر الخلافة ، وفي تلك القاعة كان ينعقد مجلس الملك ، وظلت هذه السنة قائمة حتى نهاية عصر الفاطميين ، وبلغ عرشه الذي كان يجلس عليه من الفخامة والآبهة حداً عظيماً يفوق كل وصف^(١) .

ولم يطل حكم المعز في مصر ، فقد توفي سنة ٢٦٥ هـ وخلفه ابنه العزيز . ويمتاز عهده باتخاذ خطوات جريئة في نشر الدعوة الشيعية والقضاء على السنة والعطف على النصاري واليهود الذين رفعهم إلى كرسي الوزارة وقلدهم أرقى مناصب الدولة حتى ظهر منهم في عهده يعقوب بن كلس وعيسى بن نسطوروس ومنشا ، وكان لابن كلس الفضل في توجيه نظر العزيز إلى تحويل الأذهار إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية . وقام العزيز بتلك الفتوح العظيمة ، لتوسيع رقعة الدولة الفاطمية الهامسة .

توفي العزيز سنة ٢٨٦ هـ وخلفه ابنه المنصور الذي تلقب بعد توليته الخلافة باسم « الحاكم بأمر الله » ، وكان حدثاً لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، ولما بلغ الخامسة عشرة انفرد بالسلطة . وكانت أحواله متضاربة متناقضة : فقد نهى عن بيع الملوخية والجرجير والقرع لأنه أثر عن بعض أهل السنة الإكثار من تناولها ، ومنع النساء من الخروج من منازلهن ، واشتد في معاملة أهل الذمة وأمر بهدم بعض كنائسهم ثم عدل عن تلك السياسة ، واشتد في معاملة السفينين ولكنه مال إلى أن يخفف من تشدده ، وكان لا يسير على

(١) راجع ما كتبه الدكتور علي إبراهيم حسن ، بعنوان « عظيمة الفاطميين » ، مجلة الكتاب ، ديسمبر ١٩٤٦ .

سياسة واحدة إلى النهاية إزاء طائفة بعينها . كما اشتغل الحاكم بعلم النجوم وادعى علم الغيب وتجسم الإله في شخصه ، وشجع اعتقاده هذا الشعراء المتصلين بالبلاط ، فلم يترددوا في أن ينسبوا إلى الحاكم بعض صفات الله . ومن الأعمال التي خلدت اسم الحاكم « دار الحكمة » التي أسسها في سنة ٣٩٥ هـ وألحق بها عدداً من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة ، كما ألحق بها أيضاً مكتبة سميت « دار العلم » حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكناب . على أن معتقداته الدينية وشذوذه السياسي قد أثاراً سنخط الأهلالي عليه حتى انتهى الأمر باغتياله في سنة ٤١١ هـ ، ويقال إن أخته ست الملك اشتركت في تدبير قتله .

خلف الحاكم ابنه الظاهر ، فألغى كثيراً من القوانين التي أصدرها أبوه وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . ثم خلفه ابنه المستنصر وهو السابعة من عمره ، وكان أطول الخلفاء عهداً ، إذ ظل في الخلافة ستين سنة ، تقلبت البلاد فيها في أدوار شتى ، وظهرت في أوائل خلافته (إلى سنة ٤٣٩ هـ) بمظهر العظمة والقوة . غير أن مصر لم تتمتع بذلك الرخاء طويلاً ، وحلت بالقاهرة هذه المجاعة التي عرفت « بالشدة العظمى » ، وفيها انقطع ماء النيل وأهملت الزراعة وندر القوت .

ولما اشتد الحال هياً الله لمصر رجلاً عظيماً هو « بدر الجمالي » ، وإلى عكا الذي قلده المستنصر الوزارة ، فأعاد إلى البلاد الأمن والنظام ، وانهت الشدة العظمى على يده في سنة ٣٦٥ هـ . وقد توفي الوزير بدر والخليفة المستنصر في سنة ٤٨٧ هـ .

وقد أخذ الضعف يدب في جسم الدولة الفاطمية واستأثر الوزراء بالنفوذ والسلطان ، فأصبح الخلفاء مسلوبى السلطة مع الوزراء الذين عملوا على اختيار خلفاء سفار حتى لا يحولوا بينهم وبين تنفيذ مشيقتهم . ونبع في هذا العصر

عدد من الوزراء نذكر منهم : الأفضل بن بدر الجمالي في عهد المستعلي ، والأمير والأكمل بن الأفضل في عهد الأمر والحافظ ، وبهرام ورضوان في عهد الحافظ . وابن السلار وابن مصال في عهد الظاهر ، وطلائع بن رزيق وابنه أبا شجاع العادل في عهد الفائر ، وشاور وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب في عهد العاضد .

مصر في عصر الأيوبيين والمماليك :

وبوفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ، عمل وزيره صلاح الدين يوسف بن أيوب على الاستقلال بمصر وتأسيس دولة جديدة . وقد تم له ما أراد ، وأسس الدولة الأيوبية بعد أن ناضل بقايا الفاطميين وأنصارهم في مصر وقضى على الفتن التي قامت في وجهه . ومن بينها تلك الفتنة التي أذكى نيرانها الجند السودان بزعامه مؤتمن الخلافة نجاح ، وتلك الحركة التي دعا إليها عمارة النيني الشاعر المعروف ، وفتنة كينز الدولة في أسوان وقوص . وقد ابتسم الحظ لصلاح الدين حين توفي سيده وعدوه نور الدين في شهر شوال من سنة ٥٦٩ هـ ، وهو يتأهب لغزو مصر وإخراج صلاح الدين منها .

كان صلاح الدين من أبرز شخصيات العالم الإسلامي ، وكان عصره من أزهى العصور : أخضع كل الإدارات الإسلامية الشامية ، وجمع دولة نور الدين تحت سلطانه ، وكرس حياته لنضال الصليبيين ، مما أعلّى من قدر الدولة الأيوبية في نظر الدول الشرقية وقوى مركزها .

وقد نهج سلاطين الأيوبيين في مصر نهج صلاح الدين في القضاء على الصليبيين ، ووقفت تلك الدولة بذلك حجرة عثرة في طريقهم وحالوا بينهم وبين تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على مصر وسوريا . كما اهتم سلاطين الأيوبيين بالإصلاحات الداخلية ، فأقاموا المنشآت ، ونهضوا بالتعليم . إلا أن عهدهم

قد تميز بقيام النزاع على عرش السلطنة ، مما أدى في النهاية إلى سقوط الدولة الأيوبية دولة المماليك .

يبدأ تاريخ المماليك السياسى فى مصر باعتلاء السلطان أيبك العرش فى ٥٤٧ هـ (١٢٥٠ م) وقد بقى فى السلطنة حتى ٦٥٥ هـ وقضى فترة حكمه فى القضاء على المناوئين لحكم المماليك . ولم يستمر ابنه على فى السلطنة طويلا ، فقد اغتصبها منه أتابكه سيف الدين قطز الذى هزم التتار فى موقعى عين جالوت وييسان فى الشام ، واسكنه قتل وهو فى طريقه إلى مصر ، وتولى قاتله الأمير ركن الدين بيبرس العرش سنة ٦٥٧ هـ (١٢٦٠ م) .

يعتبر بيبرس من أعظم سلاطين المماليك ، وقد اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام . وأطرب المؤرخون فى مناقبه بسبب ما ابتدعه من النظم والقواعد التى قوت أسس دولة المماليك : فقد نظم الأداة الحكومية واستحدث كثيرا من الوظائف الهامة وأدخل تمديلا جوهريا على النظام القضائى فى مصر كما وجه عنايته إلى إعداد جيش قوى يكون عدة له فى الحروب ليتمكن من القيام بذلك الدور الذى قام به فى محاربة الصليبيين كما فعل صلاح الدين من قبل . هذا إلى ما كان من محاربة المغول ، كما عمل بيبرس على إعادة الأسطول إلى ما كان عليه ، ودأب على ترقية شئون بلاده وتنمية مواردها ، فخر الترع ، وأصلح الحصون ، وأسس المعاهد وبنى المساجد .

وفى عهد بيبرس نقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٦٥٩ هـ لتوطيد سلطان المماليك فى مصر ، كما استحدث نظام ولاية العهد لأول مرة فى تاريخ المماليك (٦٦٢ هـ) ، وورث العرش على هذا الأساس ابنه السعيد بركه خان ثم العادل بدر الدين سلامش اللذين استخف بهما أمراء مضر الأقوياء ، حتى تمكن الأمير سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٩ هـ من اغتصاب العرش من

سلامش بن بيبرس ، وجلس على عرش السلطنة وأسس بيت قلاوون الوراثى (٦٧٩ هـ) ، وظلت السلطنة فى بيته يتوارثها أبناؤه وأحفاده حتى نهاية دولة المماليك البحرية سنة ٧٨٤ هـ . ثم خلفه ابنه الأشرف الذى لعب معه أمراء مصر الدور الذى لعبه أبوه قلاوون مع سلامش ، وبيبرس مع قطز ، وانتهى الأمر بقتله سنة ٦٩٣ هـ ، بعد أن نجح فى فتح عكا واستولى عليها من الصليبيين ، وكان قد استعصى أمرها على أبيه قلاوون بما خلد اسم خليل بين أبطال الحروب ، برغم قصر مدة جلوسه على عرش السلطنة المملوكية ، وانتقل الملك من بعده إلى أخيه الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ — ٧٤١ هـ = ١٢٩٣ — ١٣٤٠ م) .

اعتلى الناصر محمد عرش مصر ثلاث مرات : ظلت الأولى عاما واحداً ، أى من سنة ٦٩٣ هـ إلى سنة ٦٩٤ هـ ، ثم اغتصب الملك منه العادل زين الدين كتبغا فالتصور حسام الدين لاجين ، واستمرت فترة اغتصابهما العرش أربع سنوات (أى من سنة ٦٩٤ هـ إلى سنة ٦٩٨ هـ) . وقد ظل الناصر سنتين أشبه ما يكون بسجين فى القلعة ، حتى أرسله لاجين (٦٩٦ هـ) إلى الكرك . ولكن ما تخمل عمد كتبغا ولاجين من حوادث واضطرابات وفتن ، وما انتاب البلاد من مظاهر الضعف والانحلال فى أثناء حكمهما ، كان من أهم العوامل التى هيات للناصر سبيل العودة إلى العرش . ومن ثم تبتدى مرحلة سلطنته الثانية التى تقع بين سنتى ٦٩٨ هـ و ٧٠٨ هـ .

وأظهر ما نلاحظه عن سلطنة الناصر الثانية تضيق الخناق عليه واستخفاف الأمراء بأمره ، وعدم اكتراثهم لشأنه ، حتى إنه اضطر إلى الرحيل إلى الكرك للمرة الثانية ، وأقام فى جو بعيد عن المؤامرات والدهائن التى كان يحيكها حوله خصومه من أمراء مصر الطامحين إلى النفوذ والسلطان ، غير أن رحيله عن حاضرة ملكه (٧٠٨ هـ) قد مكن بيبرس الجاشنكير من اغتصاب العرش لنفسه .

على أن ذلك لم يهرف الناس عن الناصر أو يضعف من اعتقادهم في أنه يستطيع وحده أن ينقذ مصر من الفوضى التي سادتها في أثناء حكم بيبرس الحاشنكير . فلا عجب إذا لم تنقطع المراسلات بين أمراء مصر من ناحية ، وبين الناصر محمد من ناحية أخرى ، يطلبون إليه العودة إلى بلاده ، ومن ثم تبيأت أسباب هودته إلى مصر ، ليبدأ سلطنته الثالثة (٧٠٩ هـ) التي ظل فيها حتى توفي سنة ٧٤١ هـ .

استمرت سلطنة الناصر محمد الثالثة اثنتين وثلاثين سنة متصلة ، انفراد فيها بحكم مصر ، وتمكن من القضاء على هؤلاء الذين اغتصبوا عرشه أو أقاموا الفتن وأثاروا الدسائس من حوله .

وفي سلطنة الناصر الثالثة ازداد تعلق الشعب به ، لما أتاه من جليل الأعمال وما تكشف لشعبه فيه من جميل الخصال . وبذلك تعتبر هذه الفترة بحق عهد سلطنة الناصر الحقيقية ، لأنه كان قبل ذلك آله في أيدي الأمراء الأقوياء ، يجلسونه على العرش أو يصرفونه كما شاءت أهواؤهم .

يعتبر عصر الناصر محمد بن قلاوون الذي امتد فترة طويلة بلغت ثمانية وأربعين عاماً ، تعد أزهى عصور دولة المماليك البحرية ، فقد توطدت فيه دعائم هذه الدولة ، وبدأت أساليب الحكم والإدارة في الاستقرار بفضل التجارب التي قامت بها حكومته ، وازدهرت الفنون حتى عد المؤرخون عصره أزهى عصور الفن في دولة المماليك خاصة وفي تاريخ مصر الإسلامية عامة .

وعند وفاة الناصر انطلقت أسنة الشعراء لتأبينه ، والإشادة بذكره ، وتقدير شخصيته وتعداد مناقبه . ولا غرو فقد كان الناصر العامل الأول في وضع أسس السياسة العامة للدولة المملوكية ، والمنفذ الأكبر لقواعدها . والمثل الأعلى للسياسي المحنك ، إذ كان شديد البأس ، شديد الرأي ،

مطلماً على أحوال مملكته ، محبوباً من رعيته ، مهيئاً من أمراء دولته (١) .

وقد أطراه أبو المحاسن بعبارات مملوءة بالإعجاب والتقدير لمواهبه وأخلاقه ، ووصف ما نحلى به من حزم وشجاعة ودهاء وكياسة ، فقال : إنه كان أطول الملوك في الحكم زماناً (٢) ، وأعظمهم مهابة وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم دهاء ، وأجودهم تدبيراً ، وأقوام بطشاً وشجاعة . مرت به التجارب ، وقاسى الخطوب ، وباشر الحروب ، وتقلب مع الدهر ألواناً ، ونشأ في الملك والرياسة ، وله في ذلك الفخر والسعادة ، خليفاً بالملك والسلطنة فهو سلطان ، وابن سلطان ، ووالد ثمانية سلاطين من صلبه والملك في ذريته وأحفاده وعقبه وممالكه وممالك إلى أن تنقرض الدولة التركية ، فهو أجل ملوك الترك وأعظمهم بلا مدافع (٣) .

تعاقب على عرش مصر بعد الناصر أولاده وأحفاده ، واحداً بعد واحد ، ثلاثاً وأربعين سنة (٧٤١ - ٧٨٤ = ١٣٤٠ - ١٣٨٢ م) . وقد بلغ عدد هؤلاء السلاطين الذين حكموا مصر من بيت الناصر ثمانية أولاد وأربعة أحفاد ، بلغ متوسط حكم الواحد منهم ثلاث سنوات ونصف سنة . ويتميز عهدهم بصغر سن السلاطين ، وقصر مدة حكمهم لسهولة خلعهم على يد أمراء مصر ، ثم ظهور نفوذ الأتاكه ظهوراً واضحاً واشتداد التنافس بينهم ، حتى أصبح هؤلاء السلاطين أشبه بالاعيب في أيديهم يعزلونهم أو يبقونهم حسب مشيئتهم ، لذلك ضعفت الدولة المملوكية بعد وفاة الناصر محمد واضطربت أحوالها وكثرت الفتن والقلال في جميع أرجائها .

(١) راجع : آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية ، المجلد السابع ، ١٩٤٤ ، للدكتور علي إبراهيم حسن .

(٢) يقصد بالطبع أن مدة حكمه هي أطول مدة جلس فيها سلطان من سلاطين دولة المماليك على عرش مصر .

(٣) النجوم الزاهرة (مخطوط) ج ٤ القسم الثاني ص ٢٧٤ .

وفي الواقع ، لم تكن هناك غير نهاية واحدة لهذه المجموعة من الدمى ، التي تبوأ عرش مصر بعد وفاة الناصر ، وقبضت على السلطة بصفه إسمية . وكان من الطبيعي أن يغتصب العرش أمير قوى كما فعل بيبرس وقلاوون من قبل ، وكان هذا الأمير في تلك المرة هو برقوق الذي تغلب على منافسيه من أمراء العصر واحداً بعد واحد ، ثم خلع آخر سلاطين بني قلاوون سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢م) وأسس دولة المماليك البرجية ، وبذلك زال الملك عن بيت قلاوون بعد أن حكم مصر مائة وثلاث سنين ، قبض فيها قلاوون وابناه الأشرف خليل والناصر محمد على زمام الأمور ، على حين حكم غيرهم من ذرية قلاوون حكماً صورياً ، حتى إن كلا منهم لم يكن أكثر من العوبة في أيدي الأمراء .

سميت دولة المماليك الثانية ، البرجية ، تمييزاً لهم عن المماليك البحرية الذين أقاموا في أبراج العليقة . وأبرز مظاهر هذه الدولة ، ذلك الاضطراب الداخلي الذي ساد عصرها ، فقد اعتلى سلاطينها العرش بعد انقلابات سياسية ، حتى إن عهدهم قد طبع بطابع الفتن والثورات التي كانت تقوم بين حين وآخر .

ولم تكن هذه الحروب الداخلية ، هي كل ما نبت به مصر في عهد المماليك البرجية ، بل كانت هنالك اضطرابات جاءت من الخارج ، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية عنيفة ، شغلت جزءاً كبيراً من جهود السلاطين . أضف إلى ذلك غارات البدو المتكررة على مصر ، وغزوات المغول ، وخاصة في عهد زعيمهم تيمورلنك ، ومضايقات قراصنة الفرنجة في البحرين الأبيض والأحمر ، مما أدى إلى سوء تفاهم بين السلاطين والبابا . هذا إلى منافسات السلاطين العثمانيين لحكام مصر ، حتى أصبحت الدولة العثمانية أعداء المماليك ، وأتيح لها في النهاية أن تحكم مصر وتقضي على دولتهم .

أصبحت مصر في عصر المماليك إمبراطورية شاسعة الأرجاء ، بمدة

الأطراف . وغدت القاهرة قبلة الأنظار وكعبة القصاد ، ومركز الزراعة والتجارة والصناعة ، بفضل تلك الأموال الوفيرة التي كان ينفق منها على وجوه الإصلاح التي كانت من أهم مظاهر ذلك العصر : من كرى الأنهار ، وشق الترع ، وبناء المساجد والمدارس ، والمنشآت الخيرية ، حتى تميز عصر المماليك بتلك المباني الخالدة من قصور منيعة ، وقلاع شامخة ومساجد ضخمة ، تشهد بقوة مصر وعظمتها وجاهاها في تلك الفترة الزاهرة من تاريخها (١) .

فترات حكم هذه الدول :

أولا — فترات كان يربط مصر بالخلافة ، الخطبة والسكة والجزية :

- ١ — عهد تبعية مصر للخلفاء الراشدين ٢٠ — ٤٠ هـ = ٦٤٠ — ٦٦١ م
- ٢ — د د د د الأمويين ٤٠ — ١٣٢ هـ = ٦٦١ — ٧٥٠ م
- ٣ — د د د د العباسيين ١٣٢ — ٢٥٤ هـ = ٧٥٠ — ٨٦٨ م
- و ٢٩٢ — ٣٢٣ هـ = ٩٠٥ — ٩٤٣ م

ثانياً — فترات كانت فيها مصر ، مستقلة في الحكم ، مع التبعية لغيرها في الاسم فقط :

(١) المراجع التي تعرضت لتاريخ مصر ، ووضع فيها مؤلفوها الدول التي حكمت مصر من الفتح العربي إلى الفتح العثماني في صعيد واحد هي :

- ١ — علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى .
- ٢ — Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages .
- ٣ — Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, t. IV, (L' Egypte Arabe) .

وعلى من يريد بحث تاريخ مصر في تلك الفترة دراسة مستفيضة ، أن يتوجه إلى الأصول العربية المنشورة والمخطوطة ، على نحو ما سنبينه في الفصول التالية .

- | | |
|----------------------------|--------------------|
| ٢٥٤ — ٨٦٨ = ٨٢٩٢ — ٩٠٥ م | ١ — زمن الطولونيين |
| ٣٢٣ — ٩٣٧ = ٨٣٥٨ — ٩٦٩ م | ٢ — زمن الإخشيديين |
| ٥٦٧ — ١١٧١ = ٨٦٤٨ — ١٢٥٠ م | ٣ — زمن الأيوبيين |

ثالثا — فترات كانت فيها مصر دولة مستقلة استقلالاً تاماً :

- | | |
|----------------------------|-------------------|
| ٣٥٨ — ٩٦٩ = ٨٥٦٧ — ١١٧١ م | ١ — زمن الفاطميين |
| ٦٤٨ — ٨٩٢٣ = ١٢٥٠ — ١٥١٧ م | ٢ — زمن المماليك |

« كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل ، المغالط في الحطبات
والوقائع ، لاعتمادهم على مجرد النقل غشا أو سمينا ، لم يمرضوها على
أصولها ولا فاسوها بأسبابها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع
الطوائف وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عمدا الحق ونالوا في
بيمار الوهم والغلط » .

ابن خلدون

الباب الثاني

طرق البحث التاريخي

أنواع مصادر البحث — التفكير في موضوع البحث والاستقرار عليه — ترتيب
المادة المجموعة — كتابة البحث — الأمور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة —
المواشى — الملاحق والوثائق — البحث في صيغته النهائية

يجب على الباحث في التاريخ ، أن يعرف كيف ينتهى في عمله بكتابة بحث
على مؤيد بأسانيد تاريخية . ويلزم لذلك أن يعرف كيف يكتشف المادة
ويكتب مذكرات منها ثم كيف يهذبها ويشذبها ويؤلف منها بحثه العلمى .

أنواع مصادر البحث :

وتجب العناية التامة بدراسة مصادر البحث . وهى إما مصادر مخطوطة ،
أو مصادر الرحالة والجغرافيين ، أو مصادر وضعها المؤرخون الأقدمون .
واسكل نوع من هذه المصادر ، ميزته وأهميته الخاصة :

١ - المخطوطات :

هى كتب لم يتم طبعها بعد ولا تزال بخط المؤلف ، أو أخذت عنها صور
شمسية لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة التى تحرص على اقتناء
المخطوط . ومعظم هذه المخطوطات نادر الوجود ، وقد يفقد الكثير منها أو
تضيع بعض أجزائه الهامة ، لسوء الحالة الاقتصادية فى عصر من العصور
أو انتشار المجاعات والأوبئة فى العصر الذى وضعت فيه تلك المؤلفات .
كذلك قد توجد بعض صفحات المخطوط متآكلة بفعل الزمن ، أو رداءة

المسكان المحفوظة فيه . ولذا تستعمل نظارات خاصة لقراءتها . وقد تصل المخطوطات إلينا عن طريق مباشر أى نستخدمها نفسها ، أو عن طريق مؤرخين نقلوا من تلك المخطوطات قبل ضياعها كثيراً مما حوته ، فيبقى لدينا منها مادونه هؤلاء المؤرخون في كتبهم . وتوجد هذه المخطوطات في المتاحف والمكتبات العامة ، والأراشيف ، والمصالح الحكومية وقد أصبح استخدام المخطوطات في البحوث العلمية شائعاً ، وخاصة أن كثيراً من الكتب الهامة ، لم ينشر بعد ، ولذا لا يكون البحث عميقاً دون استخدام المخطوطات .

٢ - مصادر الرمان :

هى المصادر التى وضمها أوائك الذين جابوا الأقطار ووصفها كل منهم كشاهد عيان لما دونه أثناء رحلته من معلومات ، واستقفاها من أفواه أعيان العصر أو عامتهم . ولتلك المصادر قيمة عظيمة فى وصف ما شاهدوه من أزياء طبقات الشعب ، وبلاط الحكام الذين زاروا قصورهم ، واستعرض الجيوش وجلسات المحاكم ونحو ذلك .

٣ - مصادر الإقليم المنشورة :

فائدة مصادر الأقدمين عظيمة للغاية ، لأنها تجلى لنا الغامض من الموضوعات التاريخية ، لتوسعها فى دراسة مآثولته ، وقد يكون مؤلفوها من الذين عاشوا فى العصر الذى يكتبون عنه ، فتزداد الفائدة المرجوة من دراسته ، ولذا يجب معرفة سنة وفاة كل مؤلف . وقد تحوى تلك المصادر أحاديث منقولة بواسطة شخص غير معاصر تماماً من مصدر معاصر ضاع أو لا يعرف مكان وجوده . وتنحصر فائدة مصادر الأقدمين فى أنها تتيح للباحث تتبع أصل العقائد والآفكار والنظريات .

وبجانب المخطوطات ومصادر الرحالة والأقدمين ، لا يصح إهمال المصادر الحديثة ، سواء كانت عربية أو أجنبية ، متعلقة بالتاريخ أو بالآثار . وعلى الباحث تتبع قائمة محتوياتها وفهارسها وصفحاتها المرتبطة بموضوع البحث ، ولذا أثبت في الأبواب التالية - إلى جانب كل كتاب من مصادر الأقدمين مخطوط أو مطبوع - المكتب الحديثة التي تناولت الكلام على نفس الفترة .

وعلى الباحث دراسة الوثائق الرسمية ، المطبوعة والمخطوطة ، ودراسة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والموسوعات التاريخية ، ودوائر المعارف وخاصة دائرة المعارف الإسلامية ، وكتب الفقه ، ومصادر الملل والنحل والنظم لأننا نستقي منها معلوماتنا عن شكل الحكومة الإسلامية ونظام المعاملات بين الأفراد .

وعلى كل حال ، فإن المسألة ليست بعدد الكتب التي تقرأها ، بل المعول على طريقة قراءة تلك الكتب ومدى الاستفادة من كل منها ، وليس من الحكمة أن تجعل عدد الكتب التي تقرأها محدوداً ، فإن تصفح المراجع العديدة يكسب الفاحص القدرة على تمييز القيم من الغث .

الث - كبر في موضوع البحث والاستفراغ عليه :

قبل أن تستقر نهائياً على الموضوع الذي اخترته للبحث فيه ، يجب أن تتخذ الخطوات الآتية : -

١ - اقرأ عن موضوع بحثك ، ولو في كتب لا تعد أصالية . وتستطيع بعد قراءة تلك ، أن تكون رأياً أقرب ما يكون إلى الصحة ، عن المسائل البارزة التي ستناولها بالبحث في اختيارك له ، لتحكم إذا كانت هذه المسائل وحدها جديرة بالبحث فيها ، باعتبارها نقطة هامة في موضوعك تستطيع أن تجلي غامضها وتأتي فيها بجديد .

٢ — عليك بعد تلك القراءة أن تضع تصميمها أو مشروعها تمهيداً لبحثك وهو المعبر عنه باسم التبويب . على أن هذا المشروع أو التبويب أن يكون نهائياً إلا فيما بعد ، حين تتقدم في كتابة البحث ، إذ يجب أن يكون هدفك الأول التفكير في العناوين الكبيرة الرئيسية ، أى عناوين الفصول ، ثم تأتى بعد ذلك العناوين الفرعية الثانوية . على أن تجعل تلك العناوين واضحة دقيقة ، تدل على ما تنوى معالجته من موضوع .

٣ — وإذا أتقنت هذه المرحلة ، وعرفت بالتقريب محتويات بحثك وأهميتها في التاريخ ، وقيمة المصادر التى ستقرأها ودرجة تمكنك من الاستفادة من كل منها وطريقة الاستحواذ عليها ، سرت فى جمع مادتك — وهى المرحلة الثانية من مراحل البحث — بكل دقة وشغف .

مجمع المادة :

إذا بدأت عملية الجمع ، كان عليك أن تفهم أنها أدق مراحل البحث ، ولذا يجب ملاحظة ما يأتى .

١ — أن يكون تحت يدك عدد وفير من الأوراق المتساوية الحجم لتدون عليها ما تكتب ، وهى إما بطاقات أو أفرخ ورق أو قصاصات رقيقة . واستعمال أفرخ الورق أكثر فائدة لإمكان عمل هامش كبير فى كل منها يستخدم فى عمل التعليقات وتدوين بعض النصوص .

٢ — أن تكتب على وجه وتترك الوجه الآخر ، وتجنب الكتابة فى الكراسات .

٣ — أن تجتهد فى تدوين ما تجمع من مادة بالخبر وبخط واضح وبدقة تامة ، كي لا تعوقك رداءة الخط أو عدم وضوحه عن استعمال ما جمعت عندما تبدأ فى الكتابة .

٤ - أن تحصر بوجه التقريب الكتب التي ستطلع عليها ، وتعرف أين يوجد كل منها ، لتذهب إلى مكان وجوده ، أو تستعيره أو تقرأه في نفس مكتبته ، أو تشتريه إن كان ذلك ميسوراً لك وخاصة إذا كنت سترجع إليه دواما . على أن هذا الحصر لقائمة المصادر - مثله كمثل التبويب - ليس نهائياً لأنه كلما تقدم بك البحث والقراءة في تلك المصادر ، ستجد فيها إشارات إلى مصادر أخرى ، وهذا يقودك إلى إضافة مصادر جديدة إلى تلك القائمة . وقد تعطى درجة الامتياز في البحث للعثور على مادة في مصادر غير متوقع وجودها بها .

٥ - أن تبدأ بقراءة المصادر التي ستجمع منها مادتك قبل أن تبدأ الكتابة ، ويصح أن تكون القراءة عبارة عن إلقاء نظرة سريعة لتحديد ما ستكتبه منها ، حتى لا تضيع وقتك في تدوين مالا حاجة به .

٦ - أن تنقل ما تأخذه من الكتاب ، سواء أكان عربياً أو أفرنجياً ، بنفسه بدون تحريف ، لأن التعديل يكون عند ما تبدأ في الكتابة .

٧ - أن تكتب في أعلى كل صفحة من الصفحات التي دونت فيها مادة بحثك ، اسم المصدر واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة ، ويجب أن تتبع ذلك ، ولو استغرق الموضوع الواحد عدة صفحات .

٨ - إذا بدأت عنواناً جديداً ، فعليك أن تبدأ صفحة جديدة .

٩ - يجب عليك ، قبل أن تترك المصدر الذي تبحث فيه ، أن تدون في ورقة مستقلة ، اسم الكتاب واسم مؤلفه بالكامل وتاريخ طبعته وملخص محتوياته ومبلغ ما أفدته منه ورأيك الخاص فيه . وتتبع ذلك في كل مصدر تقرؤه بحيث يتسكون عندك في النهاية ما تسميه (بحث في المصادر) التي استعملتها .

١٠ - إذا استعملت مصدرا من طبعة معينة ، فاستمر في قراءته إلى النهاية ، ولا تستعمل نظيره من طبعة أخرى ، لأن عدد الصفحات في كل

طبعة يختلف عادة عن الطبعة السابقة أو اللاحقة ولاحتمال التعديل في المادة بين طبعة وأخرى^(٢).

ترتيب المادة المجموعة :

إذا أنقنت عملية جمع المادة في ورق متساو ، وبخط واضح ، مكتوب بالحبر ، ووضعت كل عنوان جديد في صفحة مستقلة مدونا عليها اسم المصدر الذي استقيت منه مادتك ، وبعد أن تستوعب كل المصادر المطلوب منك الإطلاع عليها في موضوع بحثك سواء كانت مصادر ثانوية ، أو مطبوعة قديمة أو حديثة . أو مخطوطة ، عربية أو أجنبية . وبعد التأكد من قراءة كل ماتحتاجه عن المادة المطلوبة لموضوعك ، سواء كان ماورد فيها في الصلب أو في الحاشية ، تبدأ بعد ذلك في ترتيب المادة ، مستعينا بمشروع البحث أو التبويب ، على أن تراعى في ترتيبها الأمور الآتية :-

١ - تبدأ بوضع المادة التي جمعتها عن موضوع معين مع بعضها ، كي يمكنك بسهولة مقارنة ماكتبه أحد المؤرخين بماكتبه الآخر ، وحتى لا تتكرر حقيقة من الحقائق التاريخية في أكثر من موضع من بحثك ، وإلا أصبح موضوعك مشتتاً . وهنا تظهر فائدة تدوين اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة على كل ورقة ، وتظهر أيضا فائدة تساوى حجم الورق وعدم الكتابة في كراسات .

٢ - تقوم بعملية وضع مادة كل موضوع مع بعضها بمنتهى الحذر والدقة ، وتضع الورق الذي جمعته من مصادر أكثر أهمية وأكثر وفاء للمادة ، من أعلى ، وتليها الأقل أهمية وهكذا .

(١) يلاحظ أن المعلومات الواردة في هذا الباب ، عبارة عن تجارب شخصية ، وسئل إليها المؤلف نتيجة ما وضعه من الكتب التاريخية ، ودراساته وبحوثه .

٣ - تأتي بعدد من أفرخ الورق وتكتب على كل منها عنوان جزء من بحثك وتضع داخله الأوراق الخاصة بهذا الجزء ، ثم تجهز عدداً من الدوسيهات تضع داخلها هذه الأفرخ التي تحتوي على جزئيات موضوع من موضوعات البحث ، ليكون لكل باب دوسيه مستقل ، واستعمل دبائيس كلبس في وضع مادة كل جزء مستقل مع بعضها .

البَّره في كتابة البحث :

إذا أتقنت أمر مشروع بحثك بعد أن تستقر نهائياً عليه واستعملت الأناة والصبر المقرونين بالدقة والنظام في جمع المادة ، ثم أجهدت نفسك في ترتيب ما جمعت واستوعبته ، واطمأنت إلى أنك أصبحت جديراً بالكتابة فيه - كان عليك أن تبدأ كتابة البحث ، مراعيًا ما يأتي : -

١ - يحسن جداً أن تكتب على أنصاف أفرخ ورق مسطر ، فتكتب على سطر وتترك سطرًا ، وتضع هامشاً كبيراً على الجانب الأيمن ، وتكون يقظاً أثناء الكتابة لتحديد المساحة التي تستغرقها كتابة الحواشي أسفل الصفحة .

٢ - لكي تكتب : يجب أن يكون أمامك الأوراق الخاصة بالموضوع الذي تكتب عنه ، وهو الذي أشرت بمحصر الأوراق التي جمعتها عنه داخل دوسيه أو فرخ ورق . ضع أمامك هذه الأوراق مرتبة من أعلى إلى أسفل حسب أهمية المصادر ووقائها بالموضوع .

٣ - قلب هذه الأوراق واقراء ماتحتويه بإمعان ، معملاً ففكرك أثناء القراءة في أوجه الاختلاف والتشابه بين المؤرخين الذين كتبوا عن حقيقة معينة ، ومازاده مؤرخ عن الآخر ، وما أجمع عليه المؤرخون بصدد موضوع واحد ، ثم تحدد المؤرخ الذي خالف الإجماع إن وجد .

٤ - أترك هذه المذكرات جانباً فترة قليلة من الوقت ، لتختصر في ذهنك وتلقى عليها ضوءاً من مصارة عقلك ، واترى كيف تبدأ في كتابة هذا الجزء وكيف تنتهى منه ، وأى الأجزاء أجدر بالتطوير والتفصيل وأيهما جدير بأن تمر عليه مر السكرم لأنه مألوف معروف ، ولتعلم متى ستعلق على حادثة ما وتقارنها بأخرى شبيهة لها ، سواء من نفس العصر أو من العصر الذى سبقها أو تلاها ، حتى تفتح في النهاية إنتاجاً حسناً وتتمخض الفكرة عن شىء له قيمته .

الأمور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة :

إذا فعلت ذلك ، ابدأ في الكتابة مستعيناً بما دونت من مذكرات منظمة ، على أن تلاحظ :

١ - سلاسة الأسلوب وسلامته وسهولته وضوحه ، وأن تكون الحقائق مترابطة بعضها بجانب بعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ومن النوع الذى يعبر عنه بأنه « مركز » أى الذى إذا أخرجت منه كلمة تداعت من أجلها بقية الكلمات ، ليس من النوع الذى إذا ضربت صفحاً عن عدد وافر من صفحاته لم تشعر بأنك فقدت شيئاً ذا قيمة بل تشعر أنك قد بذلت مجهوداً فيما لا طائل تحته ، على أن تروض نفسك على الحذف أو الزيادة أو الاختصار فيما كتبت حسب رأى أستاذك الذى يعد كالجراح الماهر يضع مريضه على الجزء العليل . وقد تتردد أنت أحياناً في جزء من بحثك مع أنه كان قد بدا لك سهلاً بادىء الأمر .

٢ - أن يكون الترتيب الزمني مراعى في كل ماتسكتب . فتأخذ نقطة واحدة معينة ، ثم تتبعها وفقاً للترتيب الزمني ، لأن « طريقة السنوات » أى تناول الحوادث سنة فسنة ، عمل لا أهمية له ولم يعد من التاريخ الصحيح في

شئ . وإذا اضطررت إلى الرجوع إلى عصر سابق أو لاحق للاستشهاد بحادثة ، يراعى الاختصار التام ، فإذا زاد الكلام عن سطرين يجعل حاشية

٣ - أن تهتم في تفسير الأماكن والمواضع في صلب البحث بكلمة أو كلمتين ، كأن تقول بلدة كذا القريبة من دمشق مثلا ، حتى لا تضطر كل مرة إلى كتابة عدة أسطر في الحاشية منقولة من « معجم البلدان » ، لياقوت ، وتكون بعد قراءتها كمن فسر الماء بعد الجهد بالماء .

٤ - أن تفتح الفصل الذى تكتبه بمقدمة أو ملخص لا يزيد عن أربعة أسطر ، لتدل القارى على خطتك في الكتابة ، وتبني ذهنه لما سوف يقرؤه وبعد ذلك أسرد التفاصيل ، وإذا استعصى عليك كتابة المقدمة أولا فاكتبها بعد أن تنتهى من الفصل وتستقر عليه .

٥ - أن تختتم الفصل الذى تكتبه بفقرة تبين أهم ما وصلت إليه من نتائج ، وفي هذه الخاتمة تعمل على جمع ما سردته من حقائق في صورة مقتضبة ومرتبطها بما سوف يتبعها من حقائق أخرى في الفصل الذى يلى . والبداية والنهاية تتطلبان مقداراً كبيراً من الاهتمام ، لأنهما أهم أجزاء الفصل ، ومن ثم يحتاجان إلى مجهود أكبر من المجهود الذى تتطلبه بقية الأجزاء الأخرى .

٦ - أن تكون هناك مساواة بقدر الإمكان في عدد أوراق كل فصل ، حتى لا يكون هناك فصل عدد صفحاته ١٥ صحيفة مثلاً وآخر ٦٠ صحيفة . ولذا يجب أن تضع تصميماً يوضح نسبة أجزاء البحث بعضها إلى بعض ، على أن يراعى فيه أن تحتل المسائل الهامة مكاناً أكبر من الأمور الأقل الأهمية .

٨ - أن تقرن كل سنة هجرية بنظيرتها الميلادية ، وتستعين في الوصول إلى ذلك بالجدول الذى وضعها باللغة الانجليزية Lt. Colonel Wolsely Haig

٨ - أن تثبت ما تستقيده من مصادر أجنبية معرباً بلغة عربية سليمة ، أما

مانأخذہ بالنص من مصدر عربی فضمه بين شولات ، سواء أكان عن حادثة أو جزء من وثيقة هامة .

٩ - ألا تريد الفقرة المنقولة بالنص عن سطرين أو ثلاثة ، فإنه لا يصح أن تكثر من الاقتباسات الحرفية من المکتب ، لأن النقل أو الترجمة شيء لا يستحق الباحث الثناء أو التقدير من أجلهما .

١٠ - أن تبدأ الفقرات بالأسماء وموصوفاتها ، ولا تبدأها بكلمات مثل « ولكن ، ونحوها .

١١ - أن تعلق على الحوادث بين آن وآخر ، حتى لا يكون ما تكتبه عبارة عن سرد لبعض نقط معينة ، دون إظهار آرائك الشخصية .

١٢ - أن تحترم آراء المؤرخين الاعلام وتقدر وجهات نظرهم ، على ألا تصدق كل ما يقولونه . ولكن يجب أن يكون تفنيذك لما ذهبوا إليه مما لا يتفق وآراءك برفق حين تكتب ، كأن تقول : ذهب المؤرخ فلان إلى القول بأن . . . ولكن ما أجمع عليه المؤرخون يدلنا على أن . . . دون أن تذكر عبارات مثل : ترىنا الحادثة الآتية كذب المؤرخ فلان أو دحض كلامه ، لأن ذلك فيه تحقير للمؤرخين دون موجب ، مما ينافي جانب الوفاء والتقدير لأمثالهم .

١٣ - أن نحاول أحيانا الإجابة عن أسئلة نضعها ، يكون في الإجابة عليها جلاء لبعض النقاط الغامضة . ووضع هذه الأسئلة والإجابة عليها يعتمد تماما على قدرتك على الابتكار والتعليق على الحوادث وعلى منطقك وتفكيرك وخيالك .

١٤ - ألا نخرج عن الموضوع الذي نكتب عنه ، إلا إذا أردت مقارنة

مسألة من المسائل بمسألة تاريخية مشابهة لها ، ولا تستطرد في تلك التشبيهات حتى لا تخرج عن موضوع البحث .

١٥ - يصح أن تكتب أجزاء من بحثك كلما قطعت شوطاً في جمع المادة المطلوبة ، على أن تعيد الكتابة وتضيف مراجع جديدة إلى تلك التي استخدمتها عند بدء العمل ، لأن ترك الكتابة حتى تستكمل جمع كل ما يلزمك من مادة ، خطوة قد تؤدي إلى تسكيس العمل وإرهاق الباحث .

المواشي :

لا تقل أهمية المواشي عن أهمية صلب البحث ، وكلما كانت المواشي قيمة ، دل ذلك على مجهود الباحث ، لأنك لا تكون محل ثقة القارئ إذا لم تشر إلى المرجع الذي اقتبست منه مادون من مادة ، ولذا يجب الاهتمام بها ومراعاة الأمور الآتية عند كتابتها :

١ - ضع سطوراً قصيراً مستقيماً يوازي ربع سطر في أسفل الصحيفة ، بعد معرفة عدد الأسطر التي تستغرقها كتابة المواشي في الصحيفة .

٢ - إذا أخذت حقيقة من مصدر ، فاثبت اسم المؤلف والمصدر في الحاشية ، أما إذا اتفق عدد من المؤرخين على ذكر حقيقة واحدة فيكتفى في الحاشية بذكر اسم المصدر الأهم . وفي الحالتين يوضع رقم عند نهاية الكلام الذي أخذ من هذا المصدر ، سواء أخذته بالنص موضوعاً بين شواهد أو اقتبست المادة التاريخية وأثبتها بلغتك دون لغة المؤلف .

٣ - إذا حوت الحاشية أكثر من مصدر واحد ، لتعريف حقيقة واحدة ، فعليك بذكر اسم المصدر الذي توفي مؤلفه أولاً ثم الذي يليه وهكذا . وتأتي بالمصادر الحديثة العربية ثم المصادر الأجنبية بعد ذلك .

٤ - ألا تكتب المصدر الأجنبي بمفرده في الحاشية ، لأنه غالباً ما يكون

قد استقى مادته من مصدر عربي . أما المصدر العربي ، فيصح أن تثبته بمفرده في الحاشية أو يقرن عند الضرورة بمصدر آخر أفرنجي أو عربي .

هـ - تراعى الأمور الآتية عند كتابة الحاشية :

(أ) يكتب رقم الحاشية ثم يذكر اسم المؤلف أولا وبعده نقطتان رأسيتان هكذا : ويوضع بعدهما اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحات .

(ب) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر عربي ، تكتب كالاتي :

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤ - ١٥

وليس من الضروري أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر بالكامل ، مادامت الإشارة إلى جزء من أحدهما تغني عن الباقي وتدل على المطلوب فيقال مثلا :

(٢) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٧٣

بدلا من تقي الدين المقرئ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

ج ١ ص ٧٣ .

(ح) وإذا كان المصدر عبارة عن مخطوط ، يكتب بين قوسين بعد اسم المصدر كلمة (مخطوط) فيقال :

(٣) يبرس الدوادار : زبدة الفكرة (مخطوط) ج ٩ ص ٢٩ .

(و) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر أفرنجي ، تكتب كالاتي :

(٤) Lane — Poole : Egypt in the Middle Ages, P.30

وإذا زاد عدد الصفحات التي تذكر في المصدر الأفرنجي عن صحيفة واحدة

يكتب قبل الرقم حروف pp. (أي صفحات) .

وليس من الضروري أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر الأفرنجي

بالكامل ، كما هو الحال بالنسبة إلى المصدر العربي ، فيقال مثلا :

Muir : The Caliphate, P. 90

بدلاً من :

Sir William Muir : The Caliphate, its Rise, Decline and Fall, P. 90 .

(هـ) إذا تكررت حاشية تحوى نفس المؤلف والمصدر ، فيكتفى بالإشارة إلى المؤلف ، وتكتب كالاتى :

المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٧٣ .

إلا إذا اختلف رقم الجزء فيشار إليه .

وإذا تكرر المصدر الأفرنجى ، يشار إليه فى الحاشية بكلمة Ibid أو يكتب بجوار اسم المؤلف Op. Cit. إذا جاء اسم المؤلف فى صفحة تالية .

٦ - توضع الحاشية فى الأحوال الآتية :

(١) إشارة إلى المصادر التى استقيت منها مادتك فى الفصل الذى تكتبه . ومن المعتاد فى هذا المقام أن تكتب إشارة واضحة مقتضبة تشمل لقب المؤلف واسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات . وإذا كان هناك أكثر من مؤلف يحمل نفس الاسم ، فلا بد من كتابة الاسم كاملاً للتمييز . وإذا كان المؤلف الواحد أكثر من كتاب ، فعليك أن تشير إلى اسم الكتاب أو إلى أكبر جزء من هذا الاسم عند الاقتباس .

(ب) ذكر حوادث مماثلة ، يخشى أن تفسد الترتيب الزمنى ، إذا وضعت فى صلب البحث .

(ح) تفسيرات لمواضع بعض البلدان أو لبعض الكلمات الصعبة ، ولا يصح وضعها فى الصلب لطولها .

(د) بيان أورده أحد المؤرخين ينفى ما أجمع عليه الآخرون .

(هـ) إشارة إلى أسماء الملاحق ، والجداول ، والخرائط ، والصور ، التى تفسر بعض نواحي البحث .

(و) إشارة إلى معالجتك للموضوع في مكان آخر من بحثك ، وذلك لكي تتجنب التكرار .

(ز) قائمة بالأسماء والأعداد التي إذا ما وضعت ضمن مادة الفصل ، جعلته غير متناسق .

الملاحق والوثائق :

اعتاد بعض الباحثين وضع الوثائق التاريخية في صلب البحث ، مما يستغرق عدة صفحات ، تقطع على القارئ سلسلة تفكيره وتمنع ربط الحوادث المتسلسلة بعضها ببعض . لذلك يجب أن يراعى ما يأتي فيما يتعلق بالوثائق التاريخية :-

١ - أن نوضح مرقومة في نهاية البحث ، على أن تشير في الصلب إلى رقم الملحق أو الوثيقة ، ونحيل القارئ عند الرجوع إلى الملحق إلى الصفحة التي ورد ذكره فيها في صلب البحث .

٢ - أن تكون الوثيقة من كتاب مخطوط أو من كتاب مطبوع نادر الحصول عليه . أما في حالة الوثائق الواردة في كتب متداولة مطبوعة فيستحسن إحالة القارئ إلى هذه الكتب بعد إيضاح اسم المؤلف والكتاب ورقم الصفحة الواردة فيها الوثيقة .

٣ - يجب أخذ الوثيقة من مصدر واحد ، حتى لا يحدث اضطراب عند نقلها ، قد ينتج من اختلاف عبارات الوثيقة في المصادر المختلفة .

٤ - إذا وجدت اختلافات جوهرية خاصة بوثيقة ما في مصادر متعددة ، يستحسن الإشارة إلى أوجه الشبه والاختلاف بينها ، وذلك في الحاشية .

٥ - ينبغي تفسير ما غمض من كلمات أو عبارات الوثائق ، في الحاشية أيضاً ، حتى لا يكون مجهودك في هذه الوثائق هو نقل ما حوته دون أن تثبت للقارئ تفهمك ما فيها .

٦ - وقد تعمل ملاحق لنوع خاص من الملاحظات التي لا يمكن لطلوها أن توضع في أسفل الصفحة . وقد تشمل : تحليل الحوادث ، أو حقائق علمية بحتة لا يجوز وضعها في سياق الموضوع ، وقائمة الأسماء الطويلة المنقولة من المصادر .

البحث في صيغته النهائية :

رتب بحثك على النحو الآتي :-

- ١ - ورقة أولى توضح عليها اسمك وعنوان بحثك .
- ٢ - تبويب البحث تبويبا واضحا ، على أن تبين فيه رقم صفحة كل موضوع يشمله بحثك .
- ٣ - صلب البحث .
- ٤ - المصادر التي استقيت منها مادة بحثك ، مرتبة ترتيبا أبجديا حسب أسماء المؤلفين ، مع بيان رقم المخطوط منها ومكان وجوده ، وتاريخ الكتب المطبوعة وعدد أجزاءها .
- ٥ - الوثائق المطولة التي ترى إثباتها كاملة في نهاية البحث لأهميتها .
- ٦ - الجداول ، إن وجدت .
- ٧ - الخرائط والصور ، إن وجدت ، ويصح وضع كل منها في موضعه من البحث .

الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

أوراق البردى الكاملة — أوراق البردى غير الكاملة —
النقوش — المسكوكات — النحف — الرنوك -

أوراق البردى :

يستلزم الكلام على مصادر مصر في العصور الوسطى ، البدء ببيان أهمية أوراق البردى Arabic Papyri في دراسة تاريخ الإسلام وحضارته .

وقد عثر على أوراق البردى في مصر في مكان قريب من أهرام سقارة ، وبعد مئتي وخمسين سنة ، وجدت كمية كبيرة من الأوراق البردية في الفيوم ، وهي موجودة الآن بين مجموعات أوربية متنوعة محفوظة في فينا وبرلين وباريس . واكتشفت مجموعات أخرى من تلك الأوراق في أخميم والأشموين والبهنسا وميت رهينة وأدفو . ووجد بعض هذه المجموعات من أوراق البردى متلاصقة متماسكة إلى حد يقرب من تحجرها مطموسة بالتراب ، ووصل إلينا البعض الآخر ممزقا كاه أو بعضه لرطوبة الأرض أو بفعل النيران ، وهذه الأوراق الممزقة قد تكون هي الأكثر قيمة . وكثيراً ما وجدت أوراق البردى محفوظة في جرار من فخار أو سلال أو ملفوفة في أدراج صغيرة مربوطة في دوائر أو برباطات صغيرة من البردى أيضا عليها طابع المؤلف وخاتمه .

وهذه الأوراق لها قيمة كبرى في دراسة التاريخ الإسلامي . فمن طريقها

عرفت أسماء ملوك عظماء شيدوا آثاراً خالدة ، وأمكن معرفة سيرة كثير من ولاية مصر وخاصة في عهد تبعية مصر للأمويين والعباسيين ، ونظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية ، ونظمها الاقتصادية ، والحالة الاجتماعية . ومنها نعلم أيضاً أثمان الأصناف الصناعية والحاجيات والماشية وأثمان الأراضي والعقارات ، وقيمة النقود الفسبية . أما الحياة الداخلية فقد وضحت أساليبها عن طريق هذه الأوراق ، التي كشفت عن أمور دقيقة ذات تأثير في مجرى الحوادث الجارية^(١) .

وهذه الأوراق ، هي مصدر هام لتاريخ مصر الإسلامية ، لا يستطيع مؤرخ وصف الحياة العامة في مصر وصفاً دقيقاً ، دون الرجوع إلى هذه الأوراق التي أخرجت من أرض مصر .

وأوراق البردي الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H.G. Bell بنشره ، وهي موجودة في الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردي المحفوظة بالمتحف البريطاني في لندن . وقسم مكتوب باللغة العربية ، قام بلشره الأستاذ أدلف جروهمان Adolf Grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعة الألمانية في راج (القاهرة ١٩٣٤) وحوى عدداً وفيراً من أوراق البردي ومجموعة من الألواح ، وقام بترجمته من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وهو من الكتب الجديرة بالقراءة والدرس .

(١) راجع : نبذة في علم قراءة الأوراق البردية العربية ، محاضرتان ألقاهما الدكتور أدولف جروهمان Adolf Grohmann في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة في مساء ٥ أبريل سنة ١٩٣٠ ، تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠) .

الكتابات الأثرية :

وهناك مصادر ذات فائدة محققة ، لما ينتج عن الفتن والثورات من ضياع بعض المصادر ، ونستطيع منها أن نقف على بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق بأحوال مصر في عصر معين ، وهذه المصادر هي الآثار من مساجد وتحف نفيسة كالمنسوجات والمصنوعات والأحجار والمعادن والأخشاب والزجاج والخزف ، فإننا لو شاهدنا أثراً من الآثار أمكننا أن نقف على العصر الذي ينتسب إليه هذا الأثر ، بعد أن ندرس ما على هذا الأثر من الكتابات أو النقوش .

ومتحف الفن الإسلامى (فى ميدان أحمد ماهر بالقاهرة) وغيرها من دور الآثار فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وغيرها ، حافلة بمجموعات قيمة تدل على براعة المصريين ومقدرتهم الفنية فى الصناعة ، وتبرهن بوضوح وجللاء على أن الفن المصرى فى العصر الإسلامى هو فن الزخرفة والذوق ، بخلاف الفن المصرى القديم فإنه دليل على المقدرة والعظمة والصفامة .

وعن طريق هذه المصادر المادية ، أمكن الكشف عن كثير من الحقائق التاريخية التى بينت لنا العلاقة الوثيقة بين الدراسات التاريخية والعلوم المساعدة كالكتابات والنقوش التاريخية والمسكوكات والمتحف الفنية والرنوك .

وما يدل على قيمة الآثار ، الأمثلة الآتية ، التى توضح لنا أن الباحثين حين يعجزون عن الوصول إلى حقيقة معينة عن طريق المصادر التاريخية ، يلجأون إلى قراءة ما على الآثار ، علمهم يصلون إلى ما لم يرد فى تلك المصادر :

١ - فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، مجموعة قيمة من قطع النسيج عليها بعض أسماء أمراء الدولة الطولونية وأسماء يظن أنها أسماء عمال الخراج أو مديري المصانع الحكومية المختصة بصناعة الوشى والديباج فى العصر الطولونى .

ومن هذه القطع قطعة عليها اسم الخليفة الممتدى العباسي ، واسم محمد بن هلال عامل الخراج الذي خلف أحمد بن المدير في تلك الوظيفة سنة ٢٥٦ هـ ، وهذه القطعة رقم ٨٧٠ مطرزة بحروف من الحرير الأحمر تؤيد حضور ابن هلال إلى مصر في تلك الوظيفة . ومن تلك القطع قطعة عليها اسم الخليفة المعتمد العباسي وعليها أيضاً اسم خمارويه وبيان بأنها صنعت في مصنع النسيج في تيس سنة ٣٢٨ هـ ، و قطعة عليها اسم الخليفة الممتدى العباسي واسم محمد بن شاهين الذي يرجح أنه كان مديراً لأحد المصانع .

٢ - ثبت لدى المؤرخين أن جامع ابن طولون بديء في بنائه سنة ٢٦٣ هـ ، وفرغ منه وأعد للصلاة سنة ٢٦٥ هـ ، وذلك لوجود تاريخ الفراغ منه في النقوش التاريخية التي وجدت على لوحة من الرخام مكتوبة بخط كوفي ، عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية ، حين كانت تجري بعض الأعمال في الجامع . وكان بعض المؤرخين قد ذهب إلى أنه شرع في بناء هذا المسجد في سنة ٢٥٩ هـ ، فكان العثور على تلك الكتابات التاريخية ، سبباً في وضع حد لهذا الاختلاف .

٣ - أمكن للمؤرخين عن طريق هذه الكتابات التاريخية، تحديد الألقاب التي اتخذها السلاطين لأنفسهم : فقد ثبت لدينا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اتخذ لنفسه لقب وقسيم أمير المؤمنين ،^(١) بعد أن وصات إلىنا قطعة نقود ضربت بالقاهرة باسم الناصر عليها هذا اللقب^(٢) .

وشهد بطبيعة العلاقة بين السلطان والخليفة ، كتابتان تاريخيتان باسم السلطان قايتباي في ضريح شيد حوالي سنة ٨٨٦ هـ ويعرف باسم قبة الغداوية

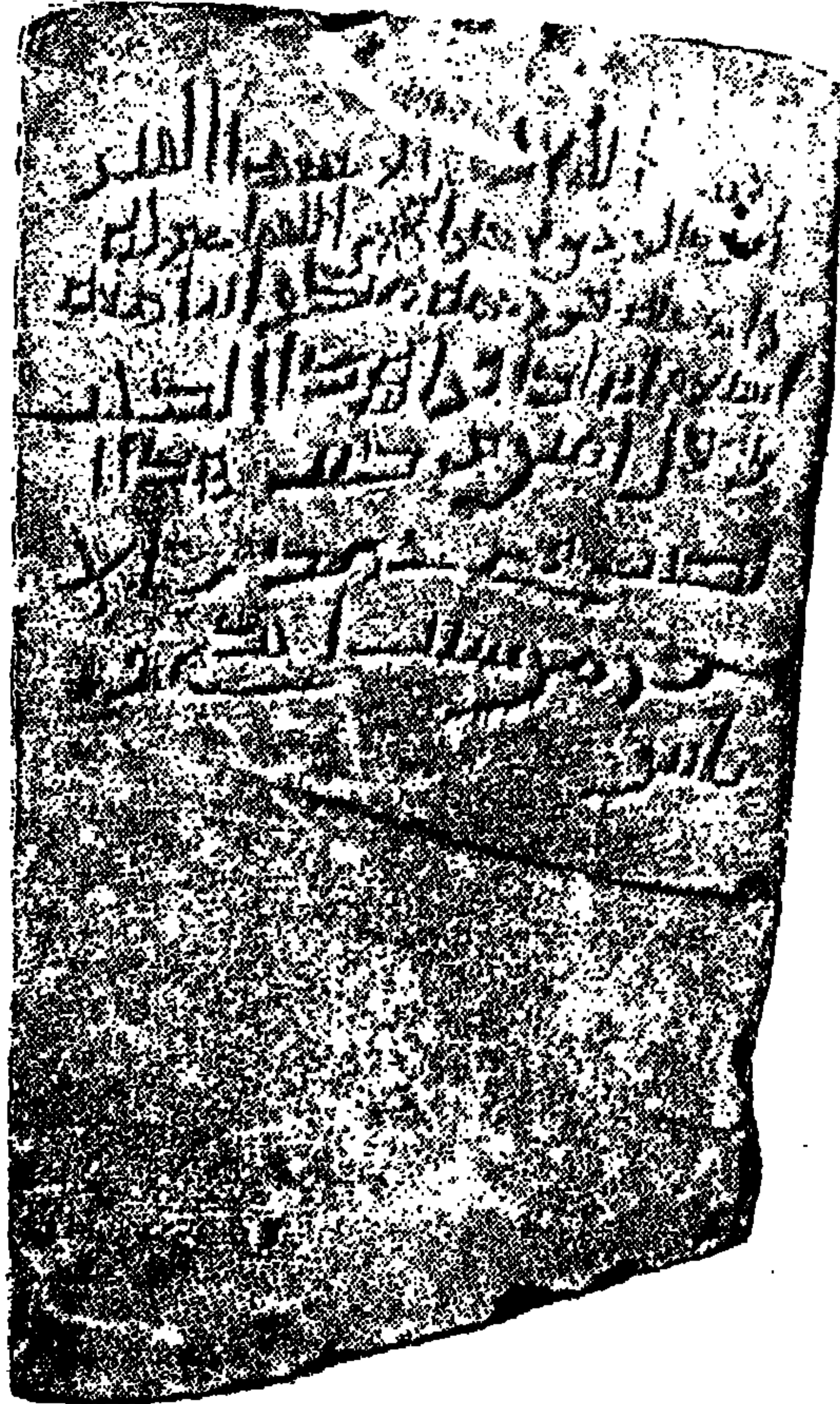
(١) يشير لقب وقسيم أمير المؤمنين إلى طبيعة العلاقة بين الخليفة والسلطان .

(٢) Henri Lavoix : Catalogues des Monnaies Musulmanes

de la Bibliothèque Nationale, Egypte et Syrie, p 329 .



دينار من عهد السلطنة شجرة الدر (القاهرة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م)



شاهد عليه نقوش تاريخية

ففي الكتابة الأولى يلقب قايتباي بألقاب منها : ناصر دين الله حافظ بلاد الله
قسيم خليفة الله ، ، وفي الكتابة الثانية يذكر بين ألقابه : ناصر الملة المحمدية
الحنيفية والخلافة العباسية سيد الملوك والسلاطين قسيم أمير المؤمنين ، .

وثبت عن طريق دراسة السكة الهندية أن نفوذ الخليفة المستكني بالله
قد امتد في سنة ٧١٦ هـ (١٣٢٦ م) على بلاد الهند ، إذ منح محمد بن طغلق حاكم
دلهي تفويضاً بالحكم كان له أكبر الأثر في تدعيم سلطانه^(١).

وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة كرسى (عشاء) من نحاس أصفر ،
مفشوري الشكل ، مسدس الأضلاع ، مخرم وملبس بالفضة ، أصله من مارستان
السلطان قلاوون ، وعليه كتابة بها ألقاب السلطان الناصر محمد ، وسطحه
وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية والنباتية والخطية وعليه صور بط يطيح
واسم الصانع محمد بن سنقر البغدادى ، وتاريخ صنعه (٥٨٢٨ = ١٣٢٧ م) .

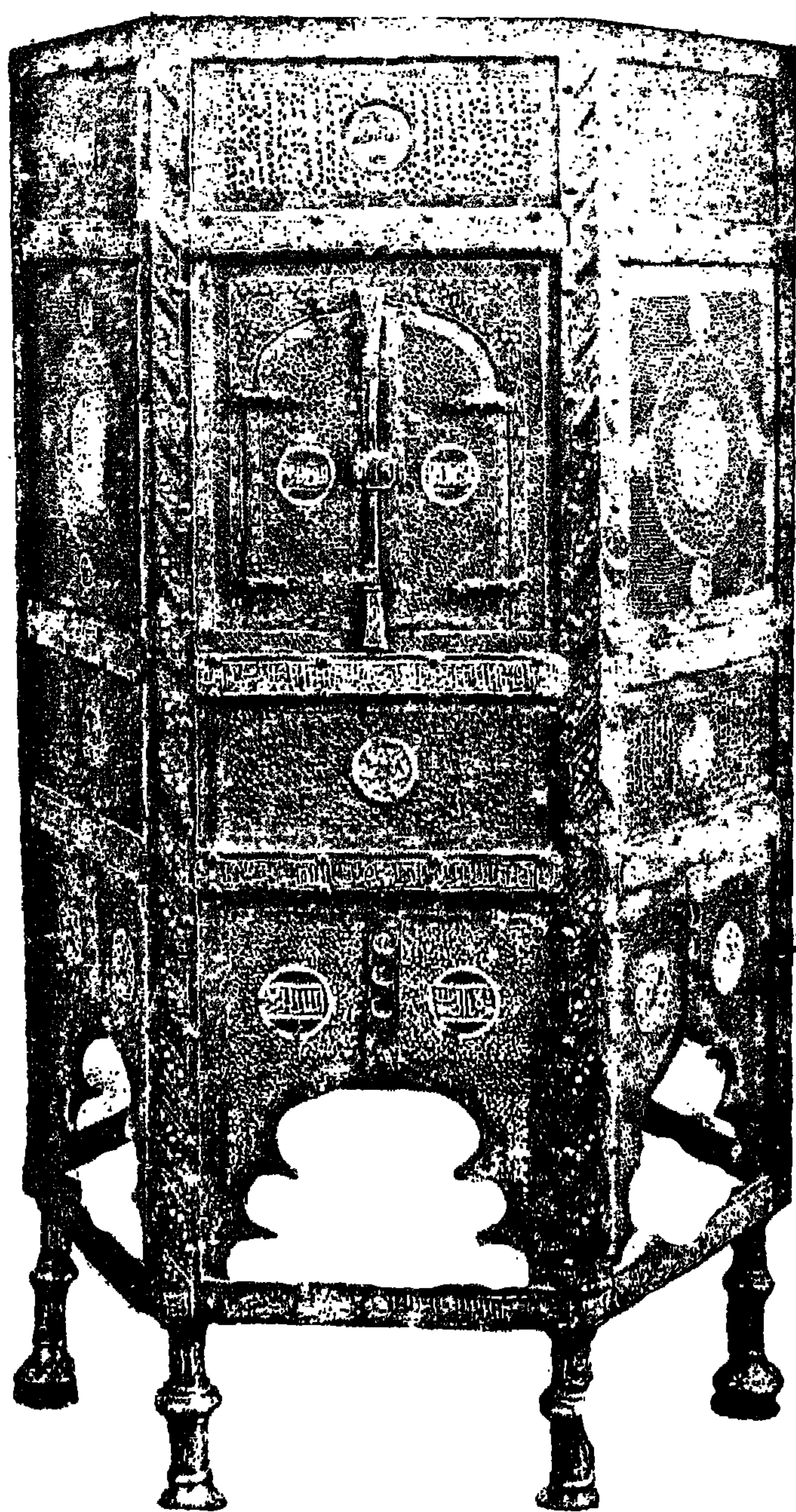
وفي كتابة تاريخية على برج بقلعة الجبل بالقاهرة أمر بإنشاء هذا الهرج
المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان الناصر ... وبدؤه في جمادى الأولى
والفراغ في شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، .

وكثيراً ما نجد في الكتابات التاريخية التي ترجع إلى أواخر العهد المملوكي ،
أن السلطان يتخذ لقب الإمام الأعظم ، الذي كان يمثل سلطة الخليفة الدينية .
وأقدم هذه الكتابات واحدة ترجع إلى عهد السلطان جقمق نحو
سنة ٥٨١ هـ .

٤ — وأمكن عن طريق الرنوك^(٢) أى شعار الوظائف ، معرفة نوع

(١) Nelson Wright : Coins and Metrology of the Sultans
of Delhi, pp. 163 — 170

(٢) الرنوك : كلمة فارسية الأصل ، مفردتها رنك ، استعملت في العصور
الوسطى للدلالة على الأشعة .



كرسى من النحاس على شكل منشور ذى ستة أضلاع مطعم بالذهب
والفضة وعظم ، وسطه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية ،
وعليه كتابات فيها ألقاب السلطان الناصر محمد .

وظائف أصحاب الأشعة : فشعار الدوادار (سكرتير) مثلاً ، المقلبة ، والطست دار (المشرف على المخازن) والسلاح دار (حامل السلاح) ، السيف . والبندقدار ، السهم . والأمير آخور (أمير المعلف أو المتولى الإشراف على الاصطبلات) ، وحدوة الفرس . والجمدار (المتولى أمور الملابس) ، بقجة . والجاويش (أحد أربعة من جنود الحلقة ووظيفتهم السير أمام السلطان أو النائب في مواكبه للنداء وتنبيه المارة) ، قبة مذهبة . والساق (متولى السقاية والإشراف على الموائد) ، كأس . والجمدار ، عصا البول . والجاشنكير (ذائق الطعام) ، جويحة (أى منضدة) . والعلم دار (المتولى أمر أعلام السلطان) ، علم . والطبل دار ، الطبله والعصا . والبشمقدار (حامل الأغذية) ، الحذاء . والجمقدار (عامل الدبوس) ، الدبوس . والبريدى ، دائرة ذات ثلاث شطف (١) .

ومن أهم مصادر الآثار الحديثة ، المبنية على دراسة النقوش والمسكوكات والتحف ، مايلي مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء مؤلفيها ، نثنتها تنمة للفائدة :

Dozy (B) :

١ - دوزى

(a) Dictionnaire des Noms de vêtements chez les Arabes
(Paris 1845) .

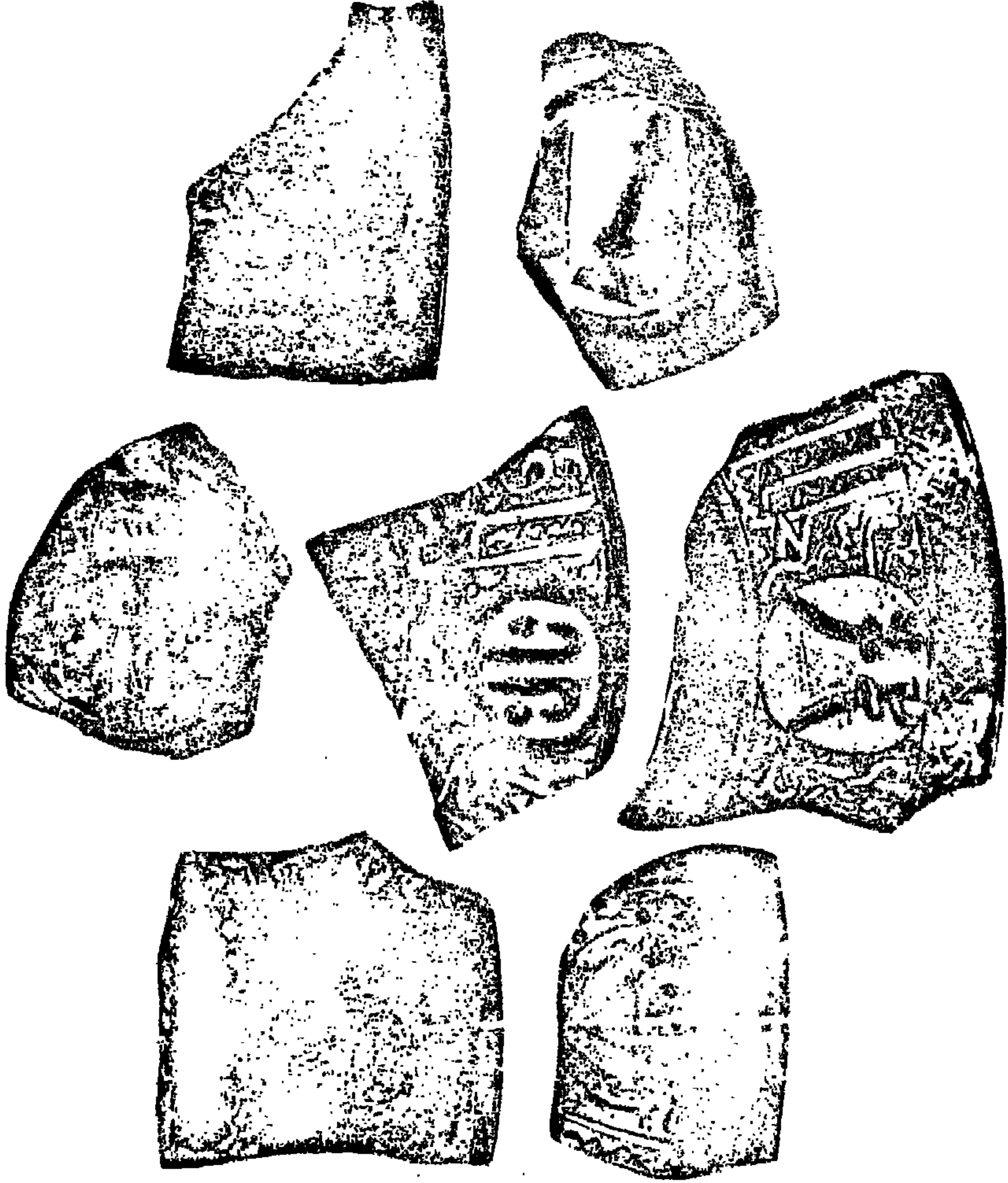
(b) Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols (Leyden 1881)

Devonshire (R.)

٢ - ديفنشير

Rambles in Cairo (Cairo 1931)

(١) انظر مقالة « الرنوك المملوكية » ، بمجلة المقتطف ، العدد الخامس من المجلد الثامن والتسعين (مايو ١٩٤١) ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥



قطع من الفخار المطلي بالمينا الصفراء عليها رنوك من عصر المماليك .
محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

Wright (R.N.)

٣ - رايت

The Coins and Metrology of the Sultans of Delhi (Delhi, 1936)

٤ - زكى محمد حسن

- (ا) الفن الإسلامى فى مصر (من مطبوعات متحف الفن الإسلامى)
(ب) التصوير فى الإسلام (من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر)
(ح) كنوز الفاطميين (مطبوعات متحف الفن الإسلامى سنة ١٩٣٧)
(د) فنون الإسلام (القاهرة سنة ١٩٤٧)

٥ - عبدالرحمن زكى

القاهرة (القاهرة سنة ١٩٤٣)

٦ - على بهجت

Les Manufactures d'étoffe en Egypte, au Moyen - Age
(Le Caire, 1904.

Dsception de L'Egypte

٧ - علماء الحملة الفرنسية :

المعروف باسم « وصف مصر » أو « خطط مصر ».

وضعه علماء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ، فى ٢٤ مجلدا كبيرا ،
وبه مئات الخرائط والجداول والرسوم . وقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة : أولها
قسم الآثار ويحوى بحوثا عن آثار مصر العائرة . وثانيها قسم الحالة الحديثة
والمعاصرة إلى وقت الفتح الفرنسى ويشتمل على وصف لبلاد الصعيد والوجه
البحرى والقاهرة وعادات مصر الحديثة ويتخلل ذلك ملخص لتاريخ الممالك .
والثالث هو قسم الخواص الطبيعية . وتشتمل مجموعة الخرائط والرسوم
على مئات الخرائط الجغرافية لمصر ومئات الرسوم لآثار مصر القديمة والإسلامية .
وقد اعتمد مؤلفو كتاب « وصف مصر » على بعض مؤرخى مصر الإسلامية
ولاسيما المقرئى .

ولا يفوتنا أن نشيد بذكر هذه المجموعة التي كتبها علماء الحملة الفرنسية عن مصر وأحوالها، في وقت كانت فلول الممالك لاتزال متحركة بالبلاد محتفظة بتقاليدها وكثير من عاداتها القديمة . والصور التي فيها تمثل إلى حد كبير الملابس والأسلحة التي كانت مستعملة في أيام الممالك . وليس بمتحف الفن الإسلامي أية ملابس أو أسلحة مما ينسب إلى هذا العصر، وكل ما هنالك سيفان أحدهما باسم السلطان طومان باي والآخر باسم السلطان الغوري، وهما معاصران لآخر دولة الممالك البرجية . وقد عاشا قبيل الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ م . ونجد كذلك بمتحف الفن الإسلامي تحفاً مختلفة ، عليها رنوك تنسب إلى العصرين المملوكيين الأول والثاني وتمت إلى الناحية الحربية بصفة .

وفي كتابي « التاريخ الحربي لمحمد علي وأبنائه » للجنرال فييجان Weygand (جزءان) و « المعارك الحربية لمحمد علي وإبراهيم » للأميرال دوران فيل Durand Veil (جزءان) ، صور تمثل حالة الممالك الحربية في مصر في عصر محمد علي ، وتوضح العدد الحربية من أسلحة وغيرها مما كان مستعملاً في عصرهم ، وهي على كل حال تعطينا فكرة لما كان عليه الحال في العصر المملوكي ^(١) .

Van Berchem (Max)

٨ - فانه برشم

Matériaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Le Caire, Imprimerie de L'Institut Francais d'Archéologie Orientale, 1924)

أي « جامع الكتابات التاريخية » ، وليس لأي باحث في التاريخ الإسلامي غنى عنه . رأى هذا المؤلف أن للعمائر الإسلامية وما عليها من كتابات ، أخطر الشأن وأجل الفائدة في دراسة المدنية الإنسانية وتطور الحياة العقلية والسياسية والأدبية لأمم الشرق الأدنى . فعول على أن يصف العمائر المذكورة

(١) أما عن السلاح في عصر الفاطميين ، فيراجع كتاب « كنوز الفاطميين » للدكتور زكي محمد حسن وما جاء فيه من مراجع .

وأن يجمع نصوص ما عليها من السكتابات وأن يضمها مؤلفاً كبيراً ظهرت في حراشيه ثقافته العظيمة وعلمه الغزير . وأنتم جاستون فييت عمل فان برشم فـكتـب الجزء الثاني من هذا المرجع . وتضافر تلاميذ فان برشم وأعوانه على تحقيق رغبته في جمع كل النصوص العربية المكتوبة على العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ونهض بأعباء هذا المشروع كومب Et. Combe وفيت G. Wiet وسوفاجيه G. Sauvaget الذين أهدوا هذا السجل الجامع الشامل إلى روح فان برشم^(١) .

Weill (D.)

٩ - فايل

Catalogue Générale du Musée Arabe, Objets en Cuivre, t. 111 .

Creswell K. R. C.

١٠ - كريزويل

(a) Early Architecture (Oxford, 1933) .

(b) A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt
(B. I. F. R. O. T. XVI.)

(c) The Foundation of Cairo (Bulletin of the Faculty of Arts,
University of Egypt, Vol. I. Part 2, Dec. 1933) .

Kendrick

١١ - كندريك

Catalogue of Muhammadan Textiles of the Mediaeval Period
(Victoria and Albert Museum).

Lavoix

١٢ - لافوا

Catalogue de Monnaie Musulmanes de la Bibliothèque
Nationale, Egypte et Syrie .

(١) راجع ما كتبه الدكتور زكي محمد حسن في كتاب « في مصر الإسلامية ،
بعضوان « مصادر مهمة في دراسة التاريخ الإسلامي » ، ص ١٥٥ - ١٥٧

Lane -Poolè:

١٣ - لينبول

(a) The Art of the Saracens (London , 1888) .

(b) Coins and Medals (London, 1892) .

١٤ - ماير أستاذ علم الآثار الإسلامية بالجامعة العبرية في فلسطين Mayer

Saracenic Heraldry, (Oxford, 1933) .

وهو من المصادر الهامة في علم الرنوك ومعناها ورسومها .

Hautecoeur et Wiet

١٥ - هوتكوير وفيت

Les Mosquées du Caire (2 Vols. Caire, 1932) .

الباب الرابع الآداب والتاريخ

أبو الفرج الأصبهاني — ابن هانيء الأندلسي — الشريف الرضي —
عمارة البني — القاضي الفاضل — عماد الدين الأصفهاني .

الآداب سجل للحوادث ، ومرآة صادقة للحضارة ، فكثيراً ما جلى الشعراء في شعرهم نواحي من المجتمع لم يعرض لها غيرهم ، وصوروا في شعرهم أحداثاً خفيت تفاصيلها وجانب الحق فيها على نفر من المؤرخين . وأصدق الشعر في وصف الحقيقة هو ما سائر الحوادث واستلهم الوقائع . على أن الاستشهاد بالشعر في إثبات الحقائق التاريخية ، يجب أن يكون في حالة الضرورة القصوى ، لأن الشعر ليس مصدراً أساسياً للتاريخ . من أمثال هؤلاء الشعراء المؤرخين :

١ — أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) ^(١) .

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد

، كتاب الأغاني ، ٢١ جزءاً (٢٠ جزءاً طبع القاهرة ١٢٨٥ هـ)
والجزء ٢١ طبع في أوربا سنة ١٣٠٥ هـ .

ولد أبو الفرج سنة ٣٨٤ هـ ، ونشأ في بغداد ^(٢) ، وصفه ياقوت

(١) السنوات المثبتة . أمام اسم كل مؤلف ، هي سنة وفاته .

(٢) تجد تاريخ حياة الأصبهاني في ياقوت : إرشاد الأريب ج ٥ ص ٤٩ — ٧٦

فقال : « العلامة النسابة الإخبارى الحفظة الجامع بين سعة الرواية والحذق فى الدراية . لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها ، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعراً . »

ينتهى نسب الأصبهانى إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وكان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث ما لم ينافس فيه فيه أحد من علماء عصره ، وكان عالماً فى اللغة والنحو والسير والطب وعلم النجوم ونحوها .

جمع كتابه « الأغاني » فى خمسين سنة ، وكتبه مرة واحدة فى عمره ، وأهدى تلك النسخة إلى سيف الدولة الحمدانى ، فمنحه ألف دينار ، وعنه قال ياقوت فى إرشاد الأريب : « ولعمري إن هذا الكتاب الجليل القدر الشائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد والبحث والهزل البحث ، . »

وعدد ياقوت مؤلفات أبى الفرج ، فذكر من بينها : الأغاني الكبير ، مجرد الأغاني ، الأخبار والنوادر ، أخبار الطفيليين ، الخارين والخانات ، جمهرة النسب ، إلى آخر تلك المؤلفات التى وضعها أبو الفرج وأرسلها إلى حكام المغرب ، فأحسنوا جائزته وأجزلوا له العطاء ، ولكن لم يعد منها إلى المشرق إلا القليل . وكان أشملها جميعاً وأهمها كتابه « الأغاني » الذى يعد بحق من أمهات كتب الأدب العربى ، فقد ترجم صاحبه لأكثر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين ومحدثين ، كما ترجم لسكل من عرف اسمه من المغنين فى الدولة الأموية والدولة العباسية ، وأورد أخبار الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام .

وقد قام المرحوم الأستاذ محمد الحضرى بنشر هذا الكتاب بصورة أكثر ترتيباً ونظاماً ، وأطلق عليه اسم « مذهب الأغاني » ، وجاء فى تسعة

أجزاء . وذكر أن هذا الكتاب رغم فائدته الأدب والتاريخ في حاجة إلى التنظيم والتهديب ، فقال : « بيد أن هذا الشهد كثرت حوله الإبر حتى حالت بين الجمهور والانتفاع به وقللت من مقدار نفعه للمتأديين » . وشرع في تهذيب هذا الكتاب منذ سنة ١٩١٩ م واعترضته في سبيل ذلك عقبات شاقة ، ذلها بطول الصبر والأناة ،^(١) .

وبما يوضح قيمة كتاب « الأغاني » ، أن المسيو جويدي ، عكف على تنظيمه ، فوضع لنا فهرست كتاب الأغاني ، للإمام أبي الفرج الأصبهاني ، ألفه باللغة الفرنسية والعربية ، ورتبه على أربعة فهارس : الأول - لأسماء الشعراء ، والثاني - للقوافي ، والثالث - لأسماء الرجال والنساء والقبائل ، والرابع - لأسماء الأماكن والجبال والمياه . وأخرجه في مجلدين (ليدن ١٨٩٥ - ١٩٠٠ م) .

وكما هذب الأستاذ محمد الخضري ووضع له مسيو جويدي فهرساً ، كذلك وضع الإمام اللغوي جمال الدين بن حبة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المولود بمصر سنة ٨٦٣٠ والمتوفى سنة ٨٧١١ مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، اختاره من كتاب الأغاني ، ورتبه على حروف المعجم ، وجاء في ثلاثة مجلدات ، الموجود منها الثاني فقط ، بخطوط بدار الكتب المصرية ، مأخوذ بالتصوير الشمسي من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريللي بالآستانة .

(١) راجع مقدمة كتاب « مذهب الأغاني » ، ج ١ ، ص ١ ، لمحمد الخضري .

٢ — ابن هاني رانداسي (٣٦٢ هـ = ٩٧٣ م) :

أبو القاسم المكنى بأبي الحسن محمد

ديوان ابن هاني* (بيروت ١٣٢٦ هـ)

نشأ محمد بن هاني في قبيلة الأزد ، ولد في أشيلية في بلاد الأندلس ، وقضى بها أيام صباه ، واتصل بصاحب أشيلية ، ونال الحظوة لديه . وانهمك في دراسة الفلسفة والتعمق فيها حتى اتهم بالكفر والإلحاد ، فنقم عليه أهل هذه المدينة وأساءوا الظن بالملك بسبب اتصاله به ، وأشار عليه بالبعد عن هذه المدينة فترة حتى ينسى الناس أخباره . ولذا رحل عن إشبيلية سنة ٣٤٧ هـ وقبيل ٣٥٣ هـ ، وعمره سبع وعشرون سنة ، فلقى جوهر القائد ومدحه ، ثم ارتحل إلى أبي جعفر يحيى بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي أمير المسيطة وأمير الزاب ، ومن أنصار العلم والعلماء ، فبالغا في إكرامه والإحسان إليه ، فنعى خبره إلى المعز فطلبه منهما ، فلما وفد عليه بالغ في الاهتمام بأمره وأغدق عليه عطاياها ، ثم توجه إلى الديار المصرية فشيعة ابن هاني إليها ثم عاد إلى المغرب ليصطحب معه أسرته ويلحق بعد ذلك بمولاه . ولكنّه بعد أن وصل إلى برقة في طريقه إلى مصر ، أضافه شخص من أهلها ، فأقام عنده أياما في مجالس الأئمة والطرب ، وتوفي بعدها . واختلفت الروايات في طريقه وفاته : فقيل إنه مات مقتولا على يد الأعراب الذين نزل ضيفا عليهم وقيل إنه خرج سكران فنام في الطريق ووجد ميتا في الصباح (٢٣ رجب سنة ٣٦٢ هـ) وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون سنة^(١) .

وتنحصر أهمية ابن هاني الأندلسي في أنه أشار في ديوانه إلى الدعوة

(١) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٢ ص ٥ . ياقوت : إرشاد الأريب ج ٢

الفاطمية في أيام الخليفة المعز وأشاد بمآثر هذا الخليفة ومجد أعماله ، حتى وصل به هذا الغلو أن نسب إلى المعز بعض صفات النبوة والالوهية . وبهذا مهد ابن هانيء طريق الإلحاد لمن أتوا بعده من الشعراء .

ذلك أن المعز استعان بالشعراء ، في نشر الدعوة الفاطمية ، وعلق عليهم أهمية كبرى ، وتابعه في سياسته من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ، وتقاضى هؤلاء الشعراء رواتب كبيرة ، وأغدقت عليهم الهبات السنية ، وكانوا يختارون ممن اشتهروا بسعة الاطلاع ، وامتنازوا بالمقدرة في فن الإنشاء ، حتى يستطيعوا إقناع الناس بحججهم القوية وعباراتهم الرصينة ، بما ترمى إليه الدعوة الفاطمية . ولذا ترى رجال الأدب الشيعة قد نظموا القصائد تمدحها في المعز ومن جاء بعده من الخلفاء ، وجاراهم في ذلك المضمار عدد من الشعراء السفين ، ولو أنهم كانوا أكثر اعتدالا في مدحهم من الشعراء الشيعة الفاطميين . وكان خبر إغداق الخلفاء على الشعراء المناصرين لهم بالهدايا والعطايا ، قد اتصل بمسامع الشعراء المقيمين في غير مصر من الأقطار . فدفع ذلك الكثير من هؤلاء إلى الهجرة إلى مصر واتخاذها دار إقامة ، حيث استقبلوا بجميع مظاهر الترحيب . وكان أكثر الشعراء رحىلا إلى مصر ، شعراء الدولة العباسية ، لأن تلك الدولة لم يكن لها إذ ذاك من النفوذ والسلطان ما كان لها قبل أن تصبح تحت سيطرة قواد الأتراك وفي قبضة بني بويه والسلاجقة ، فلم يلقوا أى مظهر من مظاهر التشجيع في بلاط الخلفاء العباسيين في بغداد فرحلوا إلى مصر .

وأشاد ابن هانيء الأندلسي بمحامد العلويين ، وناط به المعز الآمال الكبيرة ، عسى أن يحاكي الشعراء العباسيين ويذمهم . وإذا تصفحنا ديوان هذا الشاعر ، وجدنا أكثره قد نظم في مدح المعز ، قال ابن هانيء :

ما شئت لاما شئت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكانما أنت النبي محمد وكانما أنصارك الأنصار^(١)

ووصف ابن هانيء ذلك الجيش الضخم الذي أهده المعز لفتح مصر فقال :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

وعبر ابن هانيء عن سرور المعز بفتح مصر بقصيدة ، قال في مطلعها :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبي العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشرى ويقدمه النصر^(١)

ومن أكبر العوامل التي دعت خلفاء الفاطميين إلى العناية بنشر الدعوة الفاطمية وتعميم مذهب الشيعة بين المصريين ، ذلك الشك الذي تطرق إلى أصل الفاطميين ، فمن قائل إنهم ينتسبون إلى عبد الله بن ميمون الذي أطلق عليه لقب القداح لأنه كان يشتغل بتطبيب العيون . ومن قائل إنهم ينتسبون إلى اسماعيل بن جعفر الصادق من نسل علي وفاطمة . وقد تباینت آراء المؤرخين بصدد نسب الفاطميين : فأمن بعضهم في القدح في نسبهم كابن النديم (٣٨٣هـ) في «وفيات الأعيان» ، وابن واصل (٦٩٧هـ) في «مفرج الكروب» في تواريخ بني أيوب ، ، والذهبي (٧٤٩هـ) في «تاريخ الإسلام» ، والسيوطي (٩١١هـ) في «تاريخ الخلفاء» ، فإن هؤلاء جميعا أنكروا نسبهم إلى علي وفاطمة .

وتصدى مؤرخون آخرون للدفاع عنهم وإثبات أن الفاطميين علويون من آل البيت ، ومنهم : ابن الأثير (٦٣٠هـ) في «الكامل في التاريخ» ،

(١) ديوان ابن هانيء ص ٨٦

وابن خلدون (٨٠٨ هـ) في « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، وفي « المقدمة » ،
والمقرئى (٨٤٥ هـ) في « الخطط » ، و« اتعاظ الخنقا » ، وعلى الرغم من هذا
الاختلاف بين المؤرخين ، في هذه المسألة التي تعد من أعقد المشاكل في تاريخ
العصور الوسطى ، فإنه يمكن القول بوجه عام ، أن نسب الخلفاء الفاطميين
إلى فاطمة صحيح ، وأنه بسبب هذا الغر الذي ساد المعتقدات الفاطمية ، رأى
منافسوهم أن يقضوا على ما ادعاه الفاطميون من النسبة إلى فاطمة .

واتخذ خلفاء الفاطميين خطوات جريئة في سبيل نشر دعوتهم ، حتى ادعى
الخليفة الحاكم الفاطمى تجسم الإله في شخصه ، واستعان بالدعاة لتأكيد ألوهية
الحاكم . وقد كتب دعاة الفاطميين في سنة ٤٠٨ هـ ، كتابا بعنوان :

« رسائل الحاكم بأمر الله والقائم بأمر دعوته » .

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢٢٠ من مخطوطات
الشيعة في ٦٤ ورقة ، ويشتمل على عشرين رسالة ، تصف الأساليب التي بواسطتها
نشر الخلفاء الفاطميون وأنصارهم دعوتهم السياسية والدينية ، كما أنها تعدنا
ببيان مسبب لدعوى الحاكم الألوهية .

٣ — الشريف الرضى (٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م)

« ديوان الشريف الرضى » ، (بيروت ١٣٠٧ هـ)

ومن الكتب الهامة المماثلة لديوان ابن هاني وألفت في عصر الفاطميين ،
« ديوان الشريف الرضى » ، ولد مؤلفه في بغداد ، سنة ٣٥٩ هـ وتقلد وظيفة
نقيب الأشراف بها .

وديوانه مرتب على خمسة أبواب :

الباب الأول - في المديح . والثاني - في الافتحار وشكوى الزمان .
والثالث - في المراثي . والرابع - في النسيب والمشيب .
والخامس - في الفنون المختلفة .

ورتب كل باب منها على حروف المعجم ، ويليهما الزيادات والآيات
المفردات ، مرتبة على حروف المعجم أيضاً .

وللشريف الرضى قصيدته المعروفة ، التي قالها في مدح الخلفاء الفاطميين ،
حين عزله الخليفة العباسي القادر في سنة ٤٠٢ هـ عن النظر في المظالم وعن
إمارة الحج ، ومنها :

مامقامى على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمى
أحمل الضيم في بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا ي إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرفه سيدا التا س جميعاً محمد وعلى

وقد أثارت هذه القصيدة حنق الخليفة العباسي ، فدعا إلى جمع الفقهاء
وأقطاب العلوية ، واستكتبهم محضراً في ربيع الثاني سنة ٤٠٢ هـ ، كله طعن
وتشهير في نسب الفاطميين .

٤ - عمارة اليمنى (٥٥٦٩ = ١١٧٤ م)

القاضى الفقيه أبو محمد عمارة بن الحسن بن زيدان الحسكى القحطاني
، النكت المصرية ، في أخبار الوزراء المصرية ،

طبعة Hartwig Derenbourg (شالون ١٨٩٧ م)

وجاءت في ثلاثة أجزاء ، معها مقدمة وترجمة وملاحظات باللغة الفرنسية
للمسيو هارتوج ، وفهرس بأسماء الرجال والنساء والدول وآخر بالبلدان

والملل والنحل ، ومختارات من ديوان شعره في المدح والهجاء والنسب والرياء والعتاب من محور شتى ، مرتبة قوافيها على الحروف الهجائية ، وعدة رسائل له في الشوق والعتاب والشكر والمناجاة .

كان عمارة من أهل تهامة في اليمن ، وأوفده أمير مكة إلى مصر رسولا من قبله ، فدخلها في أول ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في عهد الخليفة الفائز ووزيره طلائع بن رزيك ، وعظم قدره لدى الخليفة بعد أن أنشده في قاعة الذهب بالقصر الفاطمي أولى قصائده ، فقد خلع عليه الخليفة الخلع الموشحة بالذهب ودفع إليه الوزير خمسمائة دينار وأتته مثلها من السيدة أخت الخليفة . وازدادت مكانته لدى أمراء الدولة وأقاموا الولائم تكريما له .

عاد عمارة بعد ذلك إلى مكة ، ولكن أميرها أنفذه في مهمة أخرى سنة ٥٥١ هـ (أبريل ١١٥٦ م) . ومن ثم استقر في القاهرة ، وصار من أظهر شعراء العصر الفاطمي في عهد الخليفين الفائز والعاقد . وبعد موت الوزير ابن رزيك ، قرب به الوزير شاور حتى كان يتردد على داره ويجلس إلى مائدته مرتين في اليوم كما أحسن إليه الوزير الصالح بن رزيك لما امتاز به من سمو المواهب .

وقد تأثر عمارة بمظاهر الترحيب التي خصه بها الخلفاء والوزراء الفاطميون ، ولكنه رغم هذا رفض اعتناق مذهب الشيعة ، وأشار إلى ذلك في ديوانه بقوله :

مذاهبهم في الجود مذهب سنة وإن خالفوني في اعتقاد التشيع

وقد كان لإغداق الفاطميين الهبات على عمارة ، ما جعله يتأسف على سقوط دولتهم ويتذكر أيامهم بالآلم والحسرة ، حتى قال : « ذكر الله أيامهم بحمد لا يكل نشاطه ولا يطوى بساطه ، فقد وجدت فقدم وهنت بعدم » (١) .

(١) حارة اليمنى : النكت المصرية ص ١٢٩

صدر عمارة كتابه « النكت العصرية ، بتاريخ حياته ، وذكر أخبار الوزراء سواء أكانوا معاصرين له أم غير معاصرين . وتنحصر أهمية عمارة في معاصرته للحوادث التي جرت بمصر في أواخر أيام الفاطميين ، فكان كشاهد عيان لهذه الحوادث . وأمدنا في كتابه بمعلومات ذات غناء عن الخليفة الفائز والخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين في مصر وعن الوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة ، وأشاد بذكر هؤلاء جميعا . ولكتاباه قيمة كبرى لمن يريد معرفة الحقيقة في سقوط الدولة الفاطمية .

وقد وضع أحد الأدباء (واسمه غير معروف) كتابا سماه :

« مختارات من ديوان عمارة النكتي » .

ورتب قوافيها على الحروف الهجائية ، وهي في الغزل والنسيب والمدح والهجاء والعتاب والرثاء . ومعهما عدة رسائل نثرية المواقف في الشوق والعتاب والمدح والشكر والشكاية والمفاجأة ، كتبها جوابا عن بعض رسائل أصدقائه إليه . وهو موجود بدار المكتب المصرية بالقاهرة .

عمل عمارة بعد سقوط الفاطميين ، على إعادة الحكم إليهم ، إذ اعتبر الأيوبيين مقتصبين للعرش الفاطمي ، وبلغ من تحقير هذا الشاعر شأن صلاح الدين أنه كان يطلق عليه لقب « المملوك الصغير » . واستطاع عمارة في سبيل الوصول إلى أغراضه أن يضم إلى حركته كثيراً ممن جمع بينهم الحقد على الدولة الأيوبية ومن تأثرت مواردهم المالية نتيجة قيامها . فجمع حوله كثيراً من السودانيين ، وبعض التركمان الحاقدين ، وبعضاً من قواد صلاح الدين الحاسدين له لوصوله إلى الوزارة ، بل أكثر من ذلك أن المتآمرين ضد صلاح الدين فاضوا عموري ملك بيت المقدس ، وراشد الدين سنان رئيس الإسماعيلية الحشيشية ، لإرسال حملات إلى مصر ضد الأيوبيين . وانضم كبار موظفي الدولة إلى حركة عمارة النكتي أمثال عبد الجبار بن اسماعيل داعي الدعاة ،

وابن كامل قاضى القضاة ، وعبد الصمد السكاتب ، وجماعة من بنى رزيق من أسرة شاور والعوريس ناظر الديوان^(١).

ومما زاد فى خطورة هذه الحركة ، اتفاق عمارة اليمنى مع ملك صقلية النورماندى على مهاجمة الشواطىء المصرية فى الوقت الذى تقوم فيه الثورة ضد الأيوبيين فى القاهرة ، فأرسل ملك صقلية أسطولاً كبيراً مكوناً من ٢٨٢ قطعة ، وحاصر الاسكندرية بالمجانيق والدبابات لمدة ثلاثة أيام ، استبسلت فيها حامية الاسكندرية وقارمت بكل شجاعة ، ولكنها أوشكت على التسليم ، لولا أن صلاح الدين أعلن أنه سيمدها بالعتاد والذخيرة ، فأوجس الأعداء خيفة ، ورفعوا الحصار وهربوا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة فى سفنهم . وكذلك لم يبرر ملك بيت المقدس بوعده فى إرسال حملته لما علم بمصير حملة ملك صقلية وبقضاء صلاح الدين على مدبرى المؤامرة . ذلك أن أخبار هذه المؤامرة وصلت إلى صلاح الدين عن طريق زين العابدين على بن نجما الذى ظل يشترك مع المتآمرين حتى عرف خططهم كاملة ، وعندئذ نقل تفاصيلها إلى صلاح الدين .

بذلك فشلت حركة عمارة اليمنى ، واستطاع صلاح الدين أن يقبض عليه وعلى باقى زعماء الحركة الذين ساعدوه . فاعترف بعضهم ، وبرروا عملهم هذا بما نالهم من قطع أرزاقهم بإقصائهم عن مناصبهم ، فصلب صلاح الدين أكثر المتآمرين ، وقتل عمارة اليمنى فى رمضان سنة ٥٦٩ هـ (أبريل ١١٧٤ م)^(٢).

(١) المقرئى : كتاب السلوك ج ١ ص ٤ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط ص ٤٨ .

٥ - القاضي الفاضل (٥٩٦ هـ)

هو الوزير مجير الدين أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد ابن أبي الفرج بن أحمد اللخمي .

ولد بمدينة عسقلان ١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ ، وهو مصري الدار وعرف باسم القاضي الفاضل ، وشغل منصب الوزارة في عهد سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان والده قاضياً بمدينة بيسان .

وله ديوان يعرف باسم « ديوان القاضي الفاضل » .

مأخوذ بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة المعهد العلمي بمدينة دمياط ، وموجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٨٥٩

وقد استفاد من هذا الكتاب ، أبو شامة في كتابه « الروضتين في أخبار الدولتين » ، (دولة نور الدين ودولة صلاح الدين) .

وقد وضع الإمام جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري ، المولود في مصر في شهر ربيع الأول سنة ٦٨٦ هـ والمتوفى بالقاهرة في شهر صفر سنة ٧٦٨ هـ ، كتاباً باسمه :

« الفاضل » ، من كلام القاضي الفاضل ،

وهو عبارة عن مختارات ، في المراسلات والمكاتبات ، من إنشاء القاضي الفاضل . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ ، مأخوذ بالتصوير الشمسي عن النسخة الأصلية المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن .

٦ - عماد الدين الأصفهاني (٥٩٧ = ١٢٠١ م):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الرجا حامد بن محمد بن الله بن علي الكاتب
الملقب بابن أخي العزيز، وله كتاب سماه:

« خريدة القصر، وجريدة أهل العصر ».

وهو مخطوط في ستة أجزاء تقع في ستة مجلدات، محفوظة بدار الكتب

برقم ٢٢٢٦ - ٢٢٣١.

ولد عماد الدين بأصفهان سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م)، وكان فقيها شافعي
المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وتخرج فيها، وأتقن المجادلة وفنون
الأدب، واتصل بخدمة الوزير عون الدولة بن هبيرة، فأحسن إليه وقربه
وشمله بمطافه. فلما توفي الوزير رحل عماد الدين إلى دمشق، فوصلها سنة ٥٥٢ هـ
(١١٦٥ م)، وهناك عهد إليه بإدارة البريد. وفي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م)،
فرض إليه التدريس في دمشق. فلما توفي نور الدين ذهب إلى الموصل
حيث مرض بها مرضاً شديداً، وبقي فيها حتى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م). ولما
عاد إلى دمشق، رحل إلى حلب واتصل بخدمة صلاح الدين، فحاز ثقته ولما
توفي صلاح الدين عاد إلى دمشق، وكرس بقية حياته للأدب حتى توفي سنة
٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) (١).

وكتابه « خريدة القصر »، يحوي تراجم مستفيضة للشعراء ورجال الأدب
الذين عاشوا في عهده. وبما يجعل لهذه التراجم أهمية خاصة أن عماد الدين قابل
معظم هؤلاء الشعراء والأدباء وأخذ عنهم تاريخ حياتهم وشيئنا كثيراً من شعرهم
ويقع الجزء الخاص بتاريخ مصر في مجلدين.

(١) ياقوت: إرشاد الأديب ج ٨ ص ٨١. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢

قال عماد الدين في صدر مخطوطه : أثرت أن أثبت من مآثر أهل العصر ما يخلد أنارهم ويحدد منازلهم ، وكنت طالعت كتابي يتيمة الدهر ، ودمية القصر للشعابي والباخرزي ، وما وجدت بعدهما من حدث نفسه أن يبلغ غايتهما فمنعت هذا الكتاب وألفته ، ورسمت هذا الوشى وفوقته .

وهذه المجلدات الستة الموجودة من هذا المخطوط ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية هي :

مجلد يحتوى على محاسن شعراء العراق : بغداد وواسط والبصرة ، وينتهى إلى أثناء ترجمة الحريري صاحب المقامات .

ومجلد آخر - يحتوى على محاسن شعراء أهل مصر ، وهو ناقص من أوله ، وأول ما فيه قبيل الكلام على أبي الحسن العسكري المصري .

ومجلدان آخران متتابعان يحتويان على محاسن شعراء الشام وفلسطين والموصل والحجاز واليمن .

والمجلدان الأخيران : في محاسن شعراء صقلية وجماعة من شعراء القيروان وإفريقية وجماعة من المغرب وردوا الشام وجماعة منهم ذكرهم السمعاني في جملة أصحاب الحديث وجماعة منهم وردوا مصر .

ويبحث عماد الدين في كتابه حالة الشعراء الذين عاشوا في عهد الخلفاء الفاطميين : المستعلي ، والأمير ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاقد . وكتاباه قيمة كبيرة في بحث أثر الشعراء في الشطر الأخير من أيام الدولة الفاطمية .

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها

اليقوي والاصطخري — المسعودي — المقدسي — ابن حوقل — البيروني — ناصح
خسرو — البكري — الإدريسي — السمعاني — أحمدة بن منقذ — ابن جبير —
ياقوت — عبد اللطيف البغدادي — ابن بطوطة .

١ - ٢ اليقوي (٨٢٩٢=٨٩٥م):

والاصطخري . (من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري)
وضع أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليقوي :

(١) كتاب البلدان ، طبعة دي غويه De Goeje (ليدن ١٨٩٢ م) .

(ب) تاريخ اليقوي ، جزءان ، طبعة هوتسم Houtsma (ليدن ١٨٦٠ م)
ومطبعة الغري (النجف ١٣٥١ م) .

قام اليقوي برحلات طويلة في أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد
المغرب ، ويعد كتابه « تاريخ البلدان » من أهم المؤلفات التي وضعها الرحالة ،
لمن يريد أن يقف على أوصاف وأخبار الممالك التي زارها اليقوي ، لأنه دون
في كتابه ما شاهده بنفسه ، فقد قال : « إني عانيت في شبابي ، وعند احتيالي
سني وحدة ذهني ، بعلم أخبار البلدان والمسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأنني

سافرت حديث السن ، واتصلت بأخبارى ودام تغربى ، ، وقد ذكر فى هذا الكتاب أسماء البلاد المصرية والأجناد والجسور ، مبيناً من تغلب على كل إقليم من أقاليم العرب ومن فتحة من قواد الإسلام ومقدار خراجة .

أما تاريخ اليعقوبى ، فهو أقدم الكتب التى تناولت التاريخ على العموم من آدم إلى ظهور الإسلام ، ومن ظهوره إلى زمن المعتمد على الله الخليفة العباسى (٥٢٩٢هـ) .

ووضع أبو القاسم إبراهيم الاصطخرى الفارسى كتاب :

«مسالك الممالك» (ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣م - المجلد الأول من المكتبة الجغرافية) - (طبعة ثانية فى ليدن ١٩٢٧م) .

وهو يحوى وصفاً دقيقاً لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامى ، وأشهر مدنه ، ووضح ما أثبتته فى كتابه بالخرائط ، واعتمد فيها دونه على رحلاته فى الممالك الإسلامية . وفصل فيه الكلام على تلك الممالك بأن قسمها إلى عشرين إقليماً ، بين ما اشتمل عليه كل إقليم من المدن والبحار والأنهار ، فتكلم على بلاد العرب ، وبلاد المغرب ، ومصر والشام والجزيرة والعراق وفارس والهند إلى بلاد ما وراء النهر .

٣ - السمرى (٥٢٤٦ = ٩٥٦م)

أبو الحسن على بن الحسين بن على الحسينى الشافعى .

(١) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، جزآن .

(القاهرة ١٣٠٣هـ = ١٨٨٢م) .

(ث) كتاب التنبيه والإشراف ، طبعة دى غويه De Goezie (المجلد الثامن من المكتبة الجغرافية - ليدن ١٨٩٣ م) ويقع في ٥٠٠ صفحة ، وقد طبع هذا الكتاب بمصر أيضاً في سنة ١٣٥٧ هـ .

(ح) أخبار الزمان ، ومن أبادته الحدثنان وعجائب البلدان .

(مخطوط بدار الكتب المصرية ، وبالمكتبة الأهلية بباريس) .

ويلبس المسعودي إلى عبد الله بن مسعود ، أحد أصحاب الرسول عليه السلام ، ولذا عرف باسم المسعودي ، نشأ في بغداد ، وزار كل أرجاء آسيا تقريبا ، وقضى أواخر أيامه في سورية ومصر في أواخر عهد الإخشيد .

وكان المسعودي لا يفتقر في أثناء سفره عن الاستقصاء والبحث ، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد ، ووضع كثيراً من الكتب كان أهمها ما وضعه في التاريخ .

وأهم كتبه مروج الذهب ، وهو عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية معا ، وهو ليس تاريخاً متصل الحلقات بعضه ببعض ، ولكنه عبارة عن مجموعة حوادث وأخبار ، ويتسكك عن الفرق الدينية والخلافة ويصف الحيوانات والمناظر الغربية ، وهو مبني على ما رآه من البلاد أثناء رحلاته الخاصة (١) . وصف في الجزء الأول منه الخليفة ، وتخص الأنبياء ، والبحار والأرضين وما فهمما من العجائب ، وتواريخ الأمم القديمة من الفرس واليونان والرومان والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم ، وأطول الشهور والتقويم ، وتسكك على الدولة العربية منذ ظهور النبي عليه الصلاة والسلام إلى مقتل عثمان . وتناول في الجزء الثاني تاريخ الإسلام من خلافة علي إلى سنة ٣٤٥ هـ . ولأهمية هذا الكتاب طبع مراراً ، ونقله المستشرقون إلى

إلى اللغتين الفرنسية (باريس ١٨٧٢ في ٩ مجلدات) والإنجليزية (الجزء الأول - لندن ١٨٤١) .

أما كتاب «التنبيه والإشراف» فقد ذكر فيه «الآفلاك وهيأتها والنجوم وتأثيرها والعناصر وتراكيبها وأقسام الأزمنة والنواحي والآفات وتأثيرها على السكان وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب الأنهار وملوك الفرس ، والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي ، وظهور الإسلام ، وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم إلى سنة ٣٤٥ هـ .

وتكلم في كتابه «أخبار الزمان» على هيئة الأرض ومدنها وجبالها وأنهارها ومعادنها ، والأبنية العظيمة المقامة ، وتقسيم الأقاليم ، وتباين الناس . ولم يفته في هذا الكتاب سير الملوك القدماء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ووصل في سرد الحوادث التاريخية إلى سنة ٣٣٢ هـ ، وهي السنة التي ألف فيها كتابه : «مروج الذهب» .

٤ - الفهرست (٥٣٨٧ = ٩٩٧ م) :

شمس الدين أبو عبد الله محمد

«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»

(طبعة دى غوية De Goeje - المجلد الثالث ، من المكتبة

الجغرافية - ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣ - وطبع ثانية في ليدن

سنة ١٩٠٦ م) .

وهو قيم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية . قال المقدسي يصف محاسن كتابته : «وماتم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ، ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء ، وخدمتي الملوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء ،

واختلاف في إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس القصاص والمذكرين ، مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد ، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوى حتى عرفتها ، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ، ودوراني على التخوم حتى حررتها . وكان المقدسي يعتمد في كل ما يكتبه على ما يشاهده بنفسه في أسفاره ، وشاد بذكر مبلغ ما أفاده من رحلاته ، فقال : « خطبت على المنابر ، وأذنت على المآذن ؛ وأمت في المساجد ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخانقائيين (١) الثرائد . ومع النواني العصائد . »

هـ — ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري)

أبو القاسم أحمد البغدادي

المسالك والممالك ،

(المجلد الثاني من المكتبة الجغرافية — لندن ١٨٧٠ — ١٨٩٣ م)

كان ابن حوقل من الرحالة الذين جابوا الأمصار الإسلامية ، واستمروا في تجوالهم ثلاثين عاماً . غادر بغداد سنة ٣٣١ هـ ، وطاف العالم الإسلامي من شرقه إلى غربيه ، عدا الصحراء الكبرى التي لم يشاهد سوى جزء يسير منها . ووصف ابن حوقل مدينة بلرم عاصمة صقلية ، وصفاً يعد أقدم

(١) هم الذين يقيمون في الخانقاه (أو الخوتقاه أو الخونسكاه) وهي كلمة فارسية معناها بيت ، وقد اتخذ في مصر لإيواء فقراء الصوفية القادمين من البلاد الشرقية . وبلغ الصوفية أوج عزهم في أيام صلاح الدين الأيوبي وخلفائه ، كما يشهد بذلك العدد الوافر من البيوت التي شيدت لهم والتي تعرف باسم الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة راجع : مصر والحضارة الإسلامية للدكتور زكي محمد حسن ص ١٧ .

وصف إسلامي لهذه المدينة ، ودون في مشاهداته كثرة مساجد صقلية وكثرة المعلمين بها .

وقال ابن حوقل في مقدمة كتابه : « المسالك والممالك » :

« قد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ومقدارها بالطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمـرـان ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض ، لأن الصور الهندسية وإن كانت صحيحة فكثيرة التخطيط ، وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكى موضع ذلك الإقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما في أضعافها من المدن والأصقاع ، وما فيها من القوانين والارتفاع ، وما فيها من الأنهار والبحار ، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم على وجوه الأمـوال والجبايات والأعشار والخراجات ، والمسافات في الطرقات ، » .

وطبع كتاب المسالك والممالك لابن حوقل طبعة ثانية سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ م في ليدن . واعتمدت هذه الطبعة على أصل يخالف النسختين اللتين اعتمد عليهما ناشر الطبعة الأولى مع إضافة الزيادات في الأصول الثلاثة ، وحتى العنوان تغير فهو في الطبعة الثانية عرف باسم « كتاب صور الأرض » ، وما من شك في أن الطبعة الثانية من ابن حوقل هي التي يجب على الباحث أن يرجع إليها دون الأولى .

وقد اعتمد ابن حوقل في تأليفه لكتابه على كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ، وقيل إن كتاب ابن حوقل عبارة عن مراجعة لهذا الكتاب وإضافة بعض الحقائق التاريخية الجغرافية إليه .

وقد طبع مؤلف ابن خرداذبة في المجلد السادس ضمن مجموعة المخطوطة

الجغرافية (ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٣ م) . وفيه ذكر الممالك الإسلامية ، والمسافة بين كل منها ، وما فيها من البحار والأنهار والطرق ، ومقدار الخراج المفروض على أهلها ، ثم بين أسماء ملوك كل منها بالقابهم .

ويقول الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن : « واتصل ابن حوقل بالفاطميين وقد ذهب المستشرق المولندي دوزي Dozy إلى أن هذا الرحالة ، كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين في الأندلس ، فإنهم كانوا في البداءة يتطلعون إلى الاستيلاء على تلك البلاد ، ولعلمهم كانوا يسمعون إلى جمع المعلومات عنها ، وقد أشار دوزي إلى ما كتبه ابن حوقل في الخط من شأن الفرسان الأندلسيين ، وشرح ما كانف عليه البلاد من ضعف ، ليحث الخليفة الفاطمي على أن يقدم على غزوها (١) .

ومن أبداع ما دونه ابن حوقل ، وصفه لمدينة الفسطاط كما شهدتها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وأواخر القرن العاشر الميلادي ، فقد ذكر أنها مدينة عامرة بالأسواق والمتاجر والبساتين ، وأن معظم مبانيها كانت من الطوب . ثم قال : الفسطاط مدينة حسنة ، ينقسم النيل لديها ، وهي كبيرة نحو ثلاث بغداد ، ومقدارها فرسخ ، على غاية العماره والطيبة واللذة ، ذات رحاب في مجالسها ، وأسواق عظام ، ومتاجر فخام . ولها ظاهر أنيق ، وبساتين خضرة ، ومتنزهات على عمر الأيام خضرة .

٦ - البيروني (٩٤٠ = ١٠٤٨ م)

أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي

، الآثار الباقية ، عن القرون الخالية ، (ليبسك ١٨٧٨ م)

البيروني من سكان بيرون Berun أحد أحياء جنوة ويطلق على الحي والبلدة

(١) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٤١ .

معاً اسم خوارزم . وهو من مشاهير الرحالة المسلمين . فقد كان يعرف عدة لغات كال يونانية والهندية ، مما ساعده على نقل كثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، ومعظم كتابته في الأعياد والمذاهب الدينية .

وقد بين في الآثار الباقية ، التواريخ التي تستعملها الأمم على اختلافها ، والشهور التي تستعمل في التواريخ عند كل أمة مع ذكر أسمائها ، وأسماء أيام الأسبوع ، واستخراج التواريخ بعضها من بعض ، وبيان تواريخ الملوك الأقدمين وغيرهم من اتصلت بنا أخبارهم ، وهم من آدم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأسماء ملوك بني إسرائيل ، وآشور ، وبابل ، وكاديا ، وملوك البطلمسة في مصر ، وملوك الروم قبل ظهور النصرانية وبعدها ، وملوك القسطنطينية ، وأنواع الملوك وألقابها ، وأنواع الألقاب الصادرة عن حضرة الخلافة ، وذكر أعياد الأمم القديمة وأعياد النصارى وصيامهم ، وأعياد العرب في الجاهلية ، والتطورات التي حدثت بعد ظهور الإسلام .

ونشر هذا الكتاب سنة ١٨٧٨ م ، مع مقدمة وملاحظات باللغة الألمانية للمستشرق الألماني سنحو . وترجمه ادوار سنخاو Edward Schau إلى اللغة الإنجليزية (لندن ١٨٩٧ م) .

٧ - ناصر خسرو (٤٧١ هـ = ١٠٨٨ م)

« سفرنامه » ، أو « زاد المسافر »

طبع المسيو Schefer متنه بالفارسية وترجمته بالفرنسية مع الحواشي والتعليقات باسم :

Rèlation du Voyage de Nasiri Khosrau en Syrie, en Palestine, en Egypte, en Arabie et en Perse.

(Persian Texte and Translation by Charles Schefer-Paris, 1881).

كان ناصر خسرو وزيراً في خراسان ، ثم اعتزل الوزارة وحج بيت الله ،

واعتنق مذهب الإسماعيلية وهو مذهب الفاطميين واعتبر الفاطميين الأئمة حقاً . وجاب كثيراً من البلاد الإسلامية ، وخاصة : الشام وفلسطين ومصر والحجاز . وأودع كتابه « سفر نامه » كل مشاهداته في تلك البلاد . وكانت زيارته لمصر في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٧٧ هـ) ، فقد وصل إلى القاهرة في ٧ صفر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ، وبقي فيها مدة سنتين ، إذ استمرت إقامته فيها إلى يوم الثلاثاء ١٤ من ذي الحجة سنة ٤٤١ هـ . (١٠٥٠ م) .

وجاءت كتابة ناصر خسرو عن مصر في ذلك العصر أحسن ما في كتابه . فقد اعتبر القاهرة المركز الرئيسي للمذهب الذي يدين بعتائده ، ووصف ثروة البلاط الفاطمي وأبهته ، وما كانت عليه الفسطاط والقاهرة من عظمة ورقى ، وأوضح أن القاهرة وقت زيارته : كانت كعبة العلم والأدب ، مزدحمة بالحواريات أهله بالسكان ، تملؤها القصور الشاهقة ، وبها المناظر والحمامات . وبين أن الفسطاط إذ ذاك كانت مدينة عظيمة ، رغم أنها لم تكن عاصمة الديار المصرية ، وأجيب باستتباب الأمن والنظام في البلاد . ويعد كتابه من أهم ما كتب عن تاريخ الفاطميين أيام المستنصر .

وقد أطنب الرحالة ناصر خسرو في وصف الصناعة المصرية في العصر الفاطمي ، فقال : إنه لم يجد أثناء زيارته للبلاد المصرية ما يحاكيها ولا يداينها في جميع الأقطار التي شاهدها في أسفاره . وخص من بين هذه الصناعات : صناعة الخزف والزجاج والسفن .

واستلفت ناصر خسرو أن التجار كانوا يبيعون سلعهم بأثمان محددة ، وأنهم اتصفوا بالأمانة ، وكان يشهر كل من ارتكب منهم غشاً ، أو زيفاً في قبحارته ، فيطاف به في الشارع بين اللعنات ودق الأجراس . ولم يشك أحد من سلب أو نهب ، حتى كان التجار لا يحفلون بإغلاق حوانيتهم في الليل .

وأبدع ناصر خسرو في وصف الاحتفال بوفاء النيل أوجير الخليج الذي كان من أعظم الاحتفالات التي كانت تقام في مصر في كل عام. فذكر أنه كان يحتفل به بحضور الخليفة المستنصر ، وفي ركبه عشرة آلاف فارس يمتطون الخيول المطهمة الملجمة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة . وبلى هؤلاء صفوف من الجمال عليها هودج مزركشة ، تقودها طائفة من جنود الخليفة تسير في صفوف منظمة^(١).

وعرب الدكتور يحيى الخشاب كتاب « سفر نامه » إلى اللغة العربية ونشر سنة ١٣٦٤ هـ

وقد نشر الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب كتاباً باللغة الفرنسية عن ناصر خسرو بعنوان :
Nasir Hossrau

Son Voyage, sa pensée, sa philosophie et sa poésie (Le Caire
M C M X L)

كما نشر عنه أيضاً كتاب « خوان الإخوان » ، تأليف ناصر خسرو علوى
« بسمي واهتمام وتصحيح ، الدكتور يحيى الخشاب ، بانضمام مقدمة وجمهار
فهرست (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة ١٩٤٠ م)

٨ — البكرى (٤٨٧ هـ = ١٠٩٧ م)

الفقيه الحافظ أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن أبي مصعب

(١) « المغرب ، في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،

(طبعة دى سلاين De Slane — باريس ١٩١١ م)

(١) راجع سفرنامه لناصر خسرو .

(ب) د معجم ما استعجم ، (طبعة جوتنجن ١٨٧٦ - ١٨٧٧ م
والقاهرة ١٩٤٥) .

ينسب البكرى إلى أبى بكر الصديق . وبكتابه معلومات جلية الشأن عن شمالى
إفريقية وهو يعد جزءاً من أجزاء كتاب المسالك والممالك ، لابن خرداذبه
الفارسى ، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، وهو من
أقدم الكتب الجغرافية التى ظهرت باللغة العربية . ويشتمل كتابه على ذكر
المدن والقرى من مصر إلى برقة ، وعلى بيان الطرق إلى الواحات ، ومن
طرابلس إلى قابس ، ومنها إلى القيروان . ثم فصل الكلام على إفريقية وبلادها
وحدودها وغرائبها ، وذكر مدينة تلمسان وما والاها إلى المغرب ، وتكلم
على بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وسير
أهلها ، ونبذة عن تاريخ البربر .

أما كتابه د معجم ما استعجم ، فقد ذكر فيه جملة ما ورد فى
الأحاديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار من المنازل ، والديار ، والقرى
والأمصار ، والجبال ، والآثار ، والمياه ، والدارات ، والآبار . وقام بنشره
الأستاذ مصطفى السقا ، ووصف المعجم ، وأوضح قيمته العلمية فى هذه
العبارة : « وهو معجم لغوى جغرافى ، يصف جزيرة العرب ، ويتقرى ما بها
من المعالم والمشاهد والبلدان ، والمعاهد والآثار والمحافد والمناهل والنوادر .
ويتتبع هجرة القبائل العربية من أوطانها واضطرابها فى أعطائها وترددها
بين مصايفها ومرايعها ومباديهـا ومحاضرها ويذكر أيامها ووقائعها وأنسابها
وعشائرها . »

٩ - الإدريسي (٨٥٦٠)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف

« كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » (روما ١٥٩٢ م)

ولد الإدريسي في سبتة سنة ٨٤٩٣ هـ ، ودرس في جامعة قرطبة ، وجاب الأندلس وشمال إفريقيا وآسيا الصغرى ، وقيل إنه زار فرنسا وإنجلترا ، ونزل ضيفاً في بلاط ملك صقلية حيث كانت لا تزال متأثرة بالمدنية الإسلامية . واختاره ملكها روجر Roger ليضع له كتاباً في وصف الأقاليم المعروفة إذ ذاك ، وقام بما عهد إليه ، مستعيناً بما أفاده من رحلاته الخاصة ، وامتاز كتابه بغزارة المادة ودقتها ووضوحها .

أوضح الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق » صورة الأرض وهيئتها ومقدار المسكون منها ، وذكر البحار ومبادئها وما تنتمي إليه وما يلي سواحلها من البلاد والأمم ، وقسمها إلى أقاليم سبعة وذكر ما تحتوي عليه من البلاد والأمم والمجائب والمسالك والطرق ومقدار فراسخها وأميالها ومجاري بحارها ، ورسم خريطة لكل إقليم مبيناً فيها ما يشتمل عليه من المدن والكرور . وما يدل على أهمية الكتاب أنه ترجم في القرن السابع عشر الميلادي إلى اللغة اللاتينية ، كما أن علماء الغرب شهدوا بأنه لا يوجد كتاب آخر يماثل كتاب الإدريسي من حيث قيمته الجغرافية وتفصيله الكلام على كثير من ممالك العالم .

وقد اختصره مؤلف ، لم يعرف اسمه بعد . وضع كتاباً اسمه « المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » ، ضمنه القول عن هذه الأقطار الأربعة : ملوكها ، ديانتها ، أزياء أهلها وأخلاقهم ، بحارها وأنهارها ، جزائرها ، معادنها ، حيواناتها . وقد طبع في لندن سنة ١٨٦٤ م .

وجاءت شهرة الإدريسي ، لا عن طريق كتيبه ، بل لرسمه خريطة للعالم في العصر الذي عاش فيه . وقد أظهر هذا العمل الدقيق الذي قام به الإدريسي أن العرب كانوا على علم بممالك أوروبا المختلفة ومنها السويد والنرويج وألمانيا وإنجلترا وغيرها ، ومن المحتمل أن تكون معلومات الإدريسي عن أوروبا جاءت نتيجة اتصال المسلمين بأوروبا في العصور الوسطى . ولا شك أن جميع الممالك التي ذكرها الإدريسي كانت ممثلة على تلك الستور الجارية التي كانت بقصر الفاطميين .

وقد قام كنفرد ملر Conrad Miller بطبع خريطة الإدريسي باسم :

Mappae arabicae, drawn after Idrisi (Stuttgart, 1926-1927

وبمناسبة الكلام على خريطة الإدريسي ، لا يفوتنا أن نذكر ذلك الموقف الذي وضعه الأمير عمر طوسون ، وهو :

«La Géographie de L'Egypte a L'Epoque Arabe» I.ere 1-2parties
(Memoires de La Société Royale de Géographie d'Egypte, t.VII.
Ière, 2ème parites - Le Caire, 1926-1928) .

وهو من المكتب القيمة ، لما حواه من المعلومات النفيسة والمصورات التي ازدان بها ، مما له أعظم الأثر في توضيح أقسام مصر الإدارية في مختلف العصور .

ورغم هذه الشهرة الواسعة التي تمتع بها الإدريسي ، فقد ذكر الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن أن سيرة الإدريسي لا يزال يكتشفها الغموض ، وفي ذلك يقول : « وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن مرجع هذا أن المؤلفين العرب كانوا يتجاهلون وجوده لإسرافه في مدح رجار ولإنصافه المسيحيين في صقلية إلى أبعد حد ، في وقت كان المسيحيون فيه يشنون على المسلمين الحروب الصليبية الشريرة أو يعملون على طردهم من الأندلس ، (١) .

(١) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٦٧ .

١٠ - السمعاني (٥٦٢ هـ = ١٠٦٦ - ١١٦٧ م)

القاضي أبو سعيد عبد الحكيم بن أبي بكر
، كتاب الأنساب ،

ولد السمعاني في مرو سنة ٥٠٦ هـ ، وقام برحلات في إيران والعراق
والشام والحجاز وغيرها من بلدان الشرق الأدنى .

وكتابه الأنساب ، جليل الفائدة من ناحيتي النسب والجغرافية ، واختصره
في كتاب طبعته لجنة إحياء ذكرى جب سنة ١٩٢٢ م .

(Gibb Memorial Series, No. XX. - London, 1912).

وتبين قيمة كتابه مما أورده السمعاني في صدر مؤلفه :

« لما اتفق الإجماع مع شيخنا وإمامنا أبي شجاع عمر بن أبي الحسين
البسطامي . . فكان يبحثني على نظم مجموع في الأنساب وكل نسبة إلى قبيلة أو
بطن أو ولاء أو بلد أو قرية أو حرفة أو لقب لبعض أجداده . . فشرعت
في جمعه بسمرقند في سنة خمسين وخمسمائة . وكنت أكتب الحكايات والجرح
والتعديل بأسانيدها ثم حذفت الأسانيد لكيلا يطول . وملت إلى الاختصار
ليسهل على الفقهاء حفظها ولا يصعب على الحفاظ ضبطها وأوردت النسبة على
حروف المعجم وراعى فيها الحروف الثاني والثالث إلى آخر الحروف ،
وابتدأت بالآلف الممدودة ، وأذكر نسب الذي أذكره في الترجمة وسيرته
وما قال الناس فيه وإسناده وأذكر شيوخه ومن حدث أو روى عنه ومولده
وزمانه إن كان بلغني ذلك ، . وجمع هذا الكتاب بضعة آلاف من
التراجم .

١١ — أسامة بن منقذ (٥٨٥ هـ = ١١٨٨ م)

أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الملقب بمؤيد الدولة محمد الدين .
« كتاب الاعتبار ، أو « حياة أسامة » ،

Analogie de textes Arabes, inedits par Ousamaet sur Ousama,
ed . by Derenbourg (Paris, 1893) .

كان أسامة من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر في الشام ، ويعد من
شجعانهم وعلماهم الذين اشتهروا بمؤلفاتهم العديدة التي وضعوها في الأدب .
رحل عن بغداد كمعظم شعراء عصره يريد مصر ، فأقام فيها منذ سنة ٥٤٩ هـ
رغبة في صلات الخلفاء الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام . ومعلوماته التي ضمنها
كتابه جلية الشأن ، لأنه شاهد بنفسه حوادث مصر في ذلك العصر .

قام أسامة بعدة رحلات في مصر والشام وبلاد الجزيرة وبلاد العرب ،
وكان لهذه الرحلات أعظم الشأن في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،
وفي بيان العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأدنى في القرن السادس
الهجري . ووصف في « كتاب الاعتبار » ما شاهده في مصر من الأحداث فيما
بين سنتي ٥٣٩ و ٥٤١ هـ فتحدث عن وصوله إليها في عصر الخليفة الفاطمي
الحافظ لدين الله وعمما وقع له فيها من الفتن بسبب ثورات الجند ، والنزاع
القائم بين الخلفاء والوزراء . ولتفاصيل هذه الأخبار شأن تاريخي كبير ، لأن
أسامة ساهم في بعض تلك الأحداث وقام بمهمات سياسية لطائفة من الأمراء^(١) .

وقد وضع الأستاذ محمد أحمد حسين كتابا بعنوان « أسامة بن منقذ » ،
(القاهرة ١٩٤٦ م) .

(١) الدكتور زكي محمد حسين : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٩٨
(٧١ - ٧٢ - ٧٣)

١٢ - ابن جبير (٦١٤ هـ = ١٢١٢ م)

أبو الحسن محمد بن أحمد الكتامي

« رحلة ابن جبير » (لندن ١٨٥٢ م)

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، ودرس على علماء عصره في سبتة وغرناطة، ودخل خدمة أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة. ثم بدأ رحلاته، فخرج من ثغر سبتة الواقع على شاطئه مراكش في مواجهة جبل طارق، وسارت السفينة محاذية لشاطئ الأندلس، وانجحت شرقاً مارة بجزائر البليار، ووصل إلى سردانية، وأقلمت به السفينة بعد ذلك إلى صقلية، وبعد شهر من بدء رحلته استقر به المقام في الإسكندرية في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الذي امتدحه ابن جبير.

وصف ابن جبير مدينة الإسكندرية وصفاً دقيقاً، فذكر آثارها وعمائرها ومنارها ومدارسها ومساجدها، وشاهد فيها دخول الأسرى الصليبيين الذين وقعوا في يد المسلمين فقد رآهم راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنانها وحولم الطبول والأبواق، ثم أقام في القاهرة عدة أيام، وزار مشهد الحسين والقرافة وضمريخ الإمام الشافعي والمدرسة الناصرية التي شيدها السلطان صلاح الدين ومارستان القاهرة والقلعة والسور والقناطر التي أقامها السلطان عند بدء الصحراء الغربية.

زار ابن جبير بعد ذلك مدينة قوص في الوجه القبلي ووصف أسواقها وتجارتها، ومنها سافر إلى ثغر عيذاب^(١) بطريق الصحراء الذي ذاعت شهرته

(١) عيذاب - بلدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر الآن) كانت من أشهر الموانئ التي تأتي إليها سفن اليمن والحشة والهند. وكانت في الماضي

في عالم التجارة في العصور الوسطى وأشار إلى رواج تجارة الفلفل والتوابل .
على أن الجزء الأساسي في رحلة ابن جبير هو وصف مكة والمسجد الحرام
ومناسك الحج وزيارة المدينة المنورة .

وعاد ابن جبير ، ماراً بطريق نجد قاصداً الكوفة ، وعبر الفرات عند
مدينة الحلة ، ووصل إلى بغداد ووصف مدارسها ومساجدها وأسواقها
وحماماتها وقصورها ، ولكنهما لم تعجبه لأنه لم يجدها على النحو الذي تصوره ،
وانتقل إلى الموصل ماراً بسر من رأى وتكريت ، ثم واصل الرحلة بين مدن
الشام المختلفة وتحدث عن عادات أهلها ، وزار عسكا أهم ثغور الصليبيين ،
ورست السفينة بعد ذلك عند مدينة مسينة في صقلية ، وزار بالرمة عاصمة
البلاد وغيرها من مدن الجزيرة ووصف عمرانها . وأطلع من صقلية إلى ثغر
قرطاجنة في الأندلس ، ومنها إلى غرناطة فوصلها في ٢٢ المحرم سنة ٥٨١ هـ
بعد أن غاب عنها نحو سفتين وثلاثة أشهر (١) .

وقام ابن جبير برحلة ثانية سنة ٥٨٥ هـ إلى الشرق ، حين سمع باستيلاء
صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس . وترك ابن جبير المقام في غرناطة
وانتقل إلى بلاد المغرب حيث أقام ما يقرب من عشرين عاماً ، رحل بعدها
إلى المشرق سنة ٦١٤ هـ ، واستقر في الإسكندرية وتوفي بها بعد أن دون في
كتابه أخباراً على أعظم جانب من الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي .

طريق الحج المصري ، تشير إليها الركاب عن طريق قوص . ثم يركبون
البحر إلى جدة ، وهي ذات شأن عظيم للحجاج ، ويبدأ منها طريق القوافل إلى
أسوان وإدفو وقوص (نقلاً عن رحلة ابن جبير — طبعة دي غويا ص ٦٥
وما بعدها) .

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٧٠-٨٨

١٣ - ياقوت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م)

شهاب الدين أبو عبدالله الرومي الحموي البغدادي .

« معجم البلدان ، في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان » .

٨ أجزاء^(١) (القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٦ م)

« إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب ، أو « معجم الأدباء » ، أو طبقات الأدباء ، ٧ أجزاء (القاهرة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ م) وطبع « إرشاد الأريب ، في ٢٠ جزءاً ، وتعرض لتصحيحها المرحوم النشاشيبي بملاحظاته القيمة في مجلة الرسالة في السنتين ١٣ و ١٤ .

عرف ياقوت باسم : « ياقوت الحموي » ، وباسم « ياقوت الرومي » ، أيضاً لأنه كان من أهالي الدولة الرومانية الشرقية . وكان رقيقاً لأحد أهالي بغداد ، فعنى بتربيته ، وبعث به في تجاراته لبلاد المشرق ، وخاصة إلى سواحل الخليج الفارسي . ويظهر أن مولاه أعتقه سنة ٥٩٦ هـ ، على أثر مشادة قامت بينهما فبدأ يكتب من صناعة النسيج ، وكانت صناعة رائجة في ذلك الوقت . وعاش من بيع الكتب ونسخها ، وأخذ يعمل في التأليف ، فوضع كتابيه المشهورين^(٢) ، بعد أن جاب إيران وبلاد العرب ، وآسيا الصغرى ، ومصر والشام .

وفي كتاب « معجم البلدان » أوضح ياقوت الأرض وهيئتها ، والاصطلاحات في معنى الإقليم واشتقاقه ، والبلاد المفتوحة في الإسلام ،

(١) الجزءان التاسع والعاشر هما استدراك الخانجي على المعجم ، وسمى المستدرك « منجم العمران » .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧٧ .

ثم ذكر أسماء البلاد والجبال والأصقاع والأودية والقرى والأمصار والبحار والأنهار .

وقد اختصر كتاب « معجم البلدان » لياقوت ، رجل عاش في القرن الثامن الهجري ، وسماه : « مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » . ثم اختصره عبد المؤمن بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) في أربعة أجزاء ، ونشر Juynboll في مدينة ليدن Leyden سنة ١٨٥٣ م . ورتب دياقوت ، معجمه على حسب حروف الهجاء وفرغ من تأليفه سنة ٦٢١ هـ . وامتناز بدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والأدب .

وقد جمع ياقوت في إرشاد الأريب ، ما وقف عليه من أخبار النحويين واللغويين ، والنسابين والقراء المشهورين والمؤرخين ، والوراقين المعروفين والكتّاب ، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع فيه تأليفاً ، متعرضاً لإثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات . ورتب فيه الأعلام على حروف المعجم ، وأفرد في آخر كل حرف فصلاً . الموجود منه الأجزاء : الأول ، والثاني ، والقسم الأول من الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع .

وقد كتب الأستاذ مرجليوث Margoliouth مقدمة لهذا الكتاب ، جاءت في آخر الجزء الأول منه ، ووضع له فهرساً لأسماء الرجال ، وآخر لأسماء الكتّاب التي أخذت منها التراجم والأسماء المذكورة في الكتاب .

١٤ - عبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م)

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف

« الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ،

ولد عبد اللطيف^(١) في بغداد سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، وزار مصر والشام والعراق ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي ، وقدم مصر ثانية بعد وفاته ، واشتغل بالتدريس في الأزهر .

ووصف في كتابه «الإفادة والاعتبار» رحلته إلى مصر ، فقد وصف فيه ما في تلك البلاد من الآثار القديمة والوسيلة وما تختص به من المناخ ، عدا النبات والحيوان ، ووصف القحط الذي انتاب مصر في تلك الفترة . وكان وصفه دقيقاً ، وأثبت إعجابه بكل ما شاهده في القاهرة وخاصة بالأهرام وأبي الهول والمسلات والمعابد ومنازة الاسكندرية وعمود السوارى .

ويفيدنا هذا الكتاب كذلك في أنه تصدى لذكر مكتبة الاسكندرية^(٢) ونسبة حرقها إلى عمرو بن العاص . وأيده في روايته رجل توفي بعده بأكثر من خمسين سنة ، وهو المؤرخ أبو الفرج الملقب المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) في كتابه المسمى ، مختصر تاريخ الدول ، وهو ثلاثة أجزاء (أكسفورد ١٦٧٣ م) .

وكان عبد اللطيف أول من نسب حريق المكتبة إلى عمرو ، إذ روى أنه سمع عن مكتبة كانت قائمة في الاسكندرية ، وأن هذه المكتبة لم يعد لها وجود ، وذكر أن الذي أحرقها هو عمرو بن العاص ، بناء على ما سمعه من الأقوال المتواترة والأحاديث التي كان يرددتها العامة إذ ذاك . على أنه ثبت أن ذلك الحريق حدث في سنة ٤٨ ق . م فإنه حين قامت حرب الاسكندرية بين يوليوس قيصر وأهل الاسكندرية أشعل قيصر النيران في السفن الموجودة

(١) تجد تاريخ حياة عبد اللطيف البغدادي ، مفصلة في ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٢) أسس هذه المكتبة بطليموس الأول ، وكانت تشغل جزءا كبيرا من السرايوم ، حيث يوجد هيكل سيرايمس القريب من عمود السوارى .

بالميناء الشرقى ، لىكى لاتقع فى قبضة العدو وارتفع اللهب بشدة حتى امتد لرصيف الميناء ، وأحرق المكتبة الكبرى . ولم يتعرض لأمر ذلك الحريق أقدم المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى أمثال اليعقوبى والبلاذرى وابن عبد الحكم والطبرى والسكندى ، ومن أخذ عنهم كابن الاثير والمقرئى وأبى المحاسن والسيوطى ، دون أن يتعرضوا لها ، مع أن تاريخهم عن مصر يعد من أهم المصادر التى يعتمد عليها .

زار عبد اللطيف البغدادى مصر بين سنتى ٥٩٥ و ٥٩٧ هـ (١١٩٨ و ١٢٠١ م) وكان من أهم مادونه أحوال مصر أثناء المجاعة التى انتابتها فى عهد السلطان العادل الأول الأيوبي (٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١٢٠٠ - ١٢١٨ م) ، فقد ذكر أن تلك الحالة أعادت إلى الأذهان ذكرى الشدة العظمى التى وقعت فى عصر المستنصر الفاطمى ، إذ انتشر القحط حتى هرب الناس من مصر إلى الشام وغيرها فاتوا فى الطريق من التعب والجوع ، وانعدمت الحبوب ، واشتد الغلاء وندرت الحيوانات ، وخلت قرى بأكلها من سكانها ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن دفن موتاهم ، وأصبحت جثث الموتى تلقى فى الشوارع حتى امتلأت بها الطرقات وبذل العادل جهوداً كبيرة لمقاومة هذه المجاعة ، حتى كان يخرج بنفسه أثناء الليل ويوزع الأموال على الفقراء والمساكين .

وكان عبد اللطيف البغدادى دقيقاً فى وصف ما تناوله من الموضوعات ، حتى يمكن القول إنه أعطانا صورة واضحة عن حالة مصر فى عصر الأيوبيين ، وخاصة فى عهد صلاح الدين الأيوبي ، والعزير عماد الدين ، والعادل سيف الدين .

١٥ - ابن بطوطة (٥٧٧٩ = ١٣٣٧ م)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الوائى الطنجى

، رحلة ابن بطوطة ، المسماة

، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،

٤ أجزاء (القاهرة ١٩٣٨ م)

وترجمه إلى اللغة الفرنسية ديفريميرى Defrémery وسانجنييتى Sanguinetti

(باريس ١٨٥٣ - ١٨٥٨ و ١٨٦٩ - ١٨٧٩) .

صدر ابن بطوطة كتابه ، تحفة النظار ، بمقدمة جاء فيها ، الحمد لله الذى
ذلل الأرض لعباده ليسلكوا فيها سبلاً فجاء . وجعل منها وإليها تاراتهم
الثلاث نباتاً وإعادة وإخراجاً . ودحاها بقدرته فكانت مهاداً للعباد ، وأرساها
بالأعلام الراسيات والأطواد ، ورفع فوقها سمك السماء بغير عمد ، وأطلع
السكواكب هداية فى ظلمات البر والبحر ، وجعل القمر نوراً والشمس سراجاً
ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد الموات ، وأنبت فيها من كل الثمرات ،
وفطر أقطارها بصنوف النبات ، وفجر البحرين عذبا فراتاً ، وملحاً أجاجاً ،
وأكمل على خلقه بتدليل مطايا الأنعام ، وتسخير المنشآت كالأعلام ،^(١) .

ثم قال : كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من
شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله الحرام
وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفرداً عن رفيق آنس
بصحبه وركب أكون فى جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق إلى
تلك المعاهد الشريفة كامن فى الحيازم ، فحزمت أمري على هجر الأحباب من

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطة ص ٢ ، وهى تدلنا على حبه وغرامه بالأسفار .

الإناث والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور ، وكان والداى
بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصياً ، ولقيت كما لقياً من الفراق نصيباً ، وسنى
يومئذ ثنتان وعشرون سنة ، . قال ابن جزرى : « أخبرنى أبو عبد الله بمدينة
غرناطة أن مولده بطنجة فى يوم الإثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة
ثلاث وسبع مائة ،^(١) .

وبعد خروجه من موطنه طنجة فى مراکش ، جاب بلاد المغرب
ومصر^(٢) وفلسطين والشام والحجاز والعراق ، ومنها إلى بلاد اليمن فالقسطنطينية
فخوارزم ومنها إلى الهند فالصين فبلاد جاوه ، ثم عاد إلى الصين فالهند فبغداد
فالقاهرة فتونس فالسودان ومنها عاد إلى بلاده ، ووصف كل البلاد التى
شاهدها فى عبارة شائقة ، وفرغ من تدوين مشاهداته عن رحلاته فى ٣ من
ذى الحجة سنة ٧٥٦ هـ .

ومن أبداع ما جاء فى هذا الكتاب ، وصف ابن بطوطة لما شاهده من أزياء
القضاة فى مصر ، فقد ذكر أن قاضى الأسكندرية عماد الدين الكندى كان
يلبس عمامة تخالف غيرها من العمام المعتقد لبسها إذ ذاك ، وقال : لم أرى مشارق
الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، رأيت يوماً قاعداً فى صدر محراب ، وقد
كادت عمامته أن تملأ المحراب^(٣) .

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطة ص ٤ - ٥

(٢) كانت زيارة ابن بطوطة مصر سنة ٧٣٦ هـ ، فى عهد السلطان الناصر محمد بن

قلاوون ، أعظم سلاطين المماليك البحرية

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠

ومعرفة قطر الدائرة أن تضرب نصف وتر القوس في مثله وتقسم على^(١)
السهم ، ويزاد ما يخرج على السهم^(٢) ، فما^(٣) بلغ هو القطر المطلوب .

المطبات

واحد الأرض المطبلة : هي التي تكون مثلاً^(٤) من كل جانب عشرة
في العرضين ، والطول عشرين ، والوسط خمسة .

والطريق إلى مساحتها أن يجمع الطرفان فيكون عشرين ، ويضعف^(٥)
الوسط فيكون عشرة ، ويجمع^(٦) الجميع فيكون ثلاثين ، فيؤخذ^(٧) ربعه وهو
سبعة ونصف ، فيضرب في الطول وهو عشرون فيكون مائة وخمسين^(٨) وهو
تكسيرها^(٩) . وهذه صورتها :

(انظر الشكل في اللوحة رقم ٥)

ذوات الأضلاع

إلى العشرة^(١) ذوات الأضلاع^(٢) هي الأشكال التي^(٣) يحيط بكل^(٤)
واحد منها [٧٥ ب] أكثر من أربعة^(٥) خطوط مستقيمة^(٦) ، وكل ذات

(١) ٥ (١ - ١) ساقطة من م

(٢) م ٢٤١٥٣ « للسهم »

(٣) س ٥ غو « مما »

(٤) م ٣٦١٥٣ « مثلى »

(٥) في س ١٢٢ ب ٣ غو ١١١٤٢ وضعت الكلمة مشكولة ومضبوطة

(٦) س ٥ غو « أو يجمع »

(٧) م « فتأخذ »

(٨) كذلك في س ١٢٢ ب ٦ م ٣٦١٥٣ ؛ وفي الأصل غ « وخسون »

(٩) س ١٢٢ ب — ١٠٩ غو ١٦١٤٢ « تخط لكل »

(١٠) كذلك في س ٥ غو م ، وفي الأصل غ « كأربع »

(١١) س ٥ غو « مستقيم »

الباب السادس

المخطوطات

إلى نهاية القرن الثامن الهجري

مرتبة حسب وفاة مؤلفها

المسبحي والقضاعي — ابن الجوزي — ابن واصل — بيرس الدوادار —
النويري وابن شاهنشا — الجزري والذهبي — العبري — المقرئ — النويري
الاسكندري — بكتوت الرماح — ابن أرنغا الزردكاش — الأشرفي —
القر محمد بن منكلي — الحسامي .

١-٢ المسبحي (٤٢٠ هـ) والقضاعي (٤٥٤ هـ)

وضع الأمير المختار عز الملك المسبحي كتابه المعروف باسم :
« تاريخ مصر »

تولى المسبحي القيس والبهنسا من أعمال الصعيد . ثم تقلد ديوان الترتيب ،
أو ديوان الرواتب الذي تنظم فيه الرواتب وتدفع لمستحقيها ، في عهد الخليفة
الحاكم الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ) ، وقد تزييا بزي الأجناد .

ويقع كتابه هذا في ٢٦٠٠٠ صحيفة ، وقيل في ١٣٠٠٠ ورقة (١) .

تناول فيه الكلام على تاريخ مصر ، وبه معلومات ذات غناء عن الصدر
الأول من أيام الفاطميين إلا أن هذا الكتاب قد ضاع ، ولا يوجد منه إلا

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٥٢

الجزء الأربعون بمكتبة الإسكوريال بالاندلس ، وهو واحد من جملة تصانيفه التي بلغت الثلاثين ولم يعد لها الآن وجود ، اللهم إلا بين ثنايا المكتب التي كتبها من جاء بعد المسيحي من المؤرخين . فقد نقل عنه ابن منجب وابن ميسر وابن خلصكان والمقرئزي وأبو المحاسن والسيوطي . وما يؤسف له أشد الأسف ضياع مؤلفات المسيحي .

أما القضاء ، ذلك الفقيه الضليع ، فقد عاش في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وهو ثقة في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين وكان من النابغين في الكتابة حتى صار من كتاب البلاط ، وتقلد ديوان المراسلات والإنشاء في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر^(١) . وعهد إلى القضاء أن يكتب العلامة ، وكانت العلامة أو الإشارة التي يذيل بها الأوراق الرسمية لإعطائها الصفة الرسمية ، تشمل هذه الكلمات : الحمد لله شكر ألعنته ،

وقد وضع القضاء عن تاريخ مصر ، كتابه :

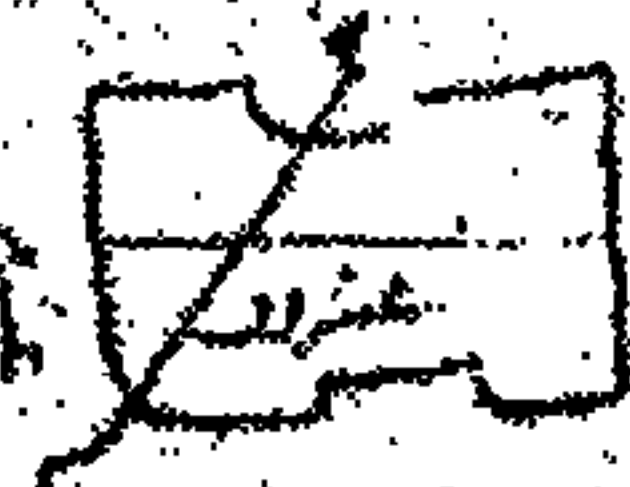
« عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف » . وهو مختصر كتابه المسهب « الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين » وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٩١ . ثم اختصره رجل من الأتراك مجهول الاسم ، سرد فيه الحوادث حتى سنة ٥٩٢٦ (١٥١٩ - ١٥٢٠ م) . وهذا المختصر يوجد كذلك بالمكتبة الأهلية بباريس .

وقد نقل عن القضاء المؤرخون الذين جاءوا بعده أمثال القلقشندي والمقرئزي وأبي المحاسن والسيوطي . وعدد ابن خلصكان مؤلفات القضاء^(٢) ، فذكر من بينها ثلاثين كتابا ، أهمها : « مناقب الإمام الشافعي » ، وكتاب

(١) ابن منجب : كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٥ - ٤٧

(٢) ابن خلصكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٨٥

القوس اذ من نصف دائرة قوسه عليه ان كان اكثر من
 نصف دائرة فالبقيع نصف الزيادة والنقصان فهو كونه
 النقصان ومعرفة قطر الدائرة ان تقسب نصفه من القوس
 فبقية وتقسب على السهم وتزاد ما يخرج على السهم فالبقيع هو
 النقصان المطلوب المطبق لـ
 والخط الارض المطبق هو الذي يكون من كل جانب
 خطان في العرضين والطول عشرين والوسط خمسة
 والطريق سبعة عشر ان جمع الطرفين ثمانية عشر
 وتقسف الوسط فيكون عشرة وجمع الجمع فيكون ثمانية
 فيوجد ربعه وهو خمسة ونصف فيضرب في الطول
 وهو عشرين فيكون مائة ومثل ذلك وهو كبيرها
 ومثل ذلك منها
 دوائر الاحصاء
 الى عشرة دوائر
 الاشكال هي الاشكال التي تحتها كل واحد منها



«تواريخ الخلفاء»، وكتاب «خطط مصر»، ويظهر أن المقرئى نقل هذا الكتاب برمته وأودعه فى كتابه المعروف بهذا الاسم، والمسمى «المواظف والاعتبار بذكر الخطوط والآثار».

٣ — ابن الجوزى (٥٩٧ هـ بمقداد)

أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الحنبلى .

وله كتاب منشور يعرف باسم «مسيرة عمر بن الخطاب»، وكتاب مطبوع أيضاً هو «الحقى والمغفلين»، ويحوى الكثير من النوادر والطرف والملح التى حدثت للأدباء . وكتاب «المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم»، فى عشر أجزاء، طبع فى الهند، من القسم الثانى من الجزء الخامس إلى الجزء العاشر، من سنة ١٣٥٧ إلى سنة ١٣٥٩ هـ .

وكان «علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ . صنف فى فنون عديدة... فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون فى ذلك، حتى يقولون إنه لو جمعت السكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت السكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كرايس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يدركه العقل،

٤ — ابن الجوزى (٦٥٤ هـ برمشى)

- يوسف بن فرغل المعروف باسم سبط^(١)
وهو صاحب «مرآة الزمان»، وهو مخطوط ؛
(أ) بالآستانة فى أربعين مجلداً .
(ب) بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١ .

(١) أى حفيد الجوزى

(ح) بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقمي ١٥٠٥ - ١٥٠٦
(د) مكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد ، مجموعة بوكوك
Pocock, Oxford or 370 .

وقد أكمل الشيخ قطب الدين اليوناني^(١) ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٨٤ م)
كتاب : « مرآة الزمان » لابن الجوزي ، وأسماء ، الذيل على مرآة الزمان ، .
وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة . وقد ضاع معظم أجزاء هذا
المخطوط ، ولم يبق منه إلا الجزء الخامس عشر والسابع عشر ، وعشر رجال
دار الكتب المصرية على الجزء السابع عشر ، مدفوناً بجامع قايتباي وذلك سنة
١٨٨٢ ، وربما كان هذا هو السبب في ضياع بعض أوراقه وتمزيق البعض الآخر ،
كما جعل القارئ يلقى صعوبة كبيرة في قراءة هذا الكتاب .

وقد طبع له أيضاً كتاب : الانتصار وال ترجيح للمذهب الصحيح ، ورماء
الذهبي في : « ميزان الاعتدال » ، بالتحيز لمذهب الشيعة ، مذهب الفاطميين ،
لتركه مذهب جده الحنبلي واعتناقه المذهب الحنفي ، وذلك جعل بعض المؤرخين
السنيين لا يأخذون بأقواله .

• — ابن واصل (٦٩٧ هـ = ١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)

القاضي جمال الدين محمد بن سالم الحموي ، الشافعي .
« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، جزءان ، وهو مخطوط

- (١) بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ
(ب) وبمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٠
(ح) وبالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٧٠٢

(١) في فهرس دار الكتب لم ينسب « ذيل مرآة الزمان » إلى اليوناني ، بل قيل
إنه لا يعلم مؤلفه .

ولد جمال الدين بن واصل في حماه سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٨ م) ، وفي تلك المدينة قضى أيام طفولته ، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن . ولما ترعرع صحبه والده إلى المسجد ومدارس المدينة ومجالسها العلمية ، ثم صحبه بعد ذلك في رحلاته خارج حماه . وبذا أتاحت له الفرصة أن يتعرف إلى علماء عصره ويتصل بالأحداث السياسية المحيطة به ، ولذا تمكن - فيما بعد - من أن يصف ما دونه في كتابه « مفرج الكروب » ، وصف من شاهد تلك الحوادث وشارك فيها ، فكثيراً ما أشار في كتابه إلى الزمان والمكان وإلى اتصاله بالشخص الذي يعرض له بالحديث ، ولا غرو فقد تنقل بين حماة والمعرة والكرك وحلب .

حضر ابن واصل مجالس صاحب حماة ، وهي مجالس علم ومجالس حكم ، إذ أن والده كان يتولى في ذلك الوقت منصب القضاء في حماه ، ثم تولى ذلك المنصب في المعرة ، فانتقل معه إليها ابنه جمال الدين ، حيث قضى وقته في الدراسة وطلب العلم في تلك المدينة التي نبغ فيها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري والتي كانت من أهم المراكز العلمية . ثم عاد جمال الدين مع أبيه إلى حماة . وبعد عودتهما بقليل ، وصل إلى والده خطاب من الملك الناصر داود يستدعيه إليه للإقامة معه في الكرك ، فرحل إليها ، وأشار جمال الدين إلى ذلك عند استعراضه حوادث سنة ٦٢٩ هـ بقوله : « فوجدنا إحساناً كثيراً وتفضيلاً زائداً وشاهدنا ملكاً ذا فضل ماهر وعلم زاخر ... » .

وبعد سنة من إقامة ابن واصل مع أبيه في الكرك ، خرج السلطان الكامل من مصر سنة ٦٣٩ هـ ، متجهاً إلى آمد ، فمر في طريقه بالكرك وخرج الناصر داود لاستقباله ، كما خرج جمال الدين ووالده للقاء الكامل ، وحين غادر الكامل الكرك بصحبة الناصر داود ، خرج جمال الدين ووالده في خدمة الملك الناصر . وبعد أن فتح الكامل آمد وعاد إلى مصر سنة ٦٣٠ هـ ، عاد الناصر إلى الكرك . على أن ابن واصل بعد أن عاد إلى موطنه حماة ، ذهب

إلى دمشق سنة ٦٣٥ هـ واشتغل بطلب العلم . وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة الأيوبية على وشك الانهيار ، كان جمال الدين ينتقل مع معسكر السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى ذهاب ، وذلك لأنه كان من المنتسبين إلى ذلك السلطان ، فقد كتب قصيدة في رثاء السلطان الكامل عند موته وتمنئة الصالح أيوب عند اعتلائه العرش ، كما كان صديقاً حميماً لـ «استادار»^(١) السلطان أيوب وقائد جيشه الأمير حسام الدين أبي علي .

وعكف جمال الدين على دراسة التاريخ أثناء إقامته في حلب ، وعنى بالعلوم العقلية والفلسفية ، ولذا وضع وهو في مقتبل عمره عدة كتب في المناطق ورسالة في علم الهيئة وكتاباً في الطب .

على أن أهم مؤلفاته جميعاً ، هو «مفرج الكروب» . وقد عاصر ابن راصل سقوط دولة الأيوبيين ، وقيام دولة المماليك ، وشاهد بنفسه شجرة الدر ، وأطلق عليها اسم «شجرة الدر»^(٢) . ولذا كان لهذا المؤلف أهمية خاصة في دراسة عصر الأيوبيين ونشأة المماليك وتأسيس دولتهم في مصر .

(١) الأستاذار : هو أكبر موظفي القصر السلطاني ، ويشرف على البيوت أو الإدارات السلطانية من الحوائج خاناء والشراب خاناء والطست خاناء والفراش خاناء ورجال الحاشية . وهذا الاسم يتركب من كلمتين فارسييتين : أولاهما أستاذ ومعناها السيد أو الكبير ، وثانيهما دار ومعناها ممسك . وبذلك يكون المقصود من كلمة استادار : الذي يتولى قبض المال . وقد يكتب هذا الاسم «أستاذ الدار» باعتبار أن المقصود من اللفظ العربي هو حقيقة الدار ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ . الخالدي : المقصد ص ١٢٦ .

(٢) كانت شجرة الدر أرمنية ، بعثها الخليفة المستعصم بالله العباسي من بغداد إلى نجم الدين أيوب في القاهرة ، فولدت له ابنه خليلاً وأصبحت أم ولد في حريمه . ولما اعتلى أيوب عرش السلطنة الأيوبية في مصر ، ارتفع شأن شجرة الدر ، ثم أعتقها أيوب وتزوجها . وقامت بدور هام في حوادث انتقال السلطنة من أيديهم

(٨ - المصادر)

ابتدأ ابن واصل كتابه من سنة ٥٣٠ هـ ، ووصل في كتابته في هذا المخطوط إلى سنة ٦٦١ هـ وهي السنة التي أرسله فيها السلطان الظاهر بيبرس رسولا من قبله إلى جزيرة صقلية ، وواصل أحد تلاميذه الكتابة بعد ذلك حتى سنة ٦٨٠ هـ .

وهذا المخطوط قسيمان :

القسم الأول : يتناول فيه ابن واصل الكلام من سنة ٥٣٠ هـ حتى سنة ٦٣٢ هـ .

والقسم الثاني ، يحوى الفترة الواقعة في التاريخ المصرى في العصور الوسطى من سنة ٦٣٢ هـ إلى سنة ٦٨٠ هـ . والظاهر أن ابن واصل سمي كتابه باسمين ، لأن القسم الثانى مكتوب باسم « تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والولاطين » .

٦ - بيبس الدوارد (٥٧٢٥ = ١٣٢٥ م)

« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » ،

يقع هذا الكتاب في أحد عشر مجلداً ، موجودة بالمتحف البريطانى بلندن فقد بعضها ، ولا يوجد منها سوى أربعة أجزاء هى :

الجزء الرابع : (١٣١ - ٢٥٢ هـ) الجزء الخامس (٢٥٣ - ٣٢٢ هـ)

الجزء السادس : (٣٢٣ - ٣٩٩ هـ) الجزء التاسع (٦٥٦ - ٧٠٩ هـ)

ولا يوجد في مصر من هذه الأجزاء سوى التاسع ، وهو مخطوط محفوظ

= الأيوبيين إلى أيدي أمراء المماليك . وكانت تلك السيدة أول سلطنة على مصر من غير الأيوبيين .

بمكتبة جامعة القاهرة (رقم ٢٤٠٢٨) . ويبدأ بالكلام على سلطنة الظاهر
بيبرس وينتهي إلى أوائل سلطنة الناصر محمد الثالثة ، أى يشمل تاريخ مصر
السياسى فى الفترة الواقعة بين سنتى ٨٦٥٦ و ٨٧٠٩ .

وهو مخطوط على جانب عظيم من الأهمية ، لأن مؤلفه يكتب كشاهد
عيان ، ولكنه يكتب عن السلطان الناصر محمد : متأثراً بما أسبغه عليه هو
ووالده قلاوون من نعم : فقد قلده السلطان قلاوون ولاية السكرك ، وكانت
أحد الأقسام الإدارية الكبرى التابعة لمصر فى دولة المماليك ، ثم عين فى
مفتتح سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فى ديوان الإنشاء ، ولقب منذ ذلك الحين
بالدوادار^(١) ، وظل يترقى حتى وصل فى عهده إلى وظيفة نائب السلطنة .

وبما نلاحظه على هذا الكتاب أن مؤلفه يتكلف السجع فى كثير من عباراته ،
وهذا الجزء الموجود ينقص منه بعض صفحات فى مواضع مختلفة تقطع على
القارىء سلسلة تفكيره .

ويبدأ هذا الجزء من صفحة ٢٩ أ ، وينتهى بصفحة ٢٦٥ ب . وهو يقع
فى ٤٨٧ صفحة ، كل صفحة عبارة عن قسمين ، كل قسم منها يعد صفحة قائمة
بذاتها لها رقم . وللوصول إلى عدد صفحات المخطوط قمت بترقيمها ،
لأن أرقام الصفحات بالمخطوط غير واضحة . أما عدد أوراقه فتبلغ
٢٤٩ ورقة .

وكان بيبرس الدوادار مؤلف هذا المخطوط من مماليك السلطان قلاوون

(١) الدوادار : اسم مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو الدوا ، والثانى دار
ومعناها مسك . فيكون المعنى بمسك الدواة ، وحذفت الهاء آخر الكلمة استئثالا .
وظيفته تقديم القصص إلى السلطان وتبليغ الرسائل إليه . القلقشندى : صبيح
الأعشى ج ٥ ص ٢٦٢ .

مؤسس بيت قلاوون الوراثة في دولة المماليك ، ولذا كشف لنا عن صفات قلاوون المتينة وطيب شمائله فقال :

« إنه كان حلما ، عفيفا عن سفك الدماء ، مقتصرا في العقاب كارها للأذى ، لا جرم أن الله جازاه في ذريته وحاشيته بالحسن ، ورفع قدر عتقائه وألزامه ، وربط ذكر ممالكه وخدامه ، وصيرهم ولاية الأمور وساسة للجُمهور ، وقادة للعساكر ونوابا للممالك ، واتاهم من سداد الرأي والتشامخ الأهواء والمحافظة على حفظ البيت ، ما لم يؤته واحدا من العالمين . ولقد مررت بتواريخ الأمم وسير ملوك العرب والعجم ، فلم أقف على أن أحدا وفي كوفاتهم ولا سلك في السداد مثل أنجابههم ، وكان ذلك بحسن نية الشهيد ^(١) ، والمرجوليته الحفظ والتأييد ، ولأنصاره وأعوانه العون والتسديد ، ^(٢) .

وأشار بيبرس الدوادار في موضع آخر إلى أن قلاوون لم يطفّر بمماليكه إلى المناصب العالية بل تدرجوا في المراتب والوظائف ، مراعى مواهب كل منهم وخبرته ، فقال : « ونقل (قلاوون) أوليائه على التدرج نقلا يدل على رصانة عقله ... فانتقلوا إلى الزيادات على تعاقب السنين وأخذوا فيما أخذوا أخيار المثين ، فسكانوا بالإمرة مدربين ، وفي التدبير مجربين ، ^(٣) . وفي ذلك دليل على مبلغ تقديره لبيت قلاوون .

(١) الأرجح أن استعمال كلمة « شهيد » هنا لانقيد الإشارة إلى موت السلطان في سبيل الدفاع عن الإسلام ، إذ أنها استعملت للوك والسلاطين في الكتب التاريخية بمثابة المرحوم .

(٢) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٧٥ - ٨٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧ - ٨ - النويرى وابن شاهنشاه (٧٣٢ = ١٢٣٢ م) ^(١)

ولد شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى سنة ٦٧٧ هـ (١٢٨٠ م) فى أخميم بصعيد مصر ، ومثله مثل أبى الفداء صاحب المختصر فى أخبار البشر ، فقد اشترك فى حروب المماليك اشتراكا فعليا ، ووصف كثيرا من وقائعهم .

وضع النويرى كتاب " نهاية الأرب فى فنون الأدب " . ويمتاز بالوثائق التى يثبت بها وجهة نظره فيما أدلى به من آراء . وهو دائرة معارف جلييلة الشأن تقع فى ٣٠ جزءا ، نشرت دار الكتب المصرية ١٤ جزءا منها ، ويمكن الاطلاع على ما لم ينشر ضمن الموجود فى دار الكتب المصرية (رقم ٦٤٩ معارف عامة) وهو مخطوط أيضا بالملكية الأهلية بباريس رقم ١٥٧٦ .

وتكلم أبو المحاسن عن النويرى ، فقال : " كان النويرى فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، وله مشاركة جيدة فى علوم كثيرة . قيل إنه كتب صحيح البخارى ثمانى مرات ، وكان يبيع كل نسخة من البخارى بخطه بألف درهم . وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كرارىس ، وتاريخه سماه : منتهى (يقصد نهاية) الأرب فى علوم (يقصد فنون) الأدب ، فى ثلاثين مجلدا ، رأيت وانتقيه ونقلت بعض شىء من هذا التاريخ " . ^(٢)

و " نهاية الأرب " كتاب تاريخى أدبى ، وضعه النويرى فى عهد السلطان

(١) جاء فى المنهل الصافى لأبى المحاسن أن وفاة النويرى كانت سنة ٧٣٢ هـ .
واسكن أبا المحاسن فى النجوم الزاهرة وابن حجر فى الدرر الكامنة والأدبى فى الطالع السعيد ذكروا أنه توفى سنة ٧٣٣ هـ . وذكر الأخير أن لها كانت فى ٢١ رمضان .
ولكن رأى القائل بوفاته سنة ٧٣٣ هـ وهو الأصح ، خصوصا أن الأدبى توفى سنة ٧٤٨ هـ ، وكان صديقا للنويرى فهو أعلم بحاله .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٩ .

الناصر محمد بن قلاوون ، من أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية . وقد جاء في خمسة أقسام :

الأول - في السماء والآثار العلوية والأرضية والعالم السفلي .

الثاني - في الإنسان وما يتعلق به .

الثالث - في الحيوان الصامت .

الرابع - في النبات والطب .

الخامس - في التاريخ .

* * *

ووضع الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن عمر الأيوبي صاحب حماء كتاب « التبر المسبوك في تواريخ الملوك » .

وهو مخطوط بدار الكتب ، ويبدأ من سلطنة شمس الملوك دقاق السلجوقي المتوفى سنة ٥٤٩٩ هـ ويقتضى إلى سلطنة الملك الأشرف جقمق الذي تولى الملك سنة ٥٧٤٤ هـ ، ويشمل تاريخ دولة المماليك البحرية والبرجية .

وذكر عن كل سلطان : تاريخ توليه وسنة وفاته والحوادث التي وقعت في عصره ، على أنه لا يسمب في المسائل التي يتكلم عنها ، بل يتناولها باختصار ويوجد في آخره أسماء الخلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر .

٩ - ١٠ - الجزرى (٥٧٣٩ = ١٣٣٨ م)

والزهبى (٥٧٤٨ = ١٣٤٧ - ١٣٤٨ م)

ولد الإمام شمس الدين الجزرى فى ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ ووضع كتابه "تاريخ الجزرى"، وهو مخطوط رقم ٩٩٥ بدار الكتب المصرية وهو عبارة عن تاريخ كبير فى الحوادث والوفيات وتراجم الرجال من مختلفى الأقطار والبقاع، رتبته على السنين على نسق تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبى^(١).

ويوجد من هذا المخطوط، الجزء الأخير فقط، ويبتدىء من ٨ المحرم سنة ٥٧٣٩ هـ، أى مدة ١٣ سنة. ويقع فى ثلاثة مجلدات تحوى تاريخ الشام والعراق ومصر والحبشة:

المجلد الأول - من صفحة ١ - ٢٠١

المجلد الثانى - من صفحة ٢٠٢ - ٤٠٣

المجلد الثالث - من صفحة ٤٠٤ - ٦١٤

وهذه المجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى من الجزء المخطوط، بخط عبد الله بن سعيد البيرى الدمشقى الشافعى. وفرغ الجزرى من كتابه فى ٢ رمضان سنة ٥٧٣٩ هـ.

وهذا المخطوط موجود برقم ١٠٢٧ بمكتبة كوبرلى زاده بالاستانة، نسخها ابن المشدد من النسخة الأصلية.

(١) هذا الوصف مأخوذ من الكتاب نفسه

وفي آخر المخطوط ترجمة للمؤلف ، ككتبتها القاسم بن محمد البرازيلي ،
وكانت بينهما دودة كبيرة ومحبة وافرة وصحبة أكيدة . .
ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوي ، وأسمها :
« الذيل على طبقات القراء » .

ووضع شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي كتاب « تاريخ الإسلام »^(١) ،
وهو مخطوط .

(أ) بمكتبة دار المكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٦ تاريخ .

(ب) بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٨١

(ج) بمكتبة بودليان بأكسفورد تحت رقم ٣٠٤

Bodelian, Laud. Or. 304.

ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوي ، وأسمها :

« وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الإسلام » .

١١ — العمري (٥٧٤٩)

القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى

« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »

ولد العمري في الثالث من شوال سنة ٥٧٠٠ هـ . وشغل وظيفة ناظر ديوان
الإنشاء في مصر والشام . واضطلع هو وأسرته بمهام هذا الديوان فترة طويلة

(١) راجع ما كتبناه عن مخطوط « تاريخ الجوزي » . شرع القدسي في طبع تاريخ
الإسلام الكبير وتم منه الجزء الأول والثاني

في دولة المماليك ، وهو أحد أفذاذ الكتتاب الذين ضربوا في الأدب بسهم ، وكان له القدر المعلى في تحرير التفويض^(١) التي بمنحها الخلفاء للسلطين بتقليدهم أمور البلاد . ولم تخرج رياسة ديوان الإنشاء عن أسرة ابن فضل الله إلا في القليل النادر ، على الرغم من أن عصر المماليك كان زاخراً برجال العلم والأدب وازدان بالعلماء والأدباء ، بما يدل على مكانة بيت العمرى لدى سلطين المماليك ، فقد كان صاحب ديوان الإنشاء يلقى إليه السلطين بأسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء والوزراء^(٢) .

و « مسالك الأبصار ، مخطوط بمكتبة دار الكتتب المصرية (رقم ٢٥٦٨) ويقع في عشرين جزءاً . وهو عبارة عن دائرة معارف تاريخية جغرافية أدبية . وهذا المخطوط جميل الفائدة لأنه يشمل نواحي التاريخ المختلفة للأمم الإسلامية إلى سنة ٧٤٣ هـ^(٣) ، ابتداء مؤلفه بأقاليم المشرق واختتمه بأقاليم

(١) جرت العادة في دولة المماليك منذ عهد السلطان بيبرس ، أن يمنح الخليفة كل كل سلطان يعتلى العرش ، تفويضاً يحمل حكمه في نظر الشعب شرعياً ، ويتم ذلك في حفل يجمع الأمراء والقضاة وكبار رجال الدولة ، ثم يحمل ذلك التفويض على رأس الوزير في موكب علني يطوف أرجاء مدينة القاهرة ، بما يدل على تلمف السلطان بحصوله عليه . ولكن منح الخلفاء عهد التفويض للسلطين لم يمنع وقوع حوادث الاغتصاب المتكررة في عصر دولة المماليك ، وبذلك فقدت التفويض قيمتها بتوالى حوادث الاغتصاب من السلطين المفوضين من الخليفة شرعياً .

(٢) الخالدي : المقصد ص ١٢ . أنظر ما كتبه ديمومبين Demombynes عن ابن فضل الله العمرى ومؤلفاته في كتابه Le Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III-IV في القسم الذي كتبه بعنوان Les Auteurs Arabes (٣) أنظر ما كتبه ديمومبين Demombynes عن ابن فضل الله العمرى ومؤلفاته في كتابه La Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III-IV في القسم الذي كتبه بعنوان Les Auteurs Arabes

المغرب . ورتب ما بعد الهجرة على السنين ، كل عشر سنين دفعة واحدة .

ويواجهه الباحث صعوبة كبرى في معرفة الأجزاء التي وردت بها تلك المعلومات ، لضخامة الكتاب وعدم وجود الفهارس التي تبين ما يشتمل عليه كل جزء من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها . بيد أنه يتضح أن المجلد الثالث من الجزء الثالث عشر ذو قيمة خاصة لما احتواه من المعلومات الدقيقة التي تجلو لنا كثيراً من الغموض المخيم في المصادر الأخرى . ويشتمل ، مسالك الأبصار ، على أخبار الأمم البائدة وأحوال الملوك السابقين والأقاليم وما فيها من الممالك وما اصطلمت عليه كل مملكة في معاملتها وجنودها وطوائف العلماء .

وقد قام المرحوم أحمد زكي (باشا) بنشر الجزء الأول من هذا المخطوط ، فصاحبه ووضع حواشي مفيدة ، لما ورد فيه من المعلومات (دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م) . ويمكنني لبيان قيمة هذا الكتاب ما ذكره ناشره أحمد زكي (باشا) في مقدمة الجزء الأول منه من أنه ، لا يحتاج إلى التعريف به ولا مؤلفه ، فقد استفاد منه في القرون الوسطى كل أكابر العلماء في الشرق : من عرب وفرس وترك . .

وكثيراً ما يشير القلقشندي في كتابه « صبيح الأعشى » ، إلى ابن فضل الله العمري ويأخذه منه فقرات كاملة ، ولكنه ينسبها إليه ، مراعيًا الأمانة التاريخية ، كما أن القلقشندي نقل عن ابن فضل الله العمري كثيراً من الوثائق .

١٢ — المقرئ (المتوفى في نيف وسبعين وسبعمائة للهجرة) :

شهاب الدين أحمد بن المقرئ

(أ) د الجمان ، من مختصر أخبار الزمان ،

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

(ب) د نثر الجمان ، في تراجم الأعيان ،

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

ولد المقرئ في مدينة فاس ، ورتب كتابه ، الجمان ، في ثلاثة فصول :

الأول — من مبدأ الخليقة إلى مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، وأتى فيه على قصص الأنبياء والحوادث التي وقعت في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي .

والثاني — عن الرسول والبعثة النبوية .

والثالث — عن عهد الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين إلى الدولة الفاطمية بمصر وإفريقية ، وعن بلاد الأندلس .

أما د نثر الجمان ، ، فهو تاريخ عام عن الأنبياء والملوك والأمراء والقضاة ، من بدء الخليفة إلى زمن المؤلف . ولكن لا يوجد منه سوى ثلاث مجلدات :

الأول — من سنة ٥٣٣ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ

والثاني — من سنة ٦٢٣ هـ إلى سنة ٦٨٩ هـ

والثالث — من سنة ٧٠١ هـ إلى سنة ٧٤٥ هـ

١٣ - النويرى الاسكندرى^(١) (٧٧٥ هـ = ١٣٧٣) :

محمد بن قاسم محمد بن الاسكندرى .

و كتاب الإمام ، بما جرت به الأحكام والأمر المقضية ، فى وقعة الاسكندرية ، فى سنة سبع وستين وسبعمائة وعودها إلى حالتها المرضية ، .

(مخطوط برلين ، ورقم ١٨٩٥ . دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩) .
ذكر فيه النويرى آداب الحروب ومكايدها ، وتكلم على انتصار المسلمين على صاحب قبرص بطر ابلس الشام بعد هجومه على الاسكندرية واستيلائه عليها فى محرم سنة ٧٦٧ هـ^(٢) . وذكر الحوادث التى توالى بعد تلك الواقعة : فتكلم على وصول السلطان شعبان بن حسن بن الناصر محمد إلى الاسكندرية لجعلها مقراً للملك وذلك سنة ٧٦٩ هـ ، وتكلم على ولاية أيدمر لشغل الاسكندرية من قبل السلطان شعبان ، ثم على ولاية صلاح الدين أبى عرام على الثغر بعد خلع أيدمر .

وقد ورد فى كتاب الإمام الذى ألفه النويرى الاسكندرانى ما بين سنة ١٣٦٥ - ١٣٦٧ م ، فى تأييد السلطان الناصر محمد والإشادة بذكره ما يلى :

« نعود إلى محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون . كان رحمه الله عادلاً فى رعيته ، محسناً فى قصبته ، أبطال المظالم ، وكف أيدي كل ظالم ، وكان هيكلاً حسناً على ظهر فرسه ، كبير الوجه ، أحمر اللون ، ذا لحية كبيرة ، وقد خطه المشيب ، فقيل فى المعنى :

(١) هو غير النويرى صاحب الموسوعة التاريخية نهاية الأرب فى فنون الأدب ، والمتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) .

(٢) يقصد المؤلف هذه الواقعة ، وقد أثبتنا فى عنوان كتابه .

فقد الوجود بل الوجود لفقده متحسراً أضحى شديده الحائر
يبكى عليك بأدبع كيواقت حمر واولاؤا بعضها بجواهر
زار الثرى فأضأ الثرى من نوره وأجابه أهلاً بنعم الزائر
فقدأ به القبر الذى قد حله روضا يفوح كنشر مساك عاظر
وكانه قد حل فيه روضة مطورة قد نمت بأزاهر
سقىا لترب حل فيها جسمه قد عطرت منه بحجم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة كم وقعة شهدت له ببصائر
فى شقحب حز الروس بسيفه قهرا وانصرا من عزيز ناصر
قد مده بالعز منه أولا فضلا ويَتَّسَم فضله (١) فى الآخر (٢)

ويقوم الأستاذ إتيان كومب Etienne Combe المستشرق السويسرى
المعروف مدير مكتبة جامعة الاسكندرية سابقا والأستاذ الزائر بكلية الآداب
بالاسكندرية ، بنشر هذا المخطوط ، مع ترجمة فرنسية وتحشية واسعة
النطاق .

(١) كانت القاهرة فى عهد الناصر محمد حاضرة لامبراطورية شاسعة متحدة ، فقد
نجح إلى حد أبعد من أسلافه من سلاطين مصر الإسلامية فى تكوين تلك الإمبراطورية ،
وبسطت إمبراطوريته نفوذها على بلاد اليمن والحجاز ، وخطب ردها ملك أوربا
وآسيا عن طريق إبرام المعاهدات والمصاهرة وإرسال الهدايا . وفى عهده قضت
مصر على المغول ونجحت فى طرد بقية الصليبيين . وامتاز عصره بما حدث فيه من
تطورات جوهرية فى نظم الحكم ، وكان من أعظم السلاطين شغفا بالبناء والتشييد
واسكن رغم تلك الأعمال الجليلة فإنه عند وفاته فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ
(١٣٤٠ م) لم تراع فى تكفينه ومواراته التراب مراسم الاحترام والإجلال
اللائقين بسلطان عظيم كالناصر ، فقد شيعت جنازته بالليل ، ولم يشترك الشعب فى
توديع سلطانه ولم يسر وراءه سوى عدد قليل من أمراء مصر .

(٢) راجع مخطوطة برلين : كتاب الإمام للنويرى ورقة ٢٣٣ ب = ١٢٣٤ .

١٤ - ١٩ - مخطوطات التاريخ المحررى^(١)

وهناك مصادر خطية ، تعتبر أصلية ، فى دراسة النظم الحربية ، فى
العصور الوسطى الإسلامية ، وتمدنا بمعلومات جديدة ، تلقى ضوءا على
السلاح والعتاد الحربى والسفن الحربية والبحرية ، التى عرفت فى ذلك العصر ،
ومنها مخطوطات :

بكتوث الرماح : خازن دار الملك الظاهر (٧١١ هـ = ١٣١١ م)

، نهاية السؤل والأمنية ، فى تعليم الفروسية ،

وهو مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٣٦٣١ . Orient . ومن هذا الكتاب
نسخة مخطوطة بدار السكتب المصرية .

ابن أرتبغا الرندى (٧٦٧ هـ = ١٤٦٢ - ١٤٦٣ م)

، الأنيق فى المجانيق ،

وهو مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية .

(١) لفت نظرنا إلى هذه المخطوطات الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ،
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية سابقا ، فقد نقل كل ما يتعلق بها فى
صور فتوغرافية خاصة .

(٢) الخازن دار : بمثابة مدير مخازن البيوت (الإيرادات) السلطانية ، ويختار
عادة من بين كبار الأمراء .

الشرقي (٨٧٧٠ = ١٣٦٧ م) : طيبغا البلقميشي اليوناني .

« كتاب غنية الطلاب ، في معرفة الرمي والنشاب ،

وهو مخطوط في كهرج رقم ١٧٨ ٢ ٩ - ٢٤٠

الفرد محمد بن منطلي (٧٧٨ هـ = ١٣٣٦ م)

« الأحكام المملوكية ، والضوابط الناموسية ،

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية .

الحمامي (٧٨٠ هـ = ١٣٧٩ م) : محمد أحمد بن لاجين الطرابلسي

كتاب « الفروسية برسم الجهاد ،

وهو مخطوط بمكتبة برلين رقم ٥٨٨ .

والباب الأول منه في « ركوب الخيل والنزول بالرمح » .

والباب الثاني في « المناصب الحربية ، وتشمل (الطعن الحجازي ، والطنن

الروماني ، والسكرد الصغير والكبير ، والنارود الصغير والكبير ، والمقابلة

والمقلوبة ، والمجادلة والمنصوبة ، والمفارقة والملازمة ، والمخارجة والمضايقة ،

والسكر والفهر ، والهزل والجد ، والأخذ والرد ، والطلوع والنزول . وهي

من صنوف الأوضاع والحركات المختلفة في حومة القتال .

والباب الثالث في الحروب وعلم الفروسية .

(المؤلف مجهول الاسم)

« كتاب الفروسية ،

وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس .

ومادته تشبه في جملتها ماورد في كتاب الفروسية برسم الجهاد .

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة

إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفها



ابن عبد الحكم — الطبرى وعريب بن سعد ومسكويه وأبو شجاع وابن الأثير —
سميد بن البطريق — ابن الداية — البلوى — الكندى — ابن زولاق — البغدادى
والماوردى وابن حزم والطوسى والشهرستانى — أبو هلال الصائى وابن منجب الصيرفى
وابن الفلانسى — أبو صلاح الأرمى — ابن عماتى — ابن شداد وأبو شامة — ابن
ميسر — ابن أبى أصيبعة والمراكشى ومفضل بن أبى الفضائل — ابن خلصكان — ابن
طباطبا — أبو الفدا — العمرى — الكتبى



تعد مصادر الأقدمين ، أهم أنواع المصادر للباحث فى التاريخ المصرى
الوسيط . فهمى الوساطة بين الماضى والحاضر ، وهى طريقة يمكن الوصول
إلى المعلومات التى دونها مؤرخون معظمهم من المعاصرين لهذه الحوادث .
ولذا تلزم العناية بدراستها قبل غيرها من المصادر التاريخية الحديثة أو مصادر
الآثار أو الأدب . وقد عنيت جهد الاستطاعة بحصرها والتنويه بأهمية كل
منها . وسواء كانت تلك المصادر ، منشورة أو مخطوطة ، فإن الالتجاء إليها
فى سبيل البحث التاريخى الدقيق ، من أزم الأمور لدراسة التاريخ على أسس
علمية .

١ - ابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ) :

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن
أهين بن الليث بن رافع المالكي القرشي المصري .

« فتوح مصر والمغرب »

وهو من أقدم الكتّاب التي كتبت في تاريخ مصر الإسلامية . وكان ابن
عبد الحكم معاصراً لأحمد بن طولون . وكان فقيهاً متضلعا في الشريعة الإسلامية
وقد أثار سخط ابن طولون عليه ، حين رفض الموافقة على قرار الجمعية التي
عقدتها ابن طولون لخلع ولي عهد الدولة العباسية .

ويحوى هذا الكتاب أخبار الأنبياء والصحابة والتابعين وغيرهم من لهم
شأن في فتوح مصر والمغرب ، وبيان إقطاعاتهم وجيوشهم والإصلاحات
التي تمت على أيديهم .

وقد طبع الجزء الخاص بمصر ، مجلس المعارف الفرنسي الخاص
بالعادات الشرقية ، بإشراف هنري ماسيه Henri Massé سنة ١٩١٤ . وقد
استعان الناشر بمخطوطات هذا الكتاب الموجودة بمكتبة المتحف البريطاني
بلندن رقم ٥٢٠ ، والمكتبة الأهلية بباريس رقمي ١٦٨٦ و ١٦٨٧ ومكتبة
المعهد العلمي ببلندن رقم ٩٦٢ . وهذا المخطوط الأخير ناقص خال من أسماء
الرواة الذين يروى عنهم المؤلف . وقد نشر توري Charles Torrey كتاب
« فتوح مصر » بمدينة لندن سنة ١٩٢٠ وأودعه ما نشره هنري ماسيه في كتاب
« فتوح مصر » الذي نشره سنة ١٩١٤ . وقد صدر توري هذا الكتاب بمقدمة
تقع في ٢٤ صفحة ، ثم نشر كتاب أخبار مصر قبل الفتح في ٤٤ صفحة ،
وأخبار الفتح تقع بين صفحتي ٤٥ و ١٨٣ (وهو نفس ما نشره هنري ماسيه)
(٩ - المصدر)

ثم زاد عليه أيضاً أخبار فتح إفريقية (صفحة ١٨٣ — ٢٠٤) وفتح الأندلس
(ص ٢٠٤ — ٢٢٥) .

ومن الكتب الحديثة في تلك الفترة من تاريخ مصر ، وتماثل في الأهمية
ما كتبه ابن عبد الحكم :

BUTLER, A.

١ - بتلر

(a) The Arab Conquest of Egypt (Oxford, 1902)

ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ محمد فريد أبو حديد
(القاهرة ١٩٣٣) .

(b) Babylon of Egypt (Oxford, 1914) .

GIBBON

٢ - جيبون

The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.
7 Vols. ed. by T. B. Bury .

من إبراهيم حسن

عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٣)

٤ - محمود عكروش

مصر في عهد الإسلام ، أرفتح العرب لمصر
(القاهرة ١٩٤١)

٢ — ٦ الطبري ، وعريب بن سمر ، ومسلمويه ،

وأبو سجع ، وابن الأثير :

ولد أبو جعفر بين جرير بن يزيد الطبري في طبرستان الواقعة جنوب بحر قزوين سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) ورحل في حداثة سنه إلى بغداد وتلقى العلم بها . ثم عهد إلى عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل العباسي تعليم ابنه ، فظل يباشر هذه المهمة إلى أن اعتزل هذا الوزير الحكم . فسافر الطبري إلى الشام وفلسطين ومصر . وقضى في رحلته زهاء خمس عشرة سنة ، ثم عاد إلى بغداد ، وقضى بقية حياته في التعليم والتأليف . وعكف الطبري على كتابة التاريخ ، فكان مثالا للعالم المنكب على عمله ، وكان يكتب في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعين صحيفة .

ويعد كتابه « تاريخ الأمم والملوك » أقدم وأهم المراجع التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ الإسلامي عامة ، ويمتاز بدقة ما ورد فيه من المعلومات الكثيرة وبالدقة في تحري تلك المعلومات ، مما يدل على ما اتصف به هذا المؤلف من علم غزير .

طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٨١ م de Goëgi . وطبع كذلك بالمطبعة الحسينية ويقع في ١٣ جزءا .

ويكتب الطبري^(١) « تاريخه » سنة فسنة ، وهذا يسمى بالسنوات ويبتدىء هذا التاريخ من خلق الإنسان : فيتكلم عن آدم والجنة كما ورد في الكتب الدينية ، ثم يسرد الأخبار الخاصة بالدولة الرومانية ، ويصف العرب في الجاهلية

(١) اقرأ تاريخ حياة الطبري وأهميته العلمية في

Nicholson : Literary History of the Arabs, pp: 349 — 352 .

وفي صدر الإسلام ، ويتكلم عن البعثة النبوية ، فالخلافة وامتدادها وينتهي بها إلى سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥) ، مع أنه توفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ .

والكتاب كما تركه مؤلفه غير موجود ، إذ أنه الأسف سرق ، ونقل في عدة كتب أخرى . ولاهميته ساح بعض علماء الهولنديين في الممالك الإسلامية واستخرجوا من المؤلفات الملخصة المسروقة التي نقلت عنه نسخة أقرب ما تكون إلى الحقيقة .

وقد عمد بعض المؤرخين إلى إكمال كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري :

١ — أكمل هذا الكتاب إلى سنة ٣١٠ هـ ، عريب بن سعد القرطبي ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) والذي شغل منصب الكتابة في بلاط الحكم الثاني في قرطبة (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ = ٩٦١ — ٩٧٦ م) ، وأطلق على كتابه :

« صلة تاريخ الطبري » ، (طبعة دي غويه — ليدن ١٨٩٧ م)

وهو ذيل لتاريخ الطبري ، ابتداء من سنة ٢٩١ هـ وانتهى فيه إلى سنة ٣٢٠ هـ . وتنحصر أهمية هذا الكتاب في أنه أحاط بتاريخ شمال إفريقيا ومصر ، في الوقت الذي لم يهتم فيه الطبري بأن يمدنا بشيء ذي غناء عن تاريخ هذه البلاد^(١) :

٢ — وتناول مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، الحوادث التي أعقبت مادونه الطبري في تاريخه ، وينتهي إلى سنة ٣٧٢ هـ . ووضع من أجل ذلك كتابه :

« نجارب الأمم وتعاقب الهمم »

وهو من أهم الكتب العلمية ، فقد كان لمسكويه ضاع كبير في الحوادث

الهامة التي تنازلها في كتابه ، مما يجعل لمعلوماته قيمة كبيرة ، كما أن المناصب التي تقلدها كانت تلقى على عاتقه كثيراً من المسئولية إذ مكنته من الوقوف على أسرار الدولة (١) .

وابتدأ مسكويه كتابه «نحارب الأمم» ، بما نقل إليه من الأخبار بعد الطوفان ، ثم سيرة الرسول عليه السلام ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والولاة والملوك والسلاطين إلى أوائل سنة ٣٧٢ وورثه على السنين الهجرية ، ويقع في ثلاثة مجلدات (القاهرة ١٢٣٢ هـ = ١٩١٣ م) ، عني بتصحيحها المستشرق الإنجليزي أمدروز Amedroz ، ووضع لها فهرسين لأسماء الرجال والأماكن . وقد اختلف المؤرخون في صحة ثبوت لقب مسكويه له أو لا يبه .

٣ - ووصل ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراورى الأصل ، الأمازي المولد ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وزير الخليفة العباسى المقتدى (٤٧٦ - ٤٨٧ هـ) المعروف بأبى شجاع ، تاريخ مسكويه بتاريخه وعرف كتابه باسم :

« ذيل تجارب الأمم » .

وتناول فيه الكلام على المدة الواقعة بين سنق ٣٧٢ هـ و ٣٨٩ هـ ، وورثه على السنين .

٤ - وكتب ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٨ م) كتاب «الكامل فى التاريخ» ، (بولاى ١٢٩٠ هـ = ١٨٧٤ م) .

وجاء فى ١٢ جزءاً ، يبدأ فيه من خلق الإنسان ، ووصل إلى سنة ٦٢٨ هـ (٢) أى لما بعد الطبرى بثلاثمائة سنة . كتبه بطريقة السنويات على نسق الطبرى (٣) .

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٩ حاشية ١ .

(٢) ذكر ابن الأثير فى آخر الجزء الثانى عشر عبارة « ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة » ، ولكن لم يذكر بعد هذه الجملة شيئاً ، فىكون التاريخ منتهياً بسنة ٦٢٨ هـ .

(٣) Nicholsod : Literary History of the Arabs, pp. 355-357

ولابن الأثير كتاب آخر يعرف باسم «اللباب» ، اختصر فيه أنساب السمعاني واستدرك عليه ، طبعه القدسي في مصر في ثلاثة أجزاء ، تم طبع الأول والثاني منهما ولا يزال الثالث تحت الطبع . ولابن الأثير أيضاً «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ، وهو خمسة أجزاء (القاهرة ١٢٨٠ هـ) .

٧ - سعيد بن بطريق (٣٢٨ = ٩٤٠ م)

« نظم الجواهر » المعروف باسم :
« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق »

كان سعيد بن بطريق معروفاً عند الإفرنج باسم أوتينخا وهو من أهل القسطنطينية ، وكان بطريقاً للقبط ، وكتب كثيراً عن تاريخ مصر ، وأمدنا بمعلومات تعتبر أصلية عن تاريخ العالم منذ بدء الخليقة ، وعن تاريخ البطارقة والكهنات ، وشمل كتابه الحوادث التاريخية إلى زمن الرسول عليه السلام وزمن الهجرة ، وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين إلى سنة ٣٢٦ هـ في خلافة الرازي العباسي . إلا أن لغته يغيها الركاكة ، وتوفي ابن بطريق سنة ٣٢٨ هـ .

وبعد وفاته ، أتم عمله يحيى بن سعيد الأنطاكي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) فأخرج كتاباً سماه « تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي » . وهو رجل موطنه أنطاكية ، واسكنه مصرى المولد ، وقضى في الديار المصرية مدة تتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين سنة ، وذلك جعل لكتابه قيمة خاصة .

وكتاب « تاريخ يحيى بن سعيد » هو ذيل لكتاب « نظم الجواهر » ، جمع فيه يحيى ، بطارقة الإسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية والخلفاء والملوك والسلاطين وسيرهم . ويتناول الفترة من سنة ٣٢٦ هـ إلى سنة ٤٤٥ هـ .

٨ — ابن الداية (حوالى سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)

أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم

(١) ، سيرة ابن طولون ،

(ب) ، المسكافة ،

كان ابن الداية عراقى الأصل ، وعرف بذلك الاسم لأن أباه كان ولد داية إبراهيم بن الخليفة المهدي العباسي . ولد في مصر لأن أباه كان قد رحل إليها بعد وفاة مولاه إبراهيم ، وسنة ولادته غير معروفة تماما ، وكان أحد كتاب الدولة الطولونية في مصر .

ووضع ابن الداية كثيراً من الكتب ، فقدت كلها إلا كتابين : سيرة ابن طولون ، والمسكافة . ذلك أن الكتاب الأول وصل إلى رجل مغربي هو علي بن موسى المغربي (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ = ١٢٧٥ م) فنشره وضمنه كتابه «المغرب في حلى المغرب» وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية ، وهي النسخة التي قام بنشرها فلز Vollers (برلين ١٨٩٤ م)

أما الكتاب الثانى وهو «المسكافة» فقد أشرفت وزارة المعارف على طبعه ونشره سنة ١٩٤١ بالمطبعة الأميرية ، وصححه وضبطه الأستاذان أحمد أمين وعلى الجارم ، ويحتوى على ٧١ قصة من القصص التي حدثت في مصر والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية . ولهذه القصص أهمية خاصة إذ هي تعطينا صورة واضحة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في عصر الدولة الطولونية . وقسمت القصص ثلاثة أقسام : أولها يشمل إحدى وثلاثين قصة حول حسن الصنيع والمسكافة على الجبل ، وثانيها ويشمل إحدى وعشرين قصة على المسكافة على القبيح ، وثالثها ويشمل تسع عشرة قصة على «حسن العقبي» . وهذه القصص كلها تدعو إلى الخير وتنفر من الشر .

٩ — البلوى : (١) (لم تعرف سنة وفاته) :

أبو محمد عبد الله بن عمير بن محفوظ المدني .

« كتاب سيرة ابن طولون ،

(نشرته المكتبة العربية بدمشق - ١٣٥٨ هـ و ١٩٣٩ م) .

نشأ البلوى في مصر لأن أجداده رحلوا إليها . ولم تعرف بالضبط السنة التي توفي فيها ، وإن كان من المتفق عليه أنه وضع كتابه حوالي سنة ٣١٢ هـ أي بعد انقراض الدولة الطولونية (سنة ٢٩٢ هـ) بحوالي عشرين عاماً ، واعتمد البلوى على ما كتبه ابن الداية ، وقام بنشر مخطوط البلوى ، الأستاذ محمد كرد علي وزير معارف سوريا الأسبق .

ويحوى الكتاب وثائق على أعظم جانب من الأهمية ، منها الرسائل المتبادلة بين أحمد بن طولون والموفق طلمجة ولي عهد الخلافة العباسية وبين ابن طولون وولده العباس وبقية أولاده وقواده .

وقد ذكر الأستاذ كرد علي ناشر المخطوط أن في نشره « إحياء مادة جديدة في تاريخ مصر والشام ، ولونا طريفاً من أدب عصره الجميل ، فيه حلاوة وطلاوة ، ولأن فيه ألفاظاً فصيحة ومعربة في شئون الحياة كانت مألوقة في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص واقعية تدل على كياسة ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارئ من حكمته وحنكته ، فيها

(١) حرف باسم « البلوى » نسبة إلى قبيلة بلي ، والتي ينتمي إليها والتي ينتهي نسبها إلى قحطان . وكان لأفرادها يد بيضاء في فتوح مصر والشام ، ومنهم الصحابة والتابعون والعلماء والفضحاء ، ومنهم عبد الله هذا ، نزل أجداده وادي النيل ، فنشأ مصرياً يحب مصر .

متعة للنفس وسلوى، وصورة صادقة من صور ذلك المجتمع، وذيله بحواشي قيمة ووضع عناوين للقصص والفصول، لتدل عليها وترشد إلى مضمونها، كما عمل له فهارس مختلفة.

وفصل البلوى الكلام عن نشأة ابن طولون وأخبار حروبه وما كان بينه وبين ولده العباس وذكر كل عجيبة من أنباء ذكائه ودقة ملاحظته وقوة فراسته وحسن سياسته وعدله ورحمته ومفاخره ومكارمه. ويؤخذ على البلوى غلوه في الدفاع عن مساوي ابن طولون، ومحاولته تبرير أعماله التي ارتكبها في شطط وإفراط، كما أسرف في ذكر القصص الغريبة والحوادث العجيبة التي يستحيل على العقل تصديقها.

وقد كتب الأستاذ محمد كرد علي ناشر المخطوط في «مدخل الكتاب، أو مقدمته بعنوان «أحمد بن طولون بتصوير البلوى، ما يلي: «صور البلوى أحمد بن طولون صورة جميلة، وخاج عليه من الثناء ثوباً فضفاضاً. صور ذكائه وقوة ملاحظاته ورسم فراسته وسياسته، وعدله ورحمته، وصدقاته ومكارمه، معجباً بكل ما أتاه، عاذراً له على ما قدمت يداه، لم ينقده في شيء مما قص من أخباره. ونسب كل ما وقع له من موت عدو، وتبديل في مجرى أحوال الدولة، أو غير ذلك من المصادقات، إلى الإقبال الذي عرف به طالعه، والخط الذي حسن قبيحه وأصلح رديته. والبلوى يمتدح بالإقبال كثيراً، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات، وزناً على ما كان أهل عصره» (١).

وكان هذا المخطوط قبل نشره يوجد في دار الكتب الظاهرية في دمشق. يقول الأستاذ محمد كرد علي «أصل هذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق، سجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢، وكان

(١) مقدمة سيرة ابن طولون للبلوى، ص ١٨.

مدشوتا فجمع وولد في أوائل هذا القرن ، وهو بما وقفه محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحى الدمشقى^(١) المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة قروش .

وهذا الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ كرد على يعرف باسم « حور العميون فى تاريخ ابن طولون » وهو عبارة عن تلخيص مع زيادات لسيرة أحمد بن طولون الذى ألفه البلوى ونشره كرد على . ولا بن طولون هذا كتاب آخر لم ينشر بعد ، يعرف باسم : « العقود اللؤلؤية فى الدولة الطولونية » .

* * *

ومن البحوث الحديثة فى تاريخ ابن طولون ما كتبه باللغة الفرنسية الأستاذ زكى محمد حسن وما كتبه باللغة الانجليزية كوربت Corbett

الأول : بعنوان : Les Tulunides (Paris 1933)

والثانى : بعنوان :

The Life and Works of Ahmad ibn Tulun (Journal of the Royal Asiatic Society, 1891)

(١) ولد محمد بن طولون الدمشقى سنة ٨٨٠ هـ بدمشق ، وتعلم على شيوخها وأعجب به السيوطى ، وأطلق عليه « سيوطى الشام » ، وله عدة مؤلفات أخرى منها « الشجر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام » و « إعلام الورى » بمن ولى من الأتراك بدمشق الكبرى ، و « ملك الجمان » فيما وقع لى من تراجم ملوك بنى عثمان ،

١٣ — الكندي (٨٣٥٠ = ٩٦١ م) :

أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن معاوية بن كندة
، كتاب ولاية مصر ، ومن ولي الصلاة ومن ولي الحرب والشرطة ، منذ
فتحت مصر إلى زماننا .

وقد نشر باسم ، كتاب الولاية وكتاب القضاة ، طبع مهندياً ومصححاً بقلم
رفن جست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

كان أبو يعقوب الكندي مصري المولد والدار ، ولد سنة ٢٨٣ هـ . وكان
من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره ، وله مصنفات فيه وفي غيره من
صنوف الأخبار والأنساب ، وكان من جملة أهل العلم بالحديث والنسب ، عالماً
بكتب الحديث ، صحيح الكتابة ، نسابه عالماً بعلوم العرب .

وصل الكندي في كتابه ، ولاية مصر ، إلى سنة ٣٣٥ هـ ، وكان يشتمل
على من ولي الصلاة والشرطة والحرب ومن جمع له الصلاة والخراج .

ومن الكتب الحديثة التي تناولت تلك الفترة من تاريخ مصر ، مصر في
فجر الإسلام — من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ هـ ،
(القاهرة ١٩٤٧) للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف .

ولما توفي الكندي سنة ٣٦٠ هـ أتم كتابه ابن زولاق المهري الجفس
المتوفى سنة ٣٨٧ هـ في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ووصل في كتابه إلى
سنة ٣٨٦ هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة .

وأتم الكندي وابن زولاق المؤرخ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٣ هـ
(١٣٤٦ م) وأتم الكتاب إلى سنة وفاته ، وسمى كتابه ، رفع الإصر عن قضاة مصر ،^(١)

وقد نشر هذه الكتب الثلاثة مع بعضها روفن جست Ruyon Guest
وأعطاها اسماً واحداً هو ، كتاب الولاية والقضاة ، لأبي عمر الكندي . وبذلك
يكون الكتاب كله قد نسب إلى الكندي ، على الرغم من أنه لم يكتب فيه إلا
القسم الأول الذي وصل فيه إلى سنة ٣٣٥ هـ^(٢) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك الكتاب في المخطوطات .

(٢) راجع الكندي : كتاب الولاية والقضاة ص ٢٩٣ — ٢٩٨ .

١١ - ابن زولاق (٣٨٧ هـ = ٩١٧ م)

أبو محمد الحسن بن إبراهيم

(أ) فضائل مصر وأخبارها وخواصها .

(ب) العيون الدعج^(١) في حلى دولة بني طنج .

(ح) أخبار سيديو يه المصري .

وضع ابن زولاق كتاب « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم ١٨١٧) . استقصى فيه مؤلفه خطط القسطنطينية والعسكر والقطائع . وهو أول مؤرخ لخطط القاهرة المعزية ، إذ أنه شهد قيامها قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة . وانتهى في هذا الكتاب بسنة ٣٨٦ هـ أي قبل وفاته بسنة . وقد أكمل هذا المخطوط أحد الأتراك ابتداء من سنة ٣٨٧ هـ وما تلاها من السنين . ويظهر أنه أدخل على الكتاب الذي وضعه ابن زولاق معلومات استقاها من المؤرخين المتأخرين أمثال القضاعي وأبي الفرج ابن الجوزي وسبط بن الجوزي والذهبي .

أما كتابه « العيون الدعج » ، فهو عبارة عن سيرة محمد بن طنج الإخشيد ، كتبه بأمر أبي علي بن الإخشيد . وأمدنا في الوقت نفسه بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين إلى سنة ٣٨٦ هـ . ومؤلفه من أهم مؤرخي مصر الإسلامية ، وهو حجة لا يستهان به في تاريخ مصر : لأنه كان مصري الجنس ، وعاش بين أهل مصر ، ولأن شهرته قد ذاعت لسعة إطلاعه

في مادة التاريخ . وقد نقل معظم هذا الكتاب (المخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس رقم ١٨١٧) في كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى المغربي) المتوفى بدمشق سنة ٦٧٣ هـ ^(١) (١٢٧٥ م) وهو مطبوع في ليدن ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م ؛ وجامع لمحاسن أخبار أهل المشرق والمغرب ومدنها الشهيرة .

ولابن زولاق عدة مؤلفات أخرى في تاريخ مصر ، منها : سيرة كافور ، وسيرة جواهر الصقلي ، وسيرة المغز ، وسيرة ابنه العزيز ^(٢) . على أنه قد تلاشى معظم هذه الكتب ولا يعرف عنها شيء ، إلا ما أخذه منها غيره من الكتاب الذين جاءوا بعده . وقد عاصر ابن زولاق الإخشيديين والفاطميين ، وامتدت حياته في الدولة الفاطمية إلى سنة ٣٨٦ هـ .

وخلف ابن زولاق كتابه « أخبار سيديويه » ^(٣) المصري ، (القاهرة ١٩٣٣ م) . ولد سيديويه بمصر سنة ٢٨٤ هـ . وكان أديباً وشاعراً وواعظاً ، وأتقن النحو حتى لقب سيديويه بإمام الصناعة في المشرق . وقد ترجم ابن زولاق في هذا الكتاب حياة سيديويه المصري (أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي) واستقصى فيه نواذره وفكاهاته التي شاعت بين المصريين في زمانه . ويظهر أن شهرة سيديويه قد ذاعت في مصر وانتشرت ، ولكن أحداً لم يعن بتقعيد أخباره ، حتى جاء ابن زولاق فألف هذا الكتاب ، وفيه يقول : لو كان بالعراق ، لجمع كلامه ونقلت ألفاظه ، ولو عرف المصريون قدره ، لجمعوا له أكثر مما حفظوه ، وسئلت أن أجمع من كلامه ما أندر عليه مما حفظته عنه ، وما بلغني عنه ، فعملت كتابي هذا بصفته ما كان لحسنه ^(٤) .

(١) السكتي : فوات الوفيات ج ١ ص ١١٢ .

(٢) عدد ياقوت : إرشاد الأريب ج ٣ ص ٧ أسماء الكتب التي وضعها ابن زولاق

(٣) معناه بالفارسية : رائحة النفاح

(٤) ابن زولاق : كتاب أخبار سيديويه المصري ص ١٧

وكان سيديويه المصري ، طارقة مصر في عصره ، علما وأديبا ، وفكاهة وجنونا ، كان يقوم فيهم مقام العالم والواعظ والأديب ، ومقام الجريدة السيارة الناقلة للاذعة ،^(١) .

ولسيديويه مع كافور نوار مستملحة . وفي ذلك يقول ابن زولاق :
« نزل كافور يوما لصلاة الجمعة في مواكبه ، فسمع صياحا عند مسجد الريح ، فقال : أى شيء هذا ؟ فقالوا : سيديويه ، فقال استروه عنى بالدرق وهو يصيح :
أبا المسك مدح اللفظ خزي في السعير ، لا أعتق الله منك قلامة ظفر ثم التفت إلى الناس فقال : حصلنا على خصى وصبي وامرأة : يعنى بالخصى كافورا ، وبالصبي على بن الإخشيد ، وبالمرأة أمه ،^(٢) .

ومات سيديويه المصري في شهر صفر سنة ٣٥٨ هـ ، قبل دخول جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مصر بستة أشهر . فلما ذكرت أمامه أخباره ونوادره قال : « لو أدركته لأهديته إلى مولانا المعز صلوات الله عليه ،^(٣) .

ومن الكتب التي كتبت عن عصر الإخشيديين ، كتاب «سيرة الإخشيد» لمحمد بن موسى بن المأمون الهاشمي ، ولكننا لانعرف عن هذا الكتاب إلا اسمه ووصفه . وضع في عهد الإخشيد ، وملاه مؤلفه مديحا وإطراء لحالة مصر في عهده ، ورغبة منه في التقرب إلى هذا الأمير ، إلا أن الإخشيد لما تصفح هذا الكتاب لم يفته ما انطوى عليه من المعاييب . هذا إلى أن الكتاب لم يتعرض للكلام على بيت الإخشيد وسياسته وحروبه وثروته وحضارة مصر في عهده .

(١) الأستاذ أحمد أمين : مجلة الرسالة ١٩٣٢ .

(٢) ابن زولاق : كتاب أخبار سيديويه المصري ص ٣٢ .

(٣) ابن زولاق : نفس المصدر ص ١٧ .

١٢ — ١٦ البغدادى والماوردى وابن حزم والطوسى والشهرستانى :

وهم أشهر كتاب الملل والنحل والنظم .

كتب البغدادى (المنصور عبد القاهر بن طاهر المتوفى سنة ٤٢٦ هـ
(١٠٣٧ م) كتابه د الفرق بين الفرق ، (القاهرة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م) .

وكتب الماوردى^(١) (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى — الفقيه
الشافعى البغدادى) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) كتاب د الأحكام السلطانية
والولايات الدينية ، (القاهرة ١٢٩٨ هـ ، ولندن ١٩٠١ م) . وهو أول كتاب
وضع باللغة العربية عن نظم الحكم فى الإسلام . على أن الغموض الذى يحيط
بأسلوب الماوردى ، لما يزيد فى قيمة ما كتبه المتأخرون عن هذا الموضوع
أمثال ابن طباطبا وابن خلدون والقلقشندى والمقرئى وغيرهم . والماوردى
كتاب د قوانين الوزارة ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، ويبحث فى
قوانين الوزارة ومعناها واشتقاقها وما يتبعها من تقليد وعزل وما يجب على من
يتولاها من الدفاع عن المملكة والملك والرعية .

ووضع ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) المتوفى فى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)
كتابته د الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ، وجاء فى ثلاثة أجزاء (القاهرة
١٣١٧ هـ) .

كذلك كتب الطوسى (محمد بن الحسن) المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ —
١٠٦٨ م) كتابته د فهرست كتب الشيعة ، (كالكتا ١٨٥٥) .
ووضع الشهرستانى^(٢) (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

(١) كان الماوردى يبيع ماء الورد ، ولذا عرف بهذا اللقب . باقوت : إرشاد
الأريب ج ٥ ص ١٠٧

(٢) تجد تاريخ حياة الشهرستانى فى ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص

(١١٥٣ م) كتابه المعروف باسم (الملل والنحل) وجاء في خمسة أجزاء
(القاهرة ١٣١٧ هـ) .

ووضع المؤلف - الدكتور على إبراهيم حسن بالاشتراك مع الدكتور
حسن إبراهيم حسن ، كتاب : النظم الإسلامية ، في ٣٢٨ صفحة (القاهرة
١٩٦٢) وفيه بحث مؤلفاه نظام الرق والنظم السياسية والإدارية والمالية
والحرية والقضائية في مصر الإسلامية في العصور الوسطى وعند المسلمين في
مختلف العصور . وما جاء في المقدمة التي صدر بها المؤلفان هذا الكتاب ،
يتضح معنى : النظم ، ويحدد المقصود من دراستها : موضوع النظم الإسلامية
موضوع طريف لم يتصد لبحثه إلا القليل من الفقهاء والمؤرخين ، مع ماله من
أهمية وخطر . على أن الموضوع ليس في الواقع بجديد ، فقد بحثه بعض فقهاء
المسلمين الأقدمين بحثاً مستفيضاً^(١) . . . والنظم جمع نظام ، وهي كلمة تطلق
على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانسجام ، وهي - بهذا الاعتبار - تشبه
العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعض . ونظم أية دولة تتكون من
بمجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة .
ومن هذه النظم : النظام السياسي ، والنظام الإداري ، والنظام المالي ، والنظام
القضائي ، وهناك نظم أخرى كالحج والصلاة والصوم ، ونظريات الفرق
الدينية التي ظهرت في الإسلام ، وهي تتصل في الواقع بالدين أكثر من
اتصالها بالتاريخ ، وهناك نوع آخر من النظم هو النظم الاجتماعية التي تعنى
بدراسة حالة الشعوب ، كنظام الرق لما كان له من أثر كبير في حياة المجتمع
الإسلامي^(٢) .

(١) ورد ذكر هؤلاء في الصفحة السابقة

(٢) مقدمة كتاب النظم الإسلامية للدكتورين حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم

وقد ترجم هذا الكتاب أخيراً مولاي عليم الله صاحب صديق إلى اللغة
الأردية ، لغة بلاد الهند الرسمية ، ونشرته تدوة المصنفين في دلهي .

١٧ - ١٩ أبو هلال الصابي ، وابن منجب الصيرفي ،

واحي القلنسي

وضع أبي هلال الصابي المتوفى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

« كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء »

وقد جعله مؤلفه ذيلاً على « كتاب الوزراء » لآبي الحسن
عبد الله بن عبدوس الجهمشيارى المتوفى سنة ٣٣١ هـ ونشره الأستاذ مصطفى
السقا وإبراهيم الايبارى وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة ١٩٣٨ م) . وكتاب
الوزراء يشتمل على أخبار الوزراء والكتاب مع الخلفاء والأمراء من عهد
عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر عهد الخليفة المأمون العباسي .

وكتاب « تحفة الأمراء » جمع فيه أبو هلال أخبار الوزراء إلى عهده
وذكر أخبارهم وشرح أحوالهم وأعمالهم إلى نهاية عهدهم بالوزارة . طبعه هـ .
ف . أمدروز H. F. Amedroz وذيله بفهرس لأسماء الرجال وفهرس لأسماء
الأماء كن وصدره نبذة عن تاريخ مؤلفه أبي هلال ومؤلفاته . ولم يظهر منه
إلا جزء واحد ذيل به أمدروز « كتاب الوزراء » للجهمشيارى ونقله عنه
الأستاذ مرجليوث Margoliouth . وقد تتبع هذا الكتاب التعديلات التي
أدخلت على نظام الوزارة .

وضع أمين الدولة تاج الرئاسة ابن منجب الصيرفي المتوفى سنة ٦٤١ هـ
(١١٤٧ م)

كتاب «الإشارة إلى من نال الوزارة»

طبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية — القاهرة ١٩٢٤ .

ولكتاباه قيمة خاصة في بحث تاريخ الفاطميين ، لأن ابن منجب كان من
أعيان زمانه ومن البارزين من المؤرخين . وتقلد ديوان الرسائل في عهد
الخليفة الأمر الفاطمي من سنة ٤٩٥ هـ ، وظل فيه إلى سنة ٥٣٦ هـ كما كان متصلا
بالبلاط الفاطمي اتصالا مباشرا . وقد أورد ياقوت سيرة ابن منجب ، وأفرد
له ابن ميسر ترجمة خاصة .

وقد ضمن ابن منجب كتابه تراجم وزراء الدولة الفاطمية من عهد الخليفة
العزیز بالله الذي ولي عرش الخلافة الفاطمية في سنة ٣٦٦ هـ إلى عهد الأمر
بأحكام الله (٤٩٥ — ٥٢٥) مبتدئا بالوزير يعقوب بن كلس ومنتهيا
بالوزير نظام الدين أبي عبد الله محمد بن أبي شجاع الأمری .

• • •

وضع ابن القلانسی المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م)

كتاب «تاريخ ابن القلانسی» المعروف باسم :

«ذيل تاريخ دمشق» (بيروت ١٩٠٨ م)

وهذا الكتاب بمثابة ذيل على تاريخ دمشق لابن عساكر وهو مصحوب
بشذرات من تواريخ ابن الفارقي وسبط بن الجوزي والذهبي .
ويمكن عد «تاريخ ابن القلانسی» من المصادر الأصلية منذ ابتداء القرن
السادس الهجري . رقبه مؤلفه على السنين ، ونشر في مجلد واحد مع مقدمة
وملاحظات باللغة الإنجليزية المستشرق الإنجليزي آمدروز .

٢٠ - أبو صالح الأرميني (٦٠٥ - ٨٦٠٦ = ١٢٠٨ م) :

• تاريخ الشيخ أبي صالح الأرميني ، المعروف باسم
• كنائس وأديرة مصر ،

طبعة Evettes في أكسفورد سنة ١٨٩٥م وقرن نصه العربي بترجمة
إنجليزية .

وفي هذا الكتاب يكتب المؤلف تاريخ الكنائس والأديرة المصرية
وأحياء النصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة الأيوبية
وإقطاعاتها وخزاجها . ويحوى معلومات طريفة عن حالة مصر الاجتماعية في
عصر الفاطميين وخاصة علاقة المسيحيين بالمسلمين وأوضح أن قوامها كان
العطف والرعاية . والكتاب مملوء بأمثلة كثيرة عن الخيرات التي أغدقها
الخلفاء الفاطميون والموظفون الكبار من المسلمين على القبط .

وأبو صالح أرميني الجنس من أرمينيا ، وكتابه عبارة عن تاريخ الأرمين
بالقاهرة وغيرها من بلاد القطار المصري من وقت استيلاء الغز الأكراد
على مصر سنة ٥٦٤ هـ ، وتاريخ كنائسهم ومعابدهم وقساوستهم وذكر من وفد
إلى كنائسهم وأقام بها أو رحل عنها .

زار أبو صالح مصر بعد سقوط الفاطميين بقليل ، وشاهد أديرتها
وكنائسها ووقف على أخبار الدولة الفاطمية في أواخر أيامها عن طريق
ما سمعه من الرهبان والقسس ، ورآه هو بنفسه في زيارته من الكنائس
والأديرة في القاهرة وضواحيها^(١) .

• • •

(١) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٦ .

وبما أن هذا الكتاب في القيمة التاريخية ، كتاب الديارات ، لأبي الحسن على بن محمد الشابشتي^(١) ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) وقيل في سنة ٤٣٩ هـ . والشابشتي اسم ديلي يشبه النسبة ، وهو حاجب وشكير بن زيار الديلي ، ويحتمل أن يكون أبو الحسن على الشابشتي من أبناء هذا الرجل ، فنسب إليه وبقي النسب في ولده . وهو معاصر للخليفة العزيز بالله الفاطمي ، وكان أميناً لخزائنه ، وسميراً له وجليسا يطالع للعزيز كتب السيرة والحديث والتفسير .

وهذا الكتاب بحث موضوع الديارات في العراق والشام وفلسطين ومصر وبلاد النوبة . وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بعد ، وموجود في مكتبة برلين (Berlin, we. 4100) . إلا أن الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية أستاذ تاريخ القرون الوسطى بجامعة الاسكندرية ، نشر الجزء الخاص بمصر . وقد زعم إيفتس Evetts في مقدمته لكتاب أبي صالح أن كتاب الديارات للشابشتي قد ضاع ، ولا يعرف لدينا إلا عن طريق العبارات التي اقتبسها منه غيره من الكتاب .

٢١ - ابن ممانى (٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) :

أسعد بن المذهب بن أبي ملبح .

« قوانين الدواوين » ، (القاهرة ١٩٤٣)

نشره وعلق عليه الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ، طبعته الجمعية الزراعية الملكية ، بإشارة المرحوم الأمير عمر طوسون . وبذل الناشر في تحرى أصول المخطوط الذي وضعه ابن ممانى وإثبات نصوص النسخ المتعددة

(١) الشابشتي : كلمة فارسية ، لأن آبائه وأجداده من بلاد فارس .

جهودا كبيرة حتى وفق لنشر تلك الوثيقة التاريخية التي أعد من أهم الوثائق عن أصول الزراعة ونظم الدواوين المصرية في عصر الدولة الأيوبية .

وقبل نشر هذا الكتاب ، كان قد طبع جزء صغير منه في مطبعة الوطن في رجب سنة ١٢٩٩ هـ ، وورد في صفحة ٣٩ من هذا الجزء بيان مشتملاته على النحو الآتي : بيان مهمات الحكام ، ومصطلحات الدواوين ، وعوائد السابقين في الزراعات وخراج الجهات ، وغير ذلك مما يزيد المؤرخ الجديد في معرفة الفرق بين ما كان وما اصطلاحوا عليه مصححا على أصله .

وفي المخطوط المنشور تفصيل الكلام على النظام الإداري في مصر في دولة الأيوبيين ، وفصل عن الحبس الجبوشي ، ويتناول فيه الكلام على النواحي التي خصص إيرادها للجيش السلطانية وما يزرع بديار مصر من مختلف المحاصيل ، وفصل عن القواعد الشرعية المتعلقة بإقطاعات الجند .

وتعرض المؤلف لجغرافية القطر المصري في العهد الأيوبي ونسكح عن مصر ونهر النيل ، فذكر أعمالها ، وتفاصيل نواحيها ، وتحقق أسماء ضياعها وكفورها ، وجزائرها ، وكل ما يقع عليه اسم الديوان منها ،^(١) ثم ذكر خلجانها وترعها وجسورها ،^(٢) .

وتصدي المؤلف لكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في بني أيوب ، وخاصة وظائف الدولة المهمة واختصاص كل منها ودواوين الدولة ودور الحكومة وموارد الدولة المالية^(٣) . ثم أفاض في الكلام على شئون البلاد الزراعية فذكر أنواع الأراضي المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري

(١) راجع الباب الثالث من كتاب قوانين الدواوين .

(٢) راجع الباب الخامس من كتاب قوانين الدواوين .

(٣) راجع الباب الثامن من كتاب قوانين الدواوين .

وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها ، والبساتين وأوقات تقليم الأشجار .

يقول الدكتور عزيز سوريال عطية ، ناشر المخطوط ، في مقدمته التي صدره بها :

« غير أن ما ذكرناه ليس كل شيء في هذا المؤلف . فالكتاب - على صغر حجمه نسبياً - زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات ، ولما كان مصنفه من أصل قبطي ، فقد استطاع أن يجمع إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط في شتى المسائل التي اهتموا بها دون غيرهم من طوائف الأمة المصرية وطبقاتها مثال ذلك ما جاء في الباب السابع عن أصول مساحة الأرض وبعض القضايا الهندسية التي يمكننا اليوم إثباتها بأحدث الطرق العلمية . وبالكتاب أيضا ملاحظات جمة عن السنة القبطية ، وعلاقتها بالزراعة المصرية .

« وقيمة الكتاب ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة بالمجتمع المصري ومركزه السامي في حكومة البلاد . فابن عماتي تخلص في كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسؤولين .

« كتاب قوانين الدواوين إذن من وثائق الطراز الأول . وهو على اختصاره وعدم إمعانه في استعراض المسائل مفصلة كل التفصيل ، يحمل كثيرا من الصفات التي امتاز بها ذلك النوع المعروف من الموسوعات العظيمة التي ظهرت في العصور الوسطى الإسلامية .

« بيد أن جنوح المؤلف إلى المبالغة في الاختصار والإقلال من العبارة ، جعل بعض أجزاء الكتاب غير واضح تمام الوضوح ، وإنتا لا نبالغ إذا

قلنا إن كتاب قوانين الدواوين من أعقد الكتب العربية في القرون الوسطى ، (١)

وقد وصف ياقوت حياة ابن عماتي في هذه العبارة :

« هو أحد الرؤساء الأعيان الجلة ، والكتاب الكبراء المنزلة ، ومن تصرف في الأعمال ، وولى رئاسة الديوان ، وله أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع ، وقد صنف في الأدب وعرف ، ومات بمدينة حلب في ثامن عشرين جمادى الأولى سنة ٦٠٦ هـ (١٨ نوفمبر سنة ١٢٠٩ م) . وأصله من نصارى أسيوط ببلدة بصعيد مصر ، قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولوا الولايات . وهو مع ذلك من أهل بيت في الكتابة عريق ، وهو كالمستولى على الديار المصرية ليس على يده يد ، (٢)

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان : عن ابن عماتي إنه « القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مذهب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي ملبح المصري الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كيلة ودمنة ، وله ديوان شعر رأيته بخط والده ونقلته عنه مطابع ، (٣)

(١) مقدمة قوانين كتاب الدواوين بقلم الأستاذ عزيز سوريال عطية

ص ٦ - ٧

(٢) ياقوت : إرشاد الأديب ٢٠ Gibb Memorial Series, V

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٩٩ - ١٠١ ، طبعة دي سابين .

٢٢ — ٢٣ ابن شداد (٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م)

وأبو شامة (٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ — ١٢٦٨ م)

وضع القاضي بهاء الدين بن شداد ، كتاب

« النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ،

ويعتمد عليه في دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبي ، لأنه أدق وأنفس ما كتبه عن حياة هذا السلطان ، تناول فيه مولده وخصائصه وشماله ووقائمه وفتوحاته . وقد كتب ابن خلكان في كتاب « وفیات الأعيان » عن ابن شداد ، فقال إنه قابله ، وكان قد طعن في السن ، واستمد منه المفاومات الخاصة بحياته وتصانيفه . ومنها نعلم أن ابن شداد اتصل بخدمة صلاح الدين : فكان قاضي العسكر ، ثم تقلد الوزارة ومنصب قاضي القضاة معافي عهد السلطان الظاهر ابن صلاح الدين حينما تقلد ولاية حلب .

أما أبو شامة^(١) فقد وضع كتاب

« الروضتين في أخبار الدولتين » ، جزءان (القاهرة ١٢٨٧ هـ)

وأبو شامة شافعي من أهالي دمشق ، ويقصد هنا بالدولتين : دولة نور الدين ودولة صلاح الدين ، أي أن الكتاب يتناول الكلام عن الفترة الواقعة منذ وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١ هـ حتى أواخر سنة ٥٨٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أي لمدة ٤٨ سنة ، رتبها على السنين الهجرية .

(١) سمي كذلك لوجود علامة سوداء في وجهه .

وبهذا الكتاب عبارة عن سفر مطول ، أسنده مؤلفه من المصادر والوثائق الرسمية التي ألفها رجال مشهورون لهم صفة رسمية في الدولة ، من أمثال : القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ، وعماد الدين الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وكلاهما نقله الوزارة في عهد صلاح الدين ، وأخذ أيضاً عن يحيى ابن علي الشيعي المذهب الذي كان يقيم في حلب ببلاد الشام وينتصر كثيراً لعل والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ . ومن المحتمل أن يكون انتشار العقائد السنية في بلاد الشام في ذلك الوقت ، هو السبب في أنه لم يعمل إلينا من مؤلفات هذا المؤرخ إلا القليل . كما أخذ عن ابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وصاحب كتاب « الزيادة السلطانية والمحاسن اليوسيفية » . وأخذ كذلك عن كتابي « الفتح القدسي » ، و « البرق الشامي » ، لعماد الدين الأصبهاني . أما في الكتاب الأول وهو « الفتح القدسي » فإن الحقائق التاريخية قد اختفت لكثرة ما ورد فيه من الاستعارات والتشبيهات ، فلما جاء أبو شامة وأراد أن يأخذ عن هذا الكتاب قرأه بإمعان وفطن إلى ما فيه من نقص وعيوب ، وحذف تلك العبارات المجازية التي جعلت أسلوبه محوطاً بالإبهام والغموض ، وبذا سهل فهم ما في هذا الكتاب من حقائق تاريخية .

ووضع أبو شامة كتاب « الذيل على الروضتين » .

وهو مخطوط في بلدية الاسكندرية رقم ٣٥٥٣ ، ويقع في ثلاثة أجزاء ، وقد طبع حديثاً بعنوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري » . وكان أبو شامة موجوداً بدمشق أثناء الاحتلال المغولي لها سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) . وقد وصف هذا الغزو مفصلاً في كتابه هذا ، وختمه بقوله : الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا .

٢٤ - ابن ميسر (٦٦٧ = ١٢٧٥ م) : محمد بن علي بن يوسف بن جالب .
« أخبار مصر » ، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالاعاديات
الشرقية بمصر ، عني بتصحيحه هنري ماسيه وطبع سنة ١٩١٩ بالقاهرة .

ولم يظهر من هذا الكتاب إلا الجزء الثاني ، ويشمل الكلام على تاريخ
مصر مبتدأً بسنة ٤٣٩ هـ وهي السنة التي زار فيها ناصر خسرو مصر ، وينتهي
بسنة ٥٥٥ هـ وهي السنة التي ينتهي فيها حكم الخليفة الفاتح من خلفاء العصر
الفاطمي الثاني في مصر ، ولم يتناول الكلام على العاضد آخر خلفاء الفاطميين ،
فقد جاء في نهاية الجزء المطبوع منه العبارة التالية :

« آخر المنتقى من الجزء الثاني من تاريخ مصر لابن ميسر ، وتم على أحمد
ابن علي المقرئ في مساء يوم السبت است بقين من شهر ربيع الآخر سنة
أربع عشرة وثمانمائة . . . وتأخرت دولة العاضد وهو آخرهم والله أعلم
لم يذكرها المؤلف ، .

ويظهر أن الجزء الأول كان يتناول الكلام على عصر الخليفة الفاطمي
المعز منذ أن اعتلى الخلافة بالمغرب سنة ٣٤١ هـ ثم تناول عهد خلافته في مصر
وعهد من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين حتى سنة ٤٣٨ هـ .

ولهذا الكتاب تنمة ، فقد جاء في نهاية الجزء الثاني المنشور من « أخبار
مصر » لابن ميسر العبارة التالية : « محمد بن علي بن يوسف بن شاهنشاه الشيخ
الإمام تاج الدين أبو عبد الله المصري المؤرخ ، كان فاضلاً بارعاً وله تصانيف
مفيدة حسنة ومشاركة في فنون من العلوم وهو مصنف تاريخ القضاة وله تاريخ
كبير ذيل به على تاريخ المسبحي ،^(١) .

(١) ورد في هذا الكتاب أن ابن ميسر توفي في ١٨ المحرم سنة ٦٦٨ هـ ، ودفن في
جبل المقطم ، وأن له كتاباً آخر يعرف باسم « قضاة مصر » .

وفي آخر هذا الجزء عدة جداول : جدول بأسماء الخلفاء مبتدئة من عهد المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤١ هـ ومنتبهة بحكم الخليفة الفاتح (٥٤٩ هـ — ٥٥٥ هـ ، و جدول بأهم الحوادث المذكورة في أخبار مصر ، منذ سنة (٣٤١ هـ إلى سنة ٥٥٣ هـ) ، و جدول بالاصطلاحات الإدارية ، و جدول بالمعابد والآثار والخطط ، وكأها من عمل الناشر هنري ماسيه

٢٥ — ١٧ ابن أبي أصيبعة (٦٦٧ هـ = ١٢٧٠ م)

والمراكشي (٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ — ١٢٧١ م)

ومفضل بن أبي الفاضل (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م)

وضع ابن أبي أصيبعة كتاب « عيون الأنباء في أخبار الأطباء » ، جزءان (القاهرة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ) . ويبحث هذا الكتاب عن الحكام الذين كانوا يافريقية ومصر ويتكلم استطراداً عما يتعلق بالفاطميين . أما عن البيطرة ، فتراجع البيانات الخاصة بذلك في كتاب البيطرة المعروف باسم « كامل الصناعتين » ، لأبي بكر بن بدر البيطار في اصطبل الناصر محمد . أما المراكشي فقد وضع كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » . طبعة ر . دوزي Dozy الطبعة الثانية (ليدن ١٨٨١ م) وترجمه وشرحه فاينان E. Faynan (الجزائر ١٨٩٣ م) .

ولد عبد الواحد بن علي في مراكش سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ثم عاش بعد ذلك في الأندلس ومصر . علي أن سنة وفاته والمكان الذي وقعت فيه هذه الوفاة ، أمران يحتملهما التاريخ ، وقد كتب المراكشي كتابه عن « تاريخ الموحدين » ، وهو ما يسمى « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، في سنة ٦٢١ هـ . وبما نقله

ثنا المقرئ (١) عن المراكشي حادثة وقعت له في سنة ٦٦٩ هـ فلا بد أن تكون وفاته في هذه السنة أو بعدها (٢).

كتب مفضل بن أبي الفضائل ، كتاب :
« انتهى السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ،
وقد ترجمه ونشره بلوشيه باللغة الفرنسية :

Texte Arabe publié et Traduit en Français par Blochet,
Paris, 1911 , 1920 .

وقد انتهى ابن أبي الفضائل من كتابه سنة ٧٣٥ هـ وعاش في مصر في عصر
الناصر محمد (٦٩٣ — ٧٤١ هـ) أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية .

٢٨ — ابن خلطكان (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)

شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي البرمكي
« وفيات الأعيان » ، وأبناء أبناء الزمان ، جزءان .

ترجمه إلى اللغة الانجليزية دي سولين (باريس ١٨٤٢ — ١٨٤٨) .

ولد ابن خلطكان في مدينة إربل قرب الموصل بالعراق سنة ٦٠٨ هـ ،
وكان قاضيا ، فقيها ، سنيا على المذهب الشافعي . وبعد ما كتبه من تراجم في
كتاب « وفيات الأعيان » ، أحسن ما كتب في هذا الصدد . وتبين لنا قيمة
هذا الكتاب ، مما كتبه مؤلفه ابن خلطكان ، في صدر كتابه ، قال :

« هذا مختصر في علم التاريخ ، دعاني إلى جمعه أني كنت مولعا بالاطلاع
على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتاريخ وفياتهم وموالدهم . . . ولم أذكر
في هذا المختصر أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضي

(١) المقرئ نفع الطيب ج ١ ص ٥٥ .

(٢) الدكتور حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ١٧ حاشية ٤

انظر لفظ عبد الواحد المراكشي في دائرة المعارف الإسلامية .

الله عنهم إلا جماعة يسيرة ، ندعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم وقلت عنهم ، أو كانوا في زمني ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدى . ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ، ذكرته وأتيت من أقواله بما وقفت عليه مع الإيجاز كي لا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ما ظفرت به . (١)

ويحوى هذا الكتاب معلومات قيمة عن أواخر أيام الفاطميين ، وانحلال دولتهم وقيام دولة صلاح الدين الأيوبي . وفيه تراجم على جانب عظيم من الأهمية لصلاح الدين وأسد الدين شيركوه والخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، ورتبه ابن خلكان على حروف المعجم .

ووضع المؤرخ ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، كتاب وفات الوفيات ، (جزءان - بولاق ١٢٦٩ م) ، تنمة لكتاب وفات الأعيان .

٢٩ - ابن طباطبا (وضع كتابه سنة ٧٠١ هـ = ١٣٠٢ م) :

محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي

والفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،

(القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٨ م)

وهو كتاب ممتع ، عن السياسة الإسلامية . يمتاز بسهولة أسلوبه ، وإمتاع عباراته ، ولا يوجد كتاب أصح منه ، لأن يكون مقدمة للأدب العربي (٢) .

(١) ابن خلكان : وفات الأعيان ج ١ ص ٢ - ٣

(٢) Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 454.

فهو كتاب أدبي تاريخي سياسي ، صدره ببيان فضل العلم ، موضحاً أن أفضل ما نظر فيه الملوك ما اشتمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية .

وقسم كتابه قسمين : القسم الأول تكلم فيه على ما استحسنه من سير الملوك والخلفاء والوزراء ، مبيناً ما يقول بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والحكم والأشعار . وتناول في القسم الثاني مشاهير الدول مبتدئاً بدولة الخلفاء الراشدين ، ثم الدولة الأموية ، فالدولة العباسية ، ودولة البويهيين ، والسلاجقة ، والدولة الفاطمية ، وذكر مع كل خليفة وزرائه ، إلى نهاية وزراء الدولة العباسية .

٣٠ - أبو الفدا^(١) (٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م) :

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماء

والمختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء (القسطنطينية ١٢٨٦ هـ والقاهرة ١٣٢٥ هـ)
ولأهميته اختصره ابن الوردي قاضي القضاة الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ
فجاء في مجلدين ، طبعا في القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .

يمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه اشترك بنفسه في الوقائع الحربية التي حدثت في عصر المماليك وأهمها واقعة مرج الصفر على مقربة من حمص بين السلطان الناصر محمد وغازان إيلخان المغول في فارس^(٢) سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) .

(١) هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل صاحب حماء ابن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الفتح محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة شاهنشاه ابن السلطان الملك الأفضل أبي الشكر نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الكردي الحزباني الروادي الديلمي .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٤٩ - ٥١

ويعتبر المؤرخ أبو الفدا شاهد عيان لرحلة الناصر محمد من السكرك حتى وصل إلى القاهرة ، إذ أنه رافق الناصر في رحلته إلى أن دخل القاهرة ولم يعد إلى الشام إلا بعد أن جلس على العرش وتسلم زمام سلطنته الثالثة سنة ٧٠٩ هـ . وكان أبو الفدا قد أكرم الناصر أثناء إقامته في السكرك في الشام خير رحل عن القاهرة واغتصب مملوكه كتيبغا ولاچين ويبرس الجاشنكير ، فلما عاد الناصر إلى مملوكه ، كافأه بمنحه ولأية حماة ، وجعله - على ما رواه الكتبي صاحب فوات الوفيات - سلطانا يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه في القاهرة بشعار الملك وأبنة السلطنة ومشى الأمراء والناس في خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، وأقبوه الملك الصالح ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد . . . وفي العنوان صاحب حماه ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون .

ويقول أبو الفدا عن رحلته مع السلطان الناصر محمد من السكرك إلى القاهرة وعن تقلده حماه ، وضرت أنا بمن معي من عسكر حماه يوم ١٣ رجب سنة ٧٠٩ هـ ،^(١) ثم يقول ، وقدمت تقدمي (في دمشق) ومن جعلتها يملوكي طقز تمر ، فحصل من السلطان القبول والصدقة والمواهب الصادقة بالتصدق على بحماه على عادة أهلي وأقاربي ،^(٢) . ويقول ، وتصدق على (وهو في مصر) وطيب خاطري بأنه لا بد من إنجاز ما وعدني به من ملك حماه ، وإنما آخر ذلك لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة عن ذلك ، فسرنا مع قبجق من مصر متوجهين إلى الشام ووصلنا حماه في ١٥ ذي القعدة من هذه السنة ،^(٣) .

(١) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٥٦

(٢) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٧

(٣) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٨

وصفه أبو المحاسن ، فقال إنه : كان قدوة لعلماء والحفاظ ، وعمدة
أهل المعاني والألفاظ ، سمع وجمع وصنع ودرس وحدث وألف ، وكان له
اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالقبض والتحرير . وله
مؤلفات عديدة مفيدة ، (١)

ولما مات أبو الفدا ، رثاه أحد طلبته ، بقوله :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبيد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدماء لكان قليلا فيك يا ابن كثير

٣١ - العمري (٧٤٩ هـ) :

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى
التعريف بالمصطلح الشريف

وضع العمري - عدا كتابه : مسالك الأبصار ، الذي أشرنا إليه في
مصادر المخطوطات - مؤلفا نفيسا آخر هو : التعريف بالمصطلح الشريف ،
ونتم طبعه في القاهرة سنة ١٣١٢ هـ . وجعله على سبعة أقسام :

الأول في رتب المسكاتبات .

والثاني في العهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض والمراسيم والمناشير .

والثالث في نسخ الإيمان .

والرابع في الأمانات والدفن والهدن والمواصفات والمفاسخات .

والخامس في نطاق كل مملكة وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع

والرساتيق .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (طبعة كاليفورنيا) جزء الفصل الأول ص ٢٧٢-٢٧٣

والسادس في مراکز البريد والحمام ومراکز هجن الثلج والمراكب المسفرة
به في البحر والمناورة والمحركات .

والسابع في أوصاف ماتدعو الحاجة إلى وصفه .

ويحوى هذا الكتاب وصفا لدولة الممالك والدول التي كانت تربطها بها
علاقات سياسية . وأورد فيه كثيراً من المعلومات الهامة عن نظم الحكم في
دولة الممالك ، وأنى بكثير من الوثائق التي نقلها عن الوصايا التي تكتب إلى
كبار رجال الحاشية السلطانية وكبار الموظفين الإداريين في العصر المملوكي .
ومن قراءة هذه الوثائق نتبين شيئاً كثيراً عن طبيعة وظائفهم وكيف كانوا
يقومون بتأديتها .

غير أنه يجب أن نلاحظ أن أمثال النويرى وابن فضل الله العمرى
والقلقشندي لم يكونوا في الواقع مؤرخين ، وإنما كانوا أدباء دونوا مادونه
كموسوعات لا تخصص فيها ونقلوا بها كل ما يتعلق بخط مصر وعن تقدمهم من
المؤرخين الذين عنوا باستقصاء الخطوط والتواريخ كابن عبد الحكم وابن زولاق
والقضاعى وغيرهم . ومؤلفات ابن فضل الله العمرى غنية في مادتها .

٣٢ - المكتبي (٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ - ١٣٦٣ م)

صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي

١ - وفات الوفيات ،

(جزءان - بولاق ١٢٩٩ م)

وهو ذيل أو تكملة لكتاب وفیات الأعيان ، لابن خلسكان المتوفى سنة
٦٨١ هـ ، ورتبه على حروف المعجم . وقد عقد ابن شاكر المكتبي موازنة بين
كتابه وكتاب ابن خلسكان ، فقال : « لما وقفت على كتاب وفیات الأعيان
وجدته من أحسنها وضعاً ، لما اشتمل عليه من الفوائد الفزيرة والمحاسن

الكثيرة . غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أدخل بتراجم فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهل عنهم أو لم يقع له ترجمة أحد منهم . فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكر من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وفاته إلى الآن ،^(١) .

ب - عيون النوارىخ ،

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

وهو مرتب على السنين ويبدأ من مولد النبي عليه السلام ، ويتكلم على الخلفاء الراشدين ، وجمهور الصحابة والتابعين ، وتراجم رجال الحديث النبوى ومراتب رواته وطبقاتهم ، وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمفنين ، وينتهى بسنة ٧٦٠ هـ .

(١) مقدمة الكتبي : فوات الوفيات ص ١

الباب الثاني

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة

في القرن التاسع الهجري^(١)

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

ابن خلدون - ابن دقاق - القلقشندي - المقرئ - ابن حجر
المسقلاني - ابن الجيعان - العيني - خليل بن شاهين - الظاهري -
أبو المحاسن - السخاوي - السيوطي - ابن إياس - الخالدي -

حفل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بأعلام مؤرخي
مصر في العصور الوسطى ، وكان لكل منهم القدر المثل في إظهار معالم التاريخ
المصري الوسيط ، فبسطوا أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية
في إسهاب ووضوح ، مما كان له أعظم الأثر في جلاء تاريخ مصر في تلك الفترة
الزاهرة من تاريخها .

(١) تناولت هذا الباب من ناحية بيان قيمة المصادر التي ظهرت في هذا القرن ،
ومثيلاتها في العصر الحديث ، دون تناول تاريخ حياة مؤلفيها ، إلا بالتقدير الذي
يوضح قيمتهم وما كان لها من أثر في تدرجهم العلمي .

١ — ابن خلدون (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) :

قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١١٠٠ م)

(ب) العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ،
ومن عاصرهم من ذوى النفوذ الاكبر ، المعروف باسم تاريخ ابن خلدون .

وهو مؤرخ فيلسوف ، يرجع إليه الفضل فى وضع قواعد علم العمران أو
علم الاجتماع ، وظل طول حياته يشرح أصول الأخلاق ويهذى الناس إلى
سواء السبيل ، وله أسلوبان ، كل له نعتة الخاص : أسلوب ردىء لازمه فى
كتابه المقدمة ، تأثر فيه بحالة اللغة العربية فى تونس والجزائر ومراكش
والأندلس ، وأسلوب جيد لازمه فى مصر بعد أن تعلم وعلم فى الأزهر الشريف
وبعد رحلته إلى شبه جزيرة العرب .

كتب ابن خلدون مقدمته فى فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، والإشارة
إلى أخطاء المؤرخين^(١) . وتعد المقدمة ، أهم كتبه ، وترجمت إلى اللغة التركية
مرتين : الأولى قام بها محمد صاحب يبرى فى سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣١ م) وطبعت
فى القاهرة فى سنة ١٢٧٥ هـ ، والثانية بقلم الصدر الأعظم جودت باشا مؤرخ
الدولة العثمانية وطبعت فى الآستانة سنة ١٢٧٧ هـ . وترجمت مقدمة ابن خلدون
إلى اللغة الفرنسية على يد البارون ده سلالر أودى ساين . وهذه التراجم
محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، كما تحفظ بها أيضاً نسخة المقدمة
التي صححها ابن خلدون بنفسه وكتب على كل صفحة من صفحاتها ما يفيد
ذلك ، وتوجد طرتها بتوقيعه بيده ، وهى منقولة بالفتوغرافيا من خزانة

(١) حذر ابن خلدون الكتاب من الوقوع تحت تأثير النقل عن الأقدمين ،
دون مراعاة أصول البحث التاريخى .

عاطف أفندى بالقسطنطينية . وتوجد في مدينة قاس نسخة من المقدمة عليها
خط ابن خلدون^(١) .

أما كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، فتناول فيه الكلام على الملك
والسلطان والصنائع والعلوم ، وهو ما تعرض له في المقدمة ثم تسكّم عن تاريخ
العرب منذ بدء الخليقة إلى عصره وعن عاصره من الأمم الشهيرة مثل
السريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والإفرنج
والبربر ، وتحفظ بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من « العبر » ، أو « تاريخ
ابن خلدون » ، وعليها حواش بخط الشيخ المطار .

وقد وضع الأستاذ الدكتور طه حسين كتاباً باللغة الفرنسية عن ابن
خلدون سماه « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ، ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ
محمد عبد الله هنان (القاهرة ١٩٢٥) .

وتوفي ابن خلدون في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ (١٩ مارس ١٤٠٦ م)
ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر في القاهرة ، على مارواه السخاوى
صاحب كتاب « الضوء اللامع »^(٢) .

(١) وصف المقرئى مقدمة ابن خلدون بأنها : « لم يعمل مثالها ، وإنه لعزیز
أن ينال مجتهد مثالها ، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة
والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبّر عن
حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود » . وقد أشار الدكتور زيادة إلى
« ما كان من عظيم الصلة والصداقة بين المقرئى وابن خلدون » : راجع كتابه :
المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى ص ١٥ .

(٢) ج ٤ ص ١٤٦ .

٢ — ابن دقماق (٨٠٩ هـ = ٤٠٦ - ٤٠٧ م) :

صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدير العلافي القاهري الحنفي

(أ) الانتصار ، بواسطة عقد الأمصار

(ب) الجوهر الثمين ، في سير الملوك والسيلاطين

(ح) نزهة الأنام ، في تاريخ الإسلام .

وكتاب ، الانتصار ، عشرة أجزاء (القاهرة ١٣٠٩ هـ) : لم يظهر إلا الجزءان الرابع والخامس من مجموع أجزاء هذا الكتاب ، وفيهما يتكلم عن خطط القسطنطينية والاسكندرية . ويتضمن معلومات لم يذكرها المقرئ في خطه ، ولكنه لا يتضمن كثيراً عن خطط القاهرة ، وفي هذا الكتاب ذكر ابن دقماق مدن الوجه البحري والوجه القبلي وكورهما وأعمالها ومساحتهما وما في كل منها من غريب التحف والطرف ، ورتب بلاد كل كورة على حروف المعجم .

أما الكتابان الآخران ، فكلاهما مرتب حسب السنين ، وموجودان في دار الكتب المصرية بالقاهرة : نسخة خطية من كل ، نقلت عن مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس .

(أ) دقماق : الطائر الأسود . وهذا اللفظ بالتركية طقماق .

٣ - القلقشندي (٨٢١ هـ = ١٤٧١ م) :

الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال
ابن أبي اليمن

(١) دصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزءاً (القاهرة ١٩١٣-١٩١٧)

(ب) دضوء الصبح المسفروجي الدوح المثمر، جزءان - الموجود
والمطبوع منه جزء واحد.

ولد القلقشندي سنة ٧٥٦ هـ ببلدة قلقشندة من أعمال مديرية القليوبية،
وتوجه إلى نهر الأسكندرية، وأقام به مدة، وطلب العلوم الشرعية على
مشهورى العلماء في عصره، واشتغل بالأدب العربى، وقرأ كثير من الكتب
والأسفار في مختلف العلوم والفنون، والتحق في سنة ٧٨٩ هـ بديوان الإنشاء
في أوائل عهد السلطان برقوق من سلاطين المماليك البرجية^(١).

كتب عنه المؤرخ السخاوى فقال: «هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله
الشهاب بن الجمال بن أبي اليمن القلقشندي، ثم القاهري الشافعي، ولد سنة
٧٥٦ هـ، واشتغل بالفقه والأدب وغيره، وسمع عن ابن الشيخه وكان أحد
الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وغيرهما، وكتب في الإنشاء وناب في
الحكم... وعرف نسبه يمتد إلى أصل من الأصول العربية التي دخلت مصر
أيام الفتح الإسلامي وبعده، فهو من بني بدر بن عدي بن فزارة»^(٢).

وضع القلقشندي عدداً من المؤلفات، من بينها كتاب في الفقه يعرف
باسم «الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع»،
ووضع في التاريخ كتاب «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»،

(١) نجد تاريخ حياة القلقشندي في افتتاحية دصبح الأعشى، ج ١٤ ص ٨-٢٠.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع ج ١.

و « نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب » ، وهو الكتاب الموجود الآن
بدار الكتب .

على أن أهم مؤلفات القلقشندي هو كتابه « صبيح الأعشى في صناعة
الإنشاء » ، الذي فرغ من تأليفه سنة ٨١٤ هـ وجاء في أربعة عشر جزءا ،
وطبعته دار الكتب المصرية (١٩١٣ - ١٩١٧) . وقد جاء سبب تأليفه هذا
الكتاب في مقدمة كتاب « ضوء الصبح المسفر » في هذه العبارة : « إنه لما
لحق بديوان الإنشاء أفشأ مقامه بناها على أنه لا بد للإنسان من حرفة يتكسب
بها ، وأن أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وأن أفضل الكتابة كتابة الإنشاء ،
وأنه جمع في تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها ما لم تتسع له بطون
المؤلفات الكبار في هذا الباب ، ثم سئل أن يشرحها فكان شرحها في صبح
الأعشى ، (١) .

ومن أهم الموضوعات التي أفاض القلقشندي القول فيها « ديوان الإنشاء » ،
فقد تكلم عن الأدوار التي مر بها هذا الديوان منذ عهد النبي صلى الله عليه
وسلم حتى دولة المماليك إلى زمنه (٨٢١ هـ) ، وأفرد لذلك الجزئين الأول
والثاني . وذلك من حيث العناية بأمر هذا الديوان وبيان الصفات التي يجب
أن تتوافر في صاحبه والمهام التي كان يضطلع بها كما تكلم على معاونيه بما لم
يترك هناك زيادة لمستزيد . ويلاحظ أن ما دونه القلقشندي عن ديوان الإنشاء
وما أثبتته ابن عماني في قوانين الدواوين ، والخالدي في « المقصد الرفيع المنشأ
المهادي لديوان الإنشاء » ، وخليل بن شاهين الظاهري في « زبدة كشف الممالك
وبيان الطرق والمسالك » ، كل ذلك يسهل مهمة التعرض لشرح خصائص
هذا الديوان .

(١) مقدمة كتاب « ضوء الصبح المسفر » ص د ، وهو الكتاب الذي وضعه
القلقشندي كمختصر لموسوعته « صبيح الأعشى » . ويظهر أنه وضعه في جزئين ،
ولكن ظهر منه الجزء الأول ، ولم يعثر للآن على الجزء الثاني .

وفي الجزء الثالث كلام مسهب عن الفاطميين ومذهبهم ومواسمهم وأعيادهم ومواكبهم وعاداتهم ونظم الحكم عندهم . كما يمدنا بمعلومات هامة عن الوظائف والموظفين ، والطبقات التي كان يتسكون منها الجيش ، وعن نظام البريد ، والقضاء ، ومظاهر الأبهة والجلال التي أحاط بها خلفاء الفاطميين أنفسهم .

وأوضح في الجزء الرابع اختصاصات موظفي البلاط السلطاني ، والخاصية السلطانية ، والموظفين الإداريين في دولة المماليك .

وأثر هذا المؤلف واضح فيما أورده من الوثائق التي توضح كيف كان يقلد كبار الموظفين وظائفهم ، ومادونه من الكتب والرسائل التي تبودلت بين أمراء مصر وخلفائها وسلاطينها وبين غيرهم من الأمراء والملوك . ولا سيما أنه استمد مادته من مصادر عاش مؤلفوها في العصر الذي كتبوا فيه مما يرفع من شأنها في تحقيق النظم السياسية والإدارية والمالية والحربية والقضائية . وليس من اليسير الاهتداء إلى تلك الوثائق ، لعدم اهتمام القلقشندي بوضع عناوين تسهل مهمة الباحث في الكشف عن هذه الوثائق وما تشتمل عليه من الموضوعات . وتقع معظم هذه الرسائل في الجزءين السابع والثامن من صبيح الأعشى . ولمعلوماته أهمية خاصة لأنها مستمدة من كتب آلت إلى الضياع .

ويمتاز أسلوبه بشيء كثير من الوضوح والدقة والإتقان وحسن التنسيق . ويجب أن يلاحظ أن القلقشندي لم يكن مؤرخاً بالمعنى المفهوم من هذا الوصف ، ولكنه كان أديباً دون ما دونه في صبيح الأعشى ، على اعتبار أنه موسوعة لا تخصص فيها ، وكتابه من أهم المصادر في دراسة تاريخ مصر الإسلامية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

ومما هو جدير بالملاحظة أن من يريد دراسة ما كتبه القلقشندي في

« صبح الأعشى » دراسة واسعة ويتفهم ما فيه ، لابد أن يبدأ بقراءة كتابه
« ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » الذى لابد أن يكون قد راعى
فى وضعه أن يعطى القارىء صورة مختصرة لما أورده بإسهاب فى « صبح
الأعشى » . وهذا الكتاب الأخير طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)
ويقع فى ٤٨٢ صفحة . ويلاحظ أن هذا الكتاب كان النهاية الصغرى فى
المعرفة لكتاب صبح الأعشى ويعطى صورة لما كان عليه الأمر فى دولة
المماليك زمن القلقشندى .

• • •

ومما يدل على قيمة ما كتبه القلقشندى أن ثلاثة من كبار المؤرخين
الأجانب ، عمدوا إلى ترجمة أجزاء مما أورده فى صبح الأعشى :

١ - جودفروى ديمبين Gaudefroy - Demombynes
فى كتابه « La Syrie A L'Epoque des Mamelouks d'après Les
Auteurs Arabes » (Paris, 1923) .

ترجم ماورد فى الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى خاصا
بنيابات الشام . وصدره بمقدمة تاريخية وافية ، بلغت مائة صفحة ، بين فيها
نظام الحكم عند المماليك ، وتكلم على الوظائف الإدارية والمالية والقضائية
وعلى موظفى الحاشية والبلاط السلطانى ، ثم أفاض فى الكلام على الإقطاعات
وتطوراتها فى العصور المختلفة . وذيل المؤلف جميع ما كتبه بقلمه وماترجمه
عن القلقشندى بحواشٍ جديرة بعناية الباحثين فى نظم الحكم أيام المماليك .
وهو موجود بمكتبة جامعة الإسكندرية تحت رقم ١٦٢٣٥ .

وقد وصف المؤلف كتابه بأنه : وصف جغرافى ، اقتصادى ، إدارى ،
تسبقه مقدمة عن التنظيم الحكومى .

Description Géographiques, Economiques, et Administrative
précédé d'une Introduction sur L'organisation Gouvernementale.

ونسب إلى فان برشم فضل تشجيعه على إخراج هذه الترجمة ، ومده
بنصائحه ، فقال في مقدمته :

En Commencant cette Contribution a l'étude de La Syrie, J'y
avit été encouragé par Van Berchem, et Je comptais sur
ses conseils pour la mise en oeuvre des documents qu'elle
contient .

وبحوى هذا الكتاب :

- A — Preface : pp. III — XVIII. (20 pages) .
B — Introduction : pp. XIX — CXIX. (101 pages) .
C — La Syrie : pp. 1 — 238 .
D — Le Berid : pp. 239 — 264

Michel Bernard

٢ — ميشيل برنارد

ترجم ماورد في كتاب صبيح الأعشى للقلقشندي عن موارد الدولة المالية
في مصر والإقطاعات . وأشار المؤلف إلى ذلك في مقدمة كتابه المسمى

L'Organisation Financière de L'Egypte Sous les Sultans
Mamlouks d'après qalqachandi (Le Caire, 1925) .
(Extrait de Bulletin de L'institut d'Egypte, t. VII. Session
1924 — 1925) .

Wiistenfeld, F. Von

٣ — ويستنفلد

في كتابه Geschichte der Fatimiden Chalifen (Gottingen, 1881)
اقتصر فيما كتبه على النظام الإداري والحربي في مصر في عصر الفاطميين ،
على ترجمة ما في كتاب « صبيح الأعشى » للقلقشندي ، خاصاً بهذين الموضوعين ،
ووقعت هذه الترجمة في كتابه ما بين صفحة ١١٧ و صفحة ٢٢٢ . وهذه
المناسبة ، نذكر أن ما كتبه في هذا الكتاب عن نسب الفاطميين ، يعد من
أمتنع ما كتب .

وتوفي القلقشندي في ليلة السبت ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ عن

خمسين وستين سنة .^(١)

Demombynes : La Syrie A'Epoque des Mamlouks, p. V-X. (٨)

٤ - المقرئى^(١) (٨٤٥ - ١٤٤١) م :

تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر الحسينى .

- (أ) المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار .
- (ب) جواهر الأسفاط ، فى أخبار مدينة الفسطاط .
- (ج) اتعاظ الخنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .
- (د) السلوك ، لمعرفة دول الملوك .
- (هـ) التاريخ الكبير المقتنى .
- (و) إغاثة الأمة ، بكشف الغمة .

* * *

١ - وضع المقرئى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو المعروف باسم « الخطط » . بدأه بذكر الأرض ، ثم تسكلم عن موضع مصر من الأقاليم وحدودها وجهاتها وبحارها وجبالها وأنهارها ووصف المدن المصرية مثل الفسطاط والعسكر . والقطائع والقاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد وأسوان والفيوم ، والآثار المصرية القديمة والوسيطه ، وعن بدراسة تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والفكرى والنظم الحكومى والمذاهب الدينية ، وسير الولاة والخلفاء والسلاطين ، وأحوال مصر الاجتماعية إذ تسكلم عن المواسم والمواكب والملابس .

وكتاب « الخطط » مطبوع فى المطبعة الأميرية ببولاق . وهذه الطبعة - على ماورد فيها من أخطاء - أهم بكثير من الطبعة التى طبعتها مطبعة النيل ،

(١) سمي بهذا الاسم ، لأن جده لآبيه يكنى بالمقرئى ، نسبة إلى حارة المقارزة فى بعلبك .

وجاءت في أربعة أجزاء . ولذا أشير على الباحث باستخدام طبعة بولاق .

ونظراً لأهمية الخطط ، تصدى بعض كتاب القرن الحادى عشر الهجرى لاختصارها ، فقد اختصرها ، احمد الحنفى البوح ، فى مجلد واحد يقع فى ١٢٤ صفحة ، لا يوجد فى دار الكتب المصرية ، ولكن توجد نسخة خطية منه فى ليدن هولندا ونسخة ثانية فى باريس ، وأطلق عليها اسم «الروضة البهية» تلخيص كتاب المواعظ والاعتبار المقرئية ، وهى تلخص نحو ربع كتاب الخطط . ولخصها أيضاً أحد كتاب ذلك القرن ، شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى ، المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ، فى مجلد واحد ، يقع فى نحو ثلاثمائة صفحة ، وأطلق عليه «قطف الأزهار من الخطط والآثار» ، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٧ جغرافية .

وسار رافيس Paul Ravisse على هدى خطط المقرئى فى بحثه الذى وضعه بعنوان :

Essai sur L'Histoire, la Topographie du Caire d'après Makrizi
(Memoires publiés par les membres de la Mission Archeologie
Francaise au Caire, Tome III — Paris, 1887) .

Gaston Wiet

ونشر جاستون فييت

جانبا من الجزء الاول من خطط المقرئى (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية فى القاهرة (١٩١١ — ١٩٢٤م) . غير أنه لم يتم منه إلا ما يوازى ربع هذا الجزء .

ومن الخطط التى ظهرت حديثاً :

« الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » ، ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة ، وضعها على مبارك باشا (على بن مبارك بن مبارك بن سليمان الروجى)

المولود في مدينة برنبال سنة ١٢٣٩ هـ والمتوفى سنة ١٣١١ هـ . تناول فيها الكلام على موضع القاهرة قبل وصول جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي تم على يده فتح مصر وتحويلها من ولاية إخشيدية خاضعة للخلافة العباسية إلى خلافة فاطمية مستقلة ، ثم تناول ما طرأ على القاهرة من التغيرات والتقلبات بتوالي العصور . وتكلم على تاريخ الدول التي حكمت مصر منذ عصر الفاطميين ، مفصلاً الكلام على مدينة القاهرة وما بها من المساجد والمدارس والشوارع والحارات والأزقة والدروب ، وعلى مدينة الإسكندرية وحوادثها الخاصة بها وحالتها في الأزمان السابقة وفي عصر المؤلف . ورتب البلاد والقرى على حروف المعجم ، وطبع في الخطط التوفيقية ، (بولاق ١٣٠٦ هـ) ، فجاءت في عشرين جزءاً ، في خمسة مجلدات ، تبلغ نحو ألفي صفحة .

ووضع محمد كرد علي ، خطط الشام ، :

وهو كتاب تاريخي جغرافي ، جاء في ثلاثة أقسام :

الأول - في التاريخ السياسي إلى سنة ١٣٤٣ هـ .

والثاني - في التاريخ المدني .

والثالث - معجم في وصف البلدان والقرى والجبال والأودية .

وقد ذكر حاجي خليفة (١٦٠٧ - ١٦٥٧ هـ) جميع الكتب التي ألفت عن خطط مصر ، بالإضافة إلى تاريخها في كتابه :

« كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون ،

(طبع النسخة العربية ، وترجمها إلى الألمانية ج. فلوجل G. flugel -

ليبسك ولندن ١٧٣٥ - ١٨٥٨ م) .

٢ - ويشمل كتاب « جواهر الأسفاط » ، في أخبار مدينة الفسطاط ، ،
تاريخ مصر منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ إلى سقوط الإخشيديين سنة ٣٥٨ هـ
وهو لا يزال مخطوطا .

٣ - أما كتاب « اتعاظ الخنفا » للمقرئى ، فهو تاريخ العصر الفاطمى
بأكمله . على أنه لم يظهر منه إلا الجزء الخاص بالدولة الفاطمية منذ نشأتها فى
المغرب إلى عصر المعز لدين الله ، أما الأجزاء الأخرى فقد ضاعت . وبذا
يكون ما وصلنا من هذا الكتاب هو قسم صغير من الكتاب الأسمى .

بدأ المقرئى كتابه بذكر ثبت كامل واف لأولاد على بن أبى طالب من
نسل الحسن والحسين ، وعرض لمشكلة النسب الفاطمى التى عدت من أعقد
المشاكل فى تاريخ العصور الوسطى ، وأرخ بعد هذا لقيام الدولة الفاطمية فى
المغرب ، وجهود الدعاة الأوائل ، ورحلة أبى عبد الله الشيعى من اليمن إلى
المغرب ، وانتقال عبيد الله المهدى من سلمية بالشام إلى المغرب ، وتناول تاريخ
حياة الخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا فى المغرب ، وتحدث بعد هذا
عن الفتح الفاضلى لمصر ، وتأسيس مدينة القاهرة ، وخطر القرامطة وتهديدهم
الديار المصرية . وكان المقرئى ينتسب إلى الفاطميين فهو من أحفادهم ، وذلك
من العوامل التى دفعته إلى الكتابة عنهم والإشادة بذكرهم وتمجيد أعمالهم
والاهتمام الكبير بتاريخهم . وقد قام الدكتور جمال الدين الشيبان بنشر هذا
المخطوط والتعليق عليه (القاهرة ١٩٤٨ م) .

ويمثل كتاب « اتعاظ الخنفا » ، من حيث مآثره ضمت له من مواضع
فى تاريخ الفاطميين^(١) ، المكتب التى وضعها الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم
حسن ، وهى :

(١) وضع المؤلف كتاب « تاريخ جواهر الصقل » (القاهرة ١٩٦٣)

١ — الفاطميون في مصر ، وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة ١٩٦٢ م) . ويقع في ٣٦٧ صفحة . ويبحث في أسباب قيام الدولة الفاطمية ، وأعمالها السياسية والدينية ، والدعوة الفاطمية .

٢ — عبيد الله المهدي (القاهرة ١٩٤٧ م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف .

٣ — المعز لدين الله الفاطمي (القاهرة ١٩٤٨ م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف .

وهناك مؤلفات ، في تاريخ الفاطميين ، وضعها عدد من أعلام المستشرقين .
وهاك أهمها ، مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين .

Etienne Quatremère

١ — إيتين كاترمير

Memoires Historiques sur La Dynastie des Khalifes Fatimites
(Journal Asiatiques — Auot, 1836) .

Bernard Lewis

٢ — برنارد لويس

The Origins of Isma'ilism .

Guyard

٣ — جويار

Fragments Relatifs à La Doctrine des Ismaélis (Paris, 1872) .

De Sacy

٤ — دي ساسي

Exposé de La Religion des Druzes, précédé d'une Introduction
et de Vie du Khalife Hakem - Biamr - Allah (2 Vols. - Paris,
1828)

De Gejeay

٥ — دي غوييه

Memoires Sur Les Carmathes du Bahrain et les Fatimides.
1833) .

De Lac

٦ — دي ليسي

A Short History of the Fatimid Khalifate (London, 1884) .

Mann

٧ — مان

The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs
(Oxford, 1920) .

Nicholson

٨ — نيكلسون

An Account of the Establishment of the Fatemite Dynasty in
Africa) Tubingen, 1840) .

٤ — ويحوى (كتاب السلوك) تاريخا مفصلا لدولتي الأيوبيين والمماليك
في مصر ، منذ سنة ٥٧٧ هـ إلى سنة ٨٤٤ هـ ، كتبه بطريقة السنويات ، مثل
الطبرى . قام بنشره والتعليق عليه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة ، ووصل
إلى سنة ٧٤١ هـ وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أشهر سلاطين
دولة المماليك البحرية . وتوجد بقية المخطوط (الجزء الثالث) الذى يبدأ من
سنة ٧٤٢ هـ حتى سنة ٨٤٤ هـ بدار السكتب المصرية برقم ٤٥٥ .

وقد ذكر المقرئى فى مقدمة كتاب السلوك ، أنه ألفه ، ليكون تاريخا
لمن ملك مصر بعد الفاطميين^(١) من الملوك الأكراد والأيوبيين والسلاطين
والمماليك التركية والبرجية ، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى
أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والمجريات ، غير
معتن فيه بالتراجم والوفيات ، لأنى أفردت لها تأليفا بديع المثال ، بعيد المثال ،
فألقت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل
والاختصار المخل .

(١) يلاحظ أن المقرئى قد وضع تاريخ مصر من الفتح العربى إلى سقوط
الإخشيديين فى كتابه « عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة القسطنطين » ، كما وضع
تاريخ مصر فى عصر الفاطميين فى كتابه « انعاظ المنفا » ، وأكمل تاريخ مصر فى
العصور الوسطى بكتابة تاريخ الأيوبيين والمماليك فى السلوك .

Etienne Marc Quatremère

وقام إثنين كاترمير

(Membre de la Société Royale d'Égypte) .

بترجمة كتاب السلوك المقرري ، فجاء في جزئين ، ويعرف باسم :

Histoire des Sultans Mamlouks de L'Égypte, 2 Vols .
(Paris 1837 — 1845) .

وهو موجود بدار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤٥ تاريخ) وعلق عليه
تعليقات فلسفية تاريخية جغرافية ، أوكا وصفها وهو :

Notes Philosophiques, Historiques, Geographiques.

ووصل في ترجمته إلى سنة ٧٠٣ هـ .

وعن المصادر التي تناولت عصر الأيوبيين والمماليك^(١) ، غير كتاب
السلوك ، أهمها ما يلي ، مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين ،
وسنذكر أسماء المصادر الأفرنجية :

Zetterstéen K.V.

١ - زترشتين

تاريخ سلاطين المماليك ،

Beitrag zur Geschichte der Mamlukensultane (690 — 741 A.H.
Leyden, 1919) .

وباشره هو زترشتين ؛ ولم يعرف اسم مؤلفه بعد .

Atiya, A.S

٢ - عزيز سوريال عطية

(a) The Crusade in the Later Middle Ages (London, 1938) .

(b) Egypt and Aragon (Leipzig, 1938) Embassies and Diplomatic
Correspondance between 1300 and 1330 A.D.

Wiet, Gaston

٣ - فيت

(a) Histoire de La Nation Egyptienne, t. IV. (L'Égypte Arabe)
Paris, 1921) .

(b) Précis de L'Histoire d'Égypte t. II. (L'Égypte Musulmane-
Le Caire, 1933) .

(١) كتب المؤلف عن المماليك في كتابه « دراسات في تاريخ المماليك البحرية ،
(القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨) في ٤١٦ صفحة .

Lane-Poole . Stanley

٤ — ليڤول

(a) The Story of Cairo (London, 1924).

ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأساتذة الدكتور حسن إبراهيم حسن
والدكتور هلى إبراهيم حسن .

(b) Egypt in the Middle Ages (London, 1914).

(c) Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem
(London 1890).

(d) Cairo Sketches.

Muir, William

٥ — ميور

The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (London, 1896).

٥ — وكتاب « التاريخ الكبير المقتفى » عبارة عن تراجم مستوفاة لمشاهير
الرجال والنساء من المسلمين والنصارى ، رتبت على حروف المعجم ، ويقع
فى ستة عشر مجلدا ، توجد فى مكتبات أوربا ، وعلى الأخص فى مكتبة
المتحف البريطانى فى لندن وفى المكتبة الأهلية فى باريس برقم ٢١٤٤ وفى
مكتبة الجامعة بهولندا برقم ٢٣٦٦ . وأكثر هذه الأجزاء موجودة فى مكتبة
القسطنطينية ، ويوجد جزء واحد أو جزآن منه فى المكتبة الملكية بالقاهرة ،
وبما هو جدير بالذكر أن المقرئ قد مات قبل أن يتم هذا الكتاب .

٦ — ويتناول كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، تاريخ المجاعات التى
نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ وهى السنة التى وضع فيها
المقرئ كتابه هذا . وعنى مؤلفه باستقصاء الناحية الاقتصادية والاجتماعية
من تاريخ مصر فى ذلك العصر . وقد قام بنشر هذا المخطوط والتعليق عليه
الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال . ويقع
فى ٩٢ صحيفة (القاهرة ١٩٤٠ م) .

٥ - ابن ميمون العفلائي^(١) (٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م) :

القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد

(١) رفع الإصر^(٢) ، عن قضاة مصر .

(ب) الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة .

(ج) أنباء الغمر ، بآباء العمر .

وكتابه ، رفع الإصر ، من أهم الكتب التي ظهرت في العصور الوسطى وهو يقع في ٢٨٦ صحيفة ، ترجم فيه مؤلفه لبعض قضاة مصر الإسلامية ، ترجمة كشفت عن كثير من نواحي النظام القضائي في مصر في العصور الوسطى كتب ابن حجر كتابه بخطه ، وسار في إيراد أسماء القضاة و ترجمة حياتهم على حسب حروف المعجم ، لا على حسب سنة تولية كل منهم منصبه أو عزله عنه أو وفاته . وقد أخذ أكثر معلوماته من مصدرين : كتاب القضاة والولاة لأبي عمر الكندي ، وتاريخ قضاة مصر لابن زولاق ، وورد في كتاب رفع الإصر ، أسماء قضاة مصر الشرعيين منذ فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ إلى آخر المائة الثامنة ، موضحاً نسب كل منهم ومولده ومذهبه وتاريخ توليته وتاريخ عزله أو وفاته . ولهذا الكتاب تكملة ألفها البخاري المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، وأسماء الذيل المتناهي .

وسبق ابن حجر في بحث النظام القضائي في مصر :

تاج الدين السبكي (المتوفى سنة ٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) في كتابه : معيد النعم ومبيد النقم ، و طبقات الشافعية الكبرى ، وجاراه ابن حجر الميمني

(١) اكتسب هذا اللقب ، لأن موطنه الأصلي ، عفلا ،

(٢) الإصر : الذنب .

(المتوفى سنة ٩٧٤ هـ = ١٥٦٦ م) في كتابه : الفتاوى الكبرى الفقهية ،
وجاراهم في العصر الحديث في دراسة نظام القضاء في مصر : محمد محمد عرنوس
في كتابه : تاريخ القضاء في الإسلام ، (القاهرة ١٩٣٤) .

ولابن حجر كتابه المعروف باسم : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،
الذي بمائل السكتاب الذي وضعه السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ بعنوان : الضوء
اللامع لأهل القرن التاسع ، ، إلا أنه يحوى من عاش من أعيان مصر بعد
ابن حجر . وقد ضمن ابن حجر كتابه تراجم من كان في المائة الثامنة من سنة
٧٠١ هـ إلى آخر سنة ٨٠٠ هـ من الملوك والأمراء والوزراء والسكنا
والشعراء ، ورتبها على حروف المعجم . وهناك كتاب وضعه مؤلف
يعرف اسمه ، اختصر فيه : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، وأسماء ، الم
من الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة .

أما : أنباء الغمر ، في أبناء العمر ، لابن حجر ، فهو من أهم المراجع
الأصلية لمصره ، فقد جمع فيه الحوادث التي أدركها منذ ولد (سنة ٧٧٣ هـ) ،
وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ورواة الحديث ، وانتهى
المؤلف في كتابه إلى سنة ٨٥٠ هـ ، ويقع في مجلدين ، وهو مخطوط بدار
الكتب المصرية .

وقد وضع عبد الله بن زكريا بن خليل الدمشقي كتاب : جمال الدرر ،
من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، وجاء في عشرة أبواب ، تناول فيها نسب
ابن حجر ومولده ووظائفه ونظمه ونثره والشيوخ الذين درس عليهم وفرغ
من تأليفه سنة ١١٦٠ هـ . واختصره من كتاب : تناسق الدرر ، في ترجمة
شيخ الإسلام ابن حجر ، الذي ألفه المؤرخ السخاوي . ولا يزال مخطوطا
بالمكتبة الملكية بالقاهرة .

٦ - العيني^(١) (٨٥٥ = ١٤٥١ م) :

بدر الدين محمود

« عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان » .

وهو يعد من أهم ما كتب في التاريخ . ويقع في ٢٣ جزءاً ، ٦٩ مجلداً ، محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ معارف . وللأسف لم تنشر إلى الآن رغم قيمتها التاريخية .

وينقل مؤلف هذا الكتاب كثيراً عن يبرس الدوادار صاحب كتاب « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » . ويحوى « عقد الجمان » تاريخ العالم الإسلامي من مبدأ الخليقة إلى سنة ٨٠٥ هـ ، وسير الأنبياء والرسل وما حدث في أيامهم وخاصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن حكم بعده من الخلفاء والملوك ، مع مقدمة عن أصل التاريخ وسبب وضعه ، ورتبه من بعد الهجرة على السنين الهجرية .

وما يذكر عن العيني أنه لم يكن على وفاق مع كبار مؤرخي عصره لحسد هم إياه على ما بلغه من مكانة سامية وحظوة لدى سلاطين المماليك ، فقد كان يقرأ بين حين وآخر على السلطان برسباي ، من سلاطين المماليك البرجية ، من كتابه « عقد الجمان » ، باللغة العربية وترجمته بالتركية لتمكينه من تلك اللغة .

(١) ولد العيني في الشام ، وجاء إلى مصر وعين في أوائل القرن التاسع الهجري محتسباً للقاهرة والوجه البحري .

٧ - ابن الجيعة (٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م) :

الشيخ الإمام شرف الدين يحيى بن علم الدين شاذلي بن المقر .
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ،

(باريس ١٨١٠ وبولاق ١٨٩٨ م)

بآخرها ثلاثة فهارس بأسماء البلاد والأعلام والمساجد والمدارس
والأضرحة والأبراج - مرتبة على حروف الهجاء .

وهو عبارة عن ثبت بالآقاليم المصرية ومواضعها وأنواع أراضيها من رزق
وأحياس وغيرها ، وفيه ذكر أسماء البلدان وعبرة^(١) كل بلد ومساحتها
بالفدان مرتبة على حروف الهجاء ، وذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ أى إلى أواخر
عهد السلطان الأشرف شعبان بن الناصر محمد . ويعد هذا الكتاب أوفى
مصدر في هذا الموضوع ، وكان إحصاء البلاد على هذا النحو آخر حصر
رسمي عمل عنها في عهد دولة المماليك .

وقد مسحت أرض مصر في العصور الوسطى الإسلامية سبع مرات :

الأولى - على يد عبد الملك بن رفاعة عامل الخراج في مصر في خلافة لويد
ابن عبد الملك الأموي وأخيه سليمان وذلك حول سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) .

والثانية - على يد عبيد الله بن الحبحاب في خلافة هشام بن عبد الملك
الأموي حول سنة ١١٠ هـ (٧٢٩ م) .

والثالثة - على يد ابن مدبر في خلافة المعتز بالله العباسي حول سنة ٢٥٢ هـ
(٨٦٧ م) .

(١) العبرة : كلمة اصطلاحية معناها مقدار المساحة .

والرابعة - في عهد الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في عهد الخليفة
الأمر الفاطمي سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ - ١١٠٨ م) .

والخامسة - في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ
(١١٧٦ م) ، وهو المعبر عنه في التاريخ باسم ، الروك الصلاحي ، ، الذي ظل
أمره غامضاً على أغلب الباحثين في مالية مصر ، إذا أنهم لم يتعرضوا له ، حتى
جاء ابن مماتي وزير صلاح الدين ، وكشف أمره لهم في كتابه «قوانين
الدواوين» .

والسادسة - هي الروك^(١) الحسامي ، الذي أمر بعمله السلطان حسام
الدين لاجين ، سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) .

والسابعة - هي الروك ناصري ، الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد
ابن قلاوون ، سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) ، وهو الروك الثاني في تاريخ دولة
المماليك ، والآخر في تاريخ مصر في العصور الوسطى .

وكتاب «التحفة السنية» ، لمؤلفه ابن الجيعان مستوفي (رئيس حسابات)
ديوان الجيش في عهد الملك الأشرف قايتباي في سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٧ م) جامع
لأسماء المدن والقرى التي كانت بمصر في ذلك الوقت ، أساسه الروك الناصري .

وقد أحصى الأسعد بن مماتي وزير صلاح الدين يوسف بن أيوب بلاد
القطر المصري التي كانت تعتبر وحدات مالية في ذلك العهد ، وإن لم يكن قد
نص على (عبراتها ومساجمها) ، على نسق ما جاء في كتاب «التحفة السنية» ،
لابن الجيعان وكتاب «الانتصار بواسطة عقد الأمصار» لابن دقاق ، نظراً
لأن ابن مماتي - وكان من رجال الدولة المستولين - اعتبر أن مثل هذه المعلومات
على حد قوله «من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها» .

(١) الروك : هو مسح أرض الزراعة في بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق
عليه لبيت المال .

ومن المصادر التي يعتمد عليها في دراسة موارد الدولة المالية في مصر الإسلامية ، ولها من القيمة التاريخية ما لا كتاب ابن الجيعان :

أ - كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (الاسكندرية سنة ١٩٣١) لعمر طوسون :

Polak (A. N.)

Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon (1250 — 1900) - (London, 1939),

ويقع هذا الكتاب في ٨٧ صفحة . وهو من الكتب الطريفة التي ظهرت حديثاً ، وكان لها أثر حسن في بحث نظام الإقطاع ، وتدرج الأمراء في الوظائف ، ويعتبر بحق من أنفس الكتب التي تسلمت عن نظام الإقطاع منذ عصر المماليك إلى العصر الحديث ، فضلاً عن أنه أفاض بوجه خاص في الكلام على دولة المماليك البحرية ويحوى هذا الكتاب الفصول الآتية :

I . The Feudal Troops of the Mamlouks,	page 1
II . The Mamlouk Fiefs	18
III . The Decline of the Military Fiefs	82
IV . The Farming of the Crown Domains	45
V . Serfdom	64
VI . The End of Feudalism	

Polak :

Les Revoltes Populaires en Egypte a L'Epoque des Mamlouks et leurs Causes Economiques. Vol. 8 (1934).

Heyd :

Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, Vol. II . (Leipzig, 1925).

٨ - خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ - ١٤٦٩ م)

• زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، (باريس ١٨٩١ م) .

ويشتمل هذا الكتاب على إثني عشر فصلاً ، في جزء واحد ، تناول فيه الكلام على الوظائف الحربية والإدارية في دولة المماليك ، التي تقلب في مناصبها ، ووصل إلى أعلاها بفضل اتصاله ببيت السلطنة بصلة النسب ، إذ كان حماً للسلطان برسباي . وتنقل خلال تقلده الوظائف التي أسندت إليه بين حلب وبيت المقدس ودمشق وبغداد والقاهرة ومكة وطرابلس .

وجاء في هذا الكتاب : « يقول العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن شاهين الظاهري ، لطف الله به ، أنني صنفت كتاباً وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ويشتمل على مجلدين ضخمين يشتملان على أربعين باباً ، جملة ذلك ستين كراساً في قطع السكامل ، معتمداً في ذلك ما شاهدته العيان ، أو تحققته من نقل الثقة الأعيان ، الذين يركن إليهم غاية الإركان ، اطلعت عليه من كتب المتقدمين ، وما وجدته منقولاً عن المشايخ المعتبرين ، ثم رأيت ذلك المصنف مطولاً ، فانتخبت من ملخصه هذا المجلد ، وسميته زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، وجعلته إثني عشر باباً ، واختصر الكلام فيه لكون اشتغالي بغيره من المصنفات ،^(١) . وكان ذلك في عصر السلطان جقمق .

على أن عيب هذا الكتاب يرجع إلى أن مؤلفه لم يحدد بصفة قاطعة متى استحدث كل من هذه الوظائف ، أكان ذلك في دولة المماليك البحرية أو البرجية . لذلك يجدر بالباحث أن يعتمد إلى مضاماة ما كتبه ابن شاهين بما

(١) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ٤ .

ورد في كتب ابن فضل الله العمري والقلقشندي والمقرئ وغيرهم الاطمينان إلى صحة ما أورده هذا المؤلف من المعلومات . وهو على كل حال يشير دوما إلى التطور في الوظائف واختصاصات شاغلها ويوضح ما ليس واضحا من المعلومات التاريخية في غيره من المصادر ، دون أن يحدد العصر الذي حدث فيه هذا التطور أو زادت فيه تلك الاختصاصات .

أما الأبواب الإثني عشر التي يشتمل عليها كتاب «زبدة كشف الممالك» فهي :
الأول — في تشریف ملك مصر على سائر الممالك وما فضلت به مصر على غيرها بكثرة المعابد والمزارات والمعائب والعمارات وترتيب مدنها وقلاعها .
الثاني — في وصف السلطنة الشريفة وما يتحلى به السلطان من الصفات ووصف خواص السلطان .

الثالث — في وصف أمير المؤمنين وبيان أحواله .
الرابع — في وصف صاحب الوزير ورجال الدولة الشريفة المباشرين أركانها وما يتعلق بكل ديوان .

الخامس — في وصف أولاد الملوك ونظام الملك والنواب والأمراء والمقدمين بالديار المصرية .

السادس — في أرباب الوظائف والأجناد القرائص والخاصكية .
السابع — في وصف خدام الستارة والخزانة والسلاح والخواص الشريفة .
الثامن — في وصف البيوتات والمطابخ والاصطبلات .
التاسع — في وصف عمارة الجسور وما يحتاج إليه عند فيضان النيل .
العاشر — في وصف الممالك الإسلامية الثمانية ووصف المدن والنواب والقضاة والأمراء المباشرين وأرباب الوظائف والجند .

الحادي عشر — في وصف أمراء العربان ومشايختهم وأمراء الأكراد .
الثاني عشر — في حوادث الدهر وما ورد فيها من الحسكيات والنوادر .

٩ - أبو الحسن (٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م)

جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأنايى .

(١) النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة .

(ب) المنهل الصافى ، والمستوفى بعد الوافى .

(ج) حوادث الدهور ، فى مدى الأيام والشهور .

ويعد كتابه « النجوم الزاهرة » من أشهر الكتب ، فهو عبارة عن تاريخ مصر فى العصور الوسطى . تناول فيه المؤلف الكلام عن تاريخ مصر من الفتح العربى سنة ٢٩ هـ حتى سنة ٨٣٣ هـ ، وألفه فى سبعة مجلدات ضخمة ، نشرت بعضها دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٣٠ - ١٩٤٠) فى تسعة أجزاء ، ووصلت إلى سنة ٧٤١ هـ ، وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد ، أشهر سلاطين المماليك البحرية وبيانها كالاتى :

ج ١ و ج ٢ عن مصر من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية

ج ٣ حتى صفحة ٢٣٥ عن الدولة الطولونية .

ج ٣ من صفحة ٢٣٥ { عن الدولة الإخشيدية .
ج ٤ من ص ١ إلى ص ٣٨

ج ٤ من ص ٢٦ إلى آخر { عن الدولة الفاطمية .
الجزء ٥

٦ عن الدولة الأيوبية

٧ عن دولة المماليك من سنة ٦٤٨ إلى سنة ٧٤١ هـ ٨٠٧٣

وقامت جامعة كاليفورنيا في أمريكا سنة ١٩٣٢ بطبع ما كتبه أبو المحاسن في كتابه «النجوم الزاهرة» عن تاريخ دولة المماليك من سنة ٥٧٣٦ إلى ٥٧٩٢ وذلك بإشراف وإيم بوبر William Popper لجاء في مجلدين : الجزء الخامس ويشتمل الفصل الأول ويتحدث فيه عن الفترة من سنة ٥٧٣٦ إلى سنة ٥٧٧٨ ويقع في ٢٩٢ صفحة ، ثم الفصل الثاني ويتحدث فيه عن الفترة من ٥٧٧٨ إلى ٥٧٩٢ . ويشمل المجلد الثاني الفترة الواقعة بين سنتي ٥٧٩٣ ، ٥٨٧٢ وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف كتابه ، وهو موجود بدار الكتب المصرية .

وتكلم أبو المحاسن في هذا الكتاب عن الدول الإسلامية وعن الحوادث الهامة في كل عصر وترجم لولائها وخلفائها وسلاطينها وحكامها ، واهتم يبحث منسوب النيل في كل سنة .

وعلى الرغم من أن أبا المحاسن جاء متأخراً ، فإن كتابه «النجوم الزاهرة» من أمتع الكتب وأنفسها . ولا غرو فقد جمع في كتابه كل ما وصل إلى يده من المعلومات ، المستقاة من مصادر كثير من المؤرخين الذين سبقوه ، وخاصة المسيحي والقضاة الذين ضاعت مؤلفاتهم ، ولولا إشارة أبي المحاسن إليها لما عرفنا عنها شيئاً . وحوى كتابه هذا معلومات لا توجد إلا فيه ، وهو يعد من أحسن ما كتب في التاريخ من حيث الترتيب ، والنظام . وفيه جعل أبو المحاسن عهد كل وال أو خليفة أو سلطان مستقلاً بذاته ، شارحاً أخلاق كل منهم وأهم الحوادث في عصره وعوامل فشله أو نجاحه وسار في ترتيبه على حسب السنين ، دون أن يجعل لها عناوين مستقلة .

ووضع أبو المحاسن كتاب «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» الذي أراد أن يجعله ذيلاً وتكملة لكتاب «الوافي بالوفيات» لخليل بن أيبك الصغد المتوفى في دمشق سنة ٥٧٦٤ ، الذي جمع فيه تراجم الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والولاة والقضاة والمحدثين واللغويين والشعراء والأطباء وأصحاب النحل ، ثم اختصر أبو المحاسن هذا المؤلف في كتاب سماه «الدليل

الشافي على المنهل الصافي ، وجعل لهذا المختصر مختصراً أسماه « مورد اللطافة »
في ذكر من ولي السلطنة والخلافة .

ويقع « المنهل الصافي » في ثلاثة أجزاء ، وهو مخطوط بدار الكتب
المصرية برقم ١١١٣ مرتب ترتيباً أبجدياً ، ويحوى تراجم للشخصيات البارزة
التي ظهرت في عصر المماليك من سنة ٦٥٠ هـ إلى عصره (٨٧٤ هـ) . ونشر
المسيو جاستون فييت Gaston Wiet مدير دار الآثار العربية بالقاهرة هذا
المخطوط بعنوان :

« Les Biographies du Manhal Safi »

(Memoires presentés a L'Institut d'Egypte, Le Caire, 1932)

ووضع أبو المحاسن كتاب « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور »
وهو ذيل لكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي الذي انتهى فيه
إلى وفاته سنة ٨٤٥ هـ . ويحوى هذا الكتاب كثيراً من الحوادث والتراجم
والوفيات ، مرتب على حسب السنين والشهور والأيام مبتدئاً من سنة ٨٤٥ هـ
إلى وفاة أبي المحاسن سنة ٨٧٤ هـ (١) .

(١) مما يستلفت النظر في حياة أبي المحاسن ، أنه استطاع « أن يكتب كثيراً في
التاريخ والتراجم ، وأن يبرع في فنون الفروسية ، من لعب الرمح ورمى النشاب ،
وسوق البرجاس ولعب الكرة بالصوالجة ، وأن يحذق علم النغم والضروب والإيقاع
وأن ينظم الشعر بالعربية والتركية ، وأن يحج إلى مكة مرتين سنة ١٤٢٢ و ١٤٤٥ م ،
وقام أبو المحاسن في حجته الثانية بوظيفة باش الحمل المصري » . الدكتور زيادة :
المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ص ٣١ — ٣٢ .

السخاوى^(١) (٨٩٠٢ = ١٤٩٧ م)

الحافظ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر
ابن عثمان القاهرى الشافعى

(١) «التبر المسبوك فى ذيل السلوك»، فى أربعة أجزاء . وقد جعله ذيلًا
لكتاب «السلوك» للمقرئى ، وألم فيه بتاريخ مصر من سنة ٨٤٥ هـ إلى سنة
٨٥٧ هـ وكتب فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، وطبع فى القاهرة من نسخة
فريدة ناقصة .

(ب) «الإعلان بالتوبيخ» لمن ذم التاريخ .

وهو مقالة طويلة فى تاريخ التاريخ ، وفضله كعلم ، تناول فيها الكلام على
حقيقة علم التاريخ اللغوية والإصطلاحية ، وبيان فائده وحكمه الشرعى وبيان
المصنفات وأربابها ، وأول من أمر به وبيان ابتداء وقته ، وضم التاريخ وقبح
من قبحه . وقد طبعه القدسى سنة ١٣٤٩ هـ .

(ج) «تناسق الدرر» ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، . وابن حجر هو
أستاذ السخاوى .

(د) «تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات»
وهو عبارة عن دليل لخطط المشاهد والمزارات والبقاع المقدسة ، وبيان
القاهرة التى تقع فيها مشاهد الحسين والإمام الشافعى والسيدة نفيسة وغيرها
من المزارات والمشاهد التى سمت بمبسم التقديس والبركة ووصف لشوارع
القاهرة وجوامعها ومدافنها وزواياها وأسبانتها فى عصره (القاهرة ١١٣٨) .

(١) نسب إلى بلد سنها الحالية بمركز كفر الشيخ مديرية الغربية .

(٥) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (١٢ جزءاً - القاهرة ١٣٥٣ هـ) .

وهو أوسع مصدر عرفه الباحثون في تاريخ العصور الوسطى الإسلامية ، وأوثق حجة يلجأ إليها المؤرخون . وكان السخاوي مؤلف هذا الكتاب تلميذاً لابن حجر العسقلاني . فاستدرك فيه ما فات ابن حجر من أعيان المائة الثامنة وبسط تاريخ أهل القرن التاسع من رجال ونساء ممن توفوا في ذلك العصر أو تأخروا إلى القرن العاشر ، كل ذلك بقلم ناقد حر عادل . وفيه قال الشوكاني صاحب البدر الطالع : « ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لسكان أعظم دليل على إمامته ، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية وسرد في ترجمة كل واحد محفوظاته ومقروآتة وشيوخه ومصنفاته وأحواله ومولده ووفاته على نمط حسن وأسلوب لطيف ينهر به من لديه معرفة بهذا الشأن ويتمتع من إحاطته بذلك وسعة دائرته في الاطلاع على أحوال الناس ، » .

وجمع السخاوي في « الضوء اللامع » تراجم أهل القرن التاسع من العلماء والقضاة والصالحين والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء في مصر والشام والحجاز واليمن والروم والهند والشرق والغرب أصحاب الفضل من أهل الذمة . ورتب التراجم فيه على الحروف الهجائية .

• • •

ويمثل كتاب الضوء اللامع للسخاوي ، الكتاب الذي وضعه القاضي شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ والمعروف باسم : « البدر الطالع » بمحاسن من بعد السابع ، (القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ)

وصف الشوكاني كتابه في هذه العبارة ، التي تبين محتوياته وأهميته :

« فالحاصل أن المذكورين في هذا الكتاب هم أعيان الأعيان وأكابر أبناء الزمان من أهل القرن الثامن ومن بعدهم إلى الآن (يقصد إلى زمنه أي سنة ١٢٥٠ هـ) . وربما أذكر من أهل عصرى بمن أخذت عنه أو أخذ عني أو رافقنى في الطلب أو كاتبنى أو كاتبته من لم يكن بالمحل المتقدم ذكره لما جيل عليه الإنسان من محبة أبناء عصره ومصره ، وربما أذكر من أهل عصرى من لم يجر يدنى وبينه شيء من ذلك . وقد استذكر المتأخرون من المشتغلين بأخبار الناس المؤلفين فيها من تسجيع الألفاظ والتألق في تنقيحها وتهذيبها مع إهمال بيان الأحوال والمولد والوفاة ، ومثل ذلك لا يعد من علم التاريخ . فإن تطمح نظر مؤلفه وقصارى متعمده هو مراعاة الألفاظ وإبراز النكات البديعة . وهذا علم آخر غير علم التاريخ ، إنما يرغب إليه من أراد أن يتدرب في البلاغة ويتخرج في فن الإنشاء ، فرجما ألجأنى الضرورة إلى نقل ترجمة بعض الأعيان من مثل تلك المؤلفات ولم أجد له ذكرأ في غيرها ، فأذكره مهملأ عن ذكر المولد والوفاة منها على عصره إجمالأ مبدأ لما أمكن بيانه من أحواله .

والمرجو من الله جل جلاله ، الإعانة على تمام هذا الكتاب وبروزه في الخارج على مدار في الخلد من التصور ، فيكون إن شاء الله من أنفس الكتب وأنفعها لطالب هذا الفن ، ويصير من أمعن النظر في مطالعته بعد إمعانه في مطالعة تاريخ الإسلام والنبلاء وكامل ابن الأثير وتاريخ ابن خلكان ، محيطأ بأعيان أبناء الزمان من سلف هذه الأمة وخلفها ، (١) .

(١) مقدمة كتاب الشوكاني : البدر الطالع ١١ ج ١ ص ٣ - ٤ .

(١٣ - المصادر)

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الشافعى

(١) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - جزءان (القاهرة ١٣٢٧ هـ)
ترجمه إلى اللغة الإنجليزية Jarrett - كالكتنا ١٨٨١ م .

(ب) تاريخ الخلفاء وأمرأ المؤمنین بأمر الأمة (المطبعة المنيرية ١٣٥١ هـ)
(ح) الكاوى ، فى الرد على تاريخ السخاوى .

وكتاب « حسن المحاضرة » عبارة عن تاريخ للقطر المصرى والقاهرة بوجه خاص ، وبعض فصول إضافية مسمبة عن النظام المملوكى وأساليبه لأنه كان معاصراً للمالک وتوفى فى أواخر عهدهم . وتسکلم عن طبقات العلماء والصوفية بمصر ، وعن القضاة والأطباء وحکام مصر ، والأسرات التى حکمت مصر ، وعلاقة مصر بالخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ومن دخل مصر من الأنبياء والصحابه والتابعين والأئمة والمجتهدين .

أما « تاريخ الخلفاء » فقد وصفه السيوطى فى مقدمة هذا الكتاب بقوله :
« إنه تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء أمرأ المؤمنین القائمين بأمر الأمة من عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى عهدنا هذا ، على ترتيب زمانهم الأول فالأول ، وذكرت فى ترجمة كل منهم ما وقع فى أيامه من الجوادث المستغربة ومن كان فى أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة . »

« والداعى إلى تأليف هذا الكتاب أمور منها : أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة ، ولذوى المعارف محبوبة ، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان مختلطين ولم يستوفوا ، فأردت أن أفرد كل طائفة فى كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل فى التحصيل : فأفردت كتاباً

في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وكتاباً في الصحابة ملخصاً من الإصابة وكتاباً حافلاً في طبقات المفهرين ، ، وكتاباً وجيزاً في طبقات الحفاظ ... ولم يبق من الأعيان غير الخلفاء مع تشويق النفوس إلى أخبارهم فأفردت لهم هذا الكتاب ، ولم أورد أحداً من ادعى الخلافة خروجاً ، ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين ، ولم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين^(١) لأن إمامتهم غير صحيحة ،^(٢) .

وقد حوى هذا الكتاب تراجم الخلفاء من القرن الأول الهجري ، ووصل إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي المتوفى سنة ٩٠١ هـ ، ورتبهم على حسب تولية كل منهم ، وأوضح أسماء الأعيان الذين ظهروا في عهد كل خليفة .

وبمناسبة ما كتبه السيوطي عن تاريخ الخلفاء ، نشأت هنا بعض مؤلفات أجنبية ، تناول فيها واضعوها الخلافة والخلفاء ، ومن بينها مايلي :

Arnold, T. W.

١ — أرنولد

The Caliphate (Oxford, 1924).

وقد ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ جميل معلي (دمشق ١٩٤٦)

Muir, W.

٢ — مبور

The Caliphate, its Rise, Decline and Fall (Edinburgh, 1924)

Sanhoury, A. A.

٣ — سنهوري

Le Califat (paris, 1926) . .

(١) مقدمة كتاب تاريخ الخلفاء ، ص ٢

(٢) راجع ما ذكرناه عن نسب الفاطميين عند كلامنا على الشاعر ابن هاني الأندلسي

ويقع في ٦٢٧ صفحة ، ومحتوياته كالآتي :

Première Partie - L'Institution du Califat dans La Doctrine .

Titre I : Modes d'investiture du Calife .

Titre II : Fonctionnement du Catifat.

Titre III : Fin du Califat .

Deuxième Partie - L'Institution du Califat dans La Pratique .

Titre I : Le passe

Titre II : Le present .

Titre III : L'Avenir

٤ — حسن إبراهيم حسن

(a) Relations between Egypt and the Caliphate (691-1944) —
Extract from the bulletin of the Graduates of the Higher
Training College Society, Cairo, Jan. Feb 1940.

(b) Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt
and Umayyads in Spain during the 4 th Century H.A.
Reprint from the bulletin of the Faculty of Arts, Cairo
University. vol. X. part II. December, 1948 .

أما ، مقامه السكوى ، في الرد على تاريخ السخاوى ، وهو مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ١٥١٠ ب ، فقد كتبها السيوطى مستنكراً أسلوب
السخاوى وطريقته في تناول الشخصيات الواردة في ، الضوء اللامع .

وتوفي السيوطى في ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ عن اثنتين
وستين سنة . واختلف في الموضع الذى دفن فيه ، فوضع أحمد تيمور رسالة
تتضمن على تحقيق هذا الموضع ، لتصحيح الخطأ الذى وقع في خطط على
مبارك بهذا الخصوص .

١٢ — ابن إياس (٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)

أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس زين الناصري^(١) الحنفى المصرى
(١) تاريخ مصر المعروف باسم

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ أجزاء (بولاق ١٣١١ هـ)
(ب) نشق الأزهار ، فى عجائب الأقطار (مخطوط بدارالكتب بالقاهرة)

ولد ابن إياس فى القاهرة سنة ٨٥٢ هـ . وكان والده شهاب الدين من فرقة
« أولاد الناس »^(٢) . إلا أنه فى سنة ٩١٤ هـ ، حين اضطربت أحوال مصر
المالية ، قرر السلطان الغورى إخراج أولاد الناس من الجيش ، ونال ابن إياس
من تلك الكارثة ما نال غيره من أبناء طبقته^(٣) ، غير أنه لم يجرم من إقطاعه
مدة طويلة ، إذ رد إليه السلطان إقطاعه^(٤) . وتعلمد ابن إياس على المؤرخ
السيوطى ، إلا أن ابن إياس كان كثير الخطأ فى إيراد ما جاء فى المصادر المتقدمة .
وترجع شهرة ابن إياس إلى وضعه كتابه « بدائع الزهور » الذى رتبته

(١) اكتسب ابن إياس لقب الناصري ، لأن جده إزدخر كان من أمراء دولة
المماليك فى عهد السلطان الناصر حسن والسلطان الأشرف شعبان .

(٢) أولاد الناس هى فرقة من فرق الجيش المملوكى ، شملت أبناء أمراء المماليك
فقط ، وهى من الاستيعاض الحربى ، يدعى إلى السلاح فى حالة الحرب ، وكان على
كل منهم أن يضع نفسه تحت تصرف السلطان ، وفى مقابل ذلك كان لكل منهم
إقطاعات أو كان يعطى مبلغ ألف دينار دفعة واحدة أو مرتباً سنوياً زادت قيمته
تدريجياً حتى بلغ أثنى درهم فى عصر السلطان قايتباى ، وكانت أجورهم تدفع لهم
أيام السلم . راجع ما كتبه الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ
المماليك » عن « النظام الحربى » .

(٣) الدكتور محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى .

(٤) كانت أرزاق الجنود فى عصر المماليك ، تدفع من مستغلات الإقطاعات ، وكان
يحل فى الإقطاع محل السلطان ، يستمتع بفلاته وإيراداته . راجع ما كتبه الدكتور
على إبراهيم حسن عن « الإقطاعات » فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك » .

على الشهور والسنين الهجرية ، ووصل فيه إلى سنة ٩٢٨ هـ . وهو عبارة عن تاريخ مصر من أقدم العصور إلى أوائل العهد العثماني ، الذي شاهده بنفسه . وهو كتاب شامل لتاريخ وجغرافية الديار المصرية ، وذكر فيه ما ورد في القرآن والحديث من فضائل مصر ، وما اشتملت عليه من العجائب ومن دخلها من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن وليها من الملوك وظهر بها من الأعيان . وتنحصر أهمية ابن إياس في الجزء الذي كتبه عن العصر الذي عاش فيه وهو عصر المماليك ، كتبه في قالب روائي يشبه الأسلوب الذي كتب به الجبرتي تاريخ مصر الحديثة ، وتكلم عن الحالة السياسية ، ونظم الحكم ، والثقافة ، والحالة الاجتماعية ، وزوال الخلافة العباسية من مصر — بعد سقوط دولة المماليك — وانتقالها إلى القسطنطينية على يد السلطان سليم الأول .

ومعلومات ابن إياس عن الخلافة على أعظم جانب من الأهمية ، قد لا توجد في غيره من الكتب . فقد أسهب هذا المؤرخ المصري — الذي عاصر الفتح العثماني وتناول هذا الفتح بالتفصيل — في ذكر العلاقة بين السلطان سليم والخليفة المتوكل ، فقال : إن المتوكل سلم إليه مخطفات الرسول ، وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء العباسيون في بغداد ، وبعض من شعر لحيته صلى الله عليه وسلم وسيف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(١) . على أن المؤرخين المعاصرين قد أفاضوا القول في ذكر ما آل إليه أمر الخليفة المتوكل بعد فتح مصر . ولم نقف من ثنايا هذه المعلومات على أية إشارة تتضمن انتقال لقب الخلافة إلى سليم ، حتى بعد أن رحل الخليفة العباسي إلى القسطنطينية^(٢) .

أما كتابه «نشق الأزهار» ، فقد ابتدأه بذكر طرف يسير من علم الفلك والهيئة ، ثم ذكر عجائب مصر ، وأعمالها ، وتكلم على سير حكمائها ومنشآتهم والنيل والأهرام والفسطاط وخطوطها ، وما اتصل بعلميه من المسافرين والتجار في أقطار الأرض ، وانتهى من تأليفه في سنة ٩٢٢ هـ ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

(١) ابن إياس : تاريخ مصر ٣ ص ١٧٦

(٢) Arnold : The Caliphate, pp. 141 — 142.

١٣ - الخالدي (٨٩٢٧ = ١٥٣٠ - ١٥٣١ م)

بهاء الدين محمد بن لطف الله بن عبد الله بن عبيد الله العمرى .
المقصد الرفيع المنشأ المادى لديوان الإنشاء ،

وهو مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٤٥ تاريخ .
وامذا الكتاب قيمة خاصة فى بحث نظم الحكم فى الدول الإسلامية
بوجه عام وفى مصر بوجه خاص . وهى معلومات انفرد بها الخالدى فى هذا
الكتاب عن سبقه من الكتاب فى هذه الناحية من نواحى التاريخ المصرى
يقع هذا المخطوط فى ٣٥٠ صفحة ، ويشتمل على ١٣ قسماً . تكلم الخالدى فى
الأقسام الرابع والثامن والتاسع والحادى عشر على التعريف بحقيقة ديوان
الإنشاء وأصل وضعه فى الإسلام ، وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفى بيان
لقب صاحبه ، والمكانات التى تحرر بديوان الإنشاء ، وأنواع الورق المستعمل
به (١) . ويظهر أن الخالدى قد سار فى تأليف هذه الأقسام على نهج القلقشندى
حتى ليجد القارىء كثيراً من العبارات التى نقلها بنصها عن كتاب صبيح
الأعشى للقلقشندى (٢) .

ويشتمل القسم الثانى على سبعة أبواب فى تاريخ العرب منذ بعث الرسول
عليه السلام إلى أن سقطت الدولة العباسية ، كما تناول الكلام على تاريخ مصر
الإسلامية إلى نهاية دولة المماليك البرجية سنة ٨٩٢٣ (١٥١٧ م) .
ويختص القسم الثالث من هذا المخطوط بدراسة تاريخ الدول التى لها علاقات
بمصر وطرق المواصلات البرية والبحرية التى تصل مصر بهذه البلاد .
وهذه الأقسام الثلاثة عشر هى :

الأول - فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء ، وأصل وضعه فى الإسلام

(١) Demombynes : La Syrie A L'Epoque des Mamlouks, p. VI.

(٢) راجع ص ٨ - ١٢ من مخطوط الخالدى .

وتفرقة بعد ذلك في الممالك وفي بيان لقب صاحبه ، وما يحتاج إليه كاتب السر من المواد العلمية والمعرفة بها .

الثاني - ويحتوى على سبعة أبواب : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، من ولى الخلافة بعده إلى آخر دولة الأمويين ، ذكر خلفاء بني العباس من السفاح وإلى زماننا (زمن مؤلف المخطوط) ، معرفة الدولة العبيدية حتى آخر وفاة العاضد ، معرفة السلاطين من بني أيوب بالديار المصرية والبلاد الشامية ، معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك ، من ولى السلطنة بمصر من الثمراكية .
الثالث - معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً .

الرابع - ما يتصرف فيه كاتب السر بنظره وتديره .
الخامس - ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها وموضوع الوظائف بها .

السادس - ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها .
السابع - ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية .
الثامن - ذكر أمور تشترك فيها الولايات والممكّنات وغيرها من الأمور المهمة التي تحتاج إليها بديوان الإنشاء .

التاسع - معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والنشاء الملون ، والفوايح والخواتم واللواحق .

العاشر - في ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم .

الحادى عشر - رسم الممكّنات الصادرة .

الثاني عشر - الإقطاعات .

الثالث عشر - الإيمان والأمانات وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك

الإسلام وملوك النصارى (١) .

وهذا المخطوط على أهميته يكلف الباحث فيه شيئاً غير قليل من الجهد

لرداءة خطه وصغره ، وآكل بعض ألفاظه .

(١) هذا التقسيم دونه الخالدى في صدر مخطوطه .

١٤ — أبو العباس القرماني^(١) (١٠١٩ هـ = ١٦١٠ م)

أبو العباس أحمد جلي بن يوسف بن أحمد

، أخبار الدول ، وآثار الأول ،

(بغداد ١٢٨٢ هـ والقاهرة ١٢٩٠ هـ)

ولد أبو العباس سنة ٩٣٩ هـ ، ورتب كتابه ، أخبار الدول ، على حروف المعجم ، وجاء في خمسة وخمسين بابا ، شملت : معنى التاريخ ، وبداية المخلوقات ، الأنبياء والمرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والحسن والحسين وأولادهم ، فضائل قريش من المهاجرين والأنصار ، بني أمية بالشام والأندلس ، الخلفاء العباسيين ببغداد ومصر ، الخلفاء الفاطميين ، دولة بني أبوب في مصر والشام ، دولة المماليك البحرية ، دولة المماليك البرجية ، الدولة الطبرستانية ، الدولة الحسيفية بمكة والمدينة ، ملوك الحيرة ، ملوك الشام من غسان ، ملوك كندة ، ملوك اليمن ، ملوك الأندلس من الطوائف ، بني حفص في تونس ، بني سبيكتسكين ، الدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية في مصر ، ملوك الديلم ، بنو بويه ، بنو سلجوق ، الدولة الأتابكية ، الدولة الغزنوية ، دولة جنكيز خان وتيمور ، وملوك الفرس والهند والصين والروم ، ودولة بني عثمان وهي التي عاصر القرماني منها عهداً طويلاً هو النصف الأخير من القرن العاشر وصدر الحادي عشر .

وختم القرماني هذه الموسوعة بوصف غرائب العجائب في الأليم والبحار والأنهار والعيون والآبار والمدن والبلدان وما فيها من عجائب الآثار .

(١) أثبت في هذا الباب ، الكتاب الذي وضعه ذلك المؤلف ، على اعتبار أنه موسوعة تاريخية ، ولد مؤلفها في فترة قريبة من نهاية القرن التاسع .

كتب المؤلف^(١)

١ - جواهر العقلي (القاهرة ١٩٣٣ و ١٩٦٣)
وفيه بحث في حياة جواهر ، والدور السياسي الذي لعبه المعز والعزير في
تاريخ مصر .

٢ - النظم الرسومية (القاهرة ١٩٣٩ و ١٩٥٩ و ١٩٦٣) بالاشتراك
مع الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن
ويبحث في نظام الخلافة ، والوزراء ، والكتاب ، والحجاب ، وسلطة
الولاة ، ودواوين الدولة ، والجيش والبحرية ، والنظام المالي ، والقضاء ،
والمظالم ، والحسبة .

وقد ترجمه مولاي سليم الله صاحب صديقي إلى اللغة الأردنية ، لغة
الباكستان الرسمية ، ونشرته ندوة المصنفين المعروفة في دلهي .

٣ - دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨ و ١٩٦٣)
ويتناول تاريخ دولة المماليك من حيث مميزاتها وسلطنة المماليك قبل الناصر
محمد وفي عهده ، وعمود أبنائه وحفدته ، وعن السياسة الداخلية والخارجية ،
ثم بحث نظم الحكم المملوكية الإدارية ، والحربية ، والمالية ، والقضائية ،
ونظام الخلافة العباسية في القاهرة .

٤ - مصر في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٧ و ١٩٤٩ و ١٩٥١
١٩٥٤ و ١٩٦٣) .

ويشمل عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في مصر ، وعمود

(١) أثبتنا المؤلف كاملة ، مع بيان محتويات كل منها ، على اعتبار أنها تكملة
لموضوع استخدام المصادر وطرق البحث ، في التاريخ الإسلامي والتاريخ المصري
الوسيط ، لأن معظمها تنازلت ذلك العصر بصفة مباشرة .

دول الطركونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك . ويبحث
في التاريخ السيامي ، والعلاقات الخارجية ، ونظم الحكم ، والمنشآت ، والحالة
الاقتصادية ، والاجتماعية .

٥ — استخرام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي والتاريخ
المصري الوسيط (القاهرة ١٩٤٩ و ١٩٦٣) .

٦ — نوار لهن في التاريخ الإسلامي تعريب
ويشمل شهيرات النساء في الإسلام (القاهرة ١٩٥٠ و ١٩٦٣)

٧ — تاريخ القاهرة تأليف لينبول Lane-Poole :
ترجمه من الانجليزية إلى العربية الدكتور علي ابراهيم حسن بالاشتراك
مع الدكتور حسن ابراهيم حسن .

٨ — التاريخ الإسلامي العام (١٩٥٤ و ١٩٥٩ و ١٩٦٣)
ويبحث في : الجاهلية ، والبعثة النبوية ، والخلفاء الراشدين ، والأمويين ،
والعباسيين .

